

شرح
مراقبي العبودية

للعالم الفاضل والورع الكامل الشيخ محمد نووي الجاوي

المتوفى سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٧ م

على متن بداية الهداية
لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

نفعنا الله تعالى بهما وبعلمهما آمين

طبعة جديدة مصححة ومنقحة ومحققة

ضبطه وعلق عليه

علوي أبو بكر محمد القاف

خريج كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية
بالأزهر الشريف

دار الكتب الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

جميع الحقوق الملكية والأدبية محفوظة للناشر.
يمنع طبع هذا الكتاب كله أو جزء منه بكل
طرق الطبع أو التصوير أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية، كما تمنع
الترجمة إلا بإذن خطي من الناشر.

ALL RIGHTS RESERVED

No part of this publication may be translated, reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic mechanical, photocopying, recording or otherwise without the prior written permission of the publisher.

**HAK CIPTA DILINDUNGI UNDANG -
UNDANG**

Dilarang mereproduksi buku ini dalam bentuk apapun, sebagian atau seluruhnya, dengan cara mencetak, mengcopy atau memindahkan ke dalam komputer dan CD, sebagaimana dilarang menerjemahkannya tanpa izin tertulis dari penerbit.

Trademark Nr. : **IDM000344178**

ISBN : 978-979-3154-56-5

Copyright Nr. : 058405



للطباعة والنشر والتوزيع

**DAR AL - KUTUB
AL - ISLAMIYAH**

Printers, Publishers & Distributors

JL . KALIBATA TIMUR 1 / 61 - JAKARTA 12740 - INDONESIA
PHONE : (021) 79197125 - 79197126 FAX : (021) 79197127
website : www.dkislamiyah.co.id e-mail : info@dkislamiyah.co.id

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

الحمد لله العزيز الرحيم، رب العرش العظيم، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفطر السموات والأرض بقدرته، ودبر الأمور بحكمته، وما خلق الإنسان والجن إلا لعبادته، فالطريق إليه واضح للقاصدين، والدليل عليه لائح للنظرين، ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم وعظم إلى يوم الدين.

وبعد؛ فهذا كتاب مراقي العبودية للعلامة الشيخ محمد نووي بن عمر البنتني الشافعي، شرح على متن بداية الهداية لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رحمهما الله تعالى. فقد كشف لنا الشيخ البنتني ما وضعه الإمام الغزالي في متن بدايته من معالم الشريعة وبداية الهداية لنتهي إلى معالم شريعتنا النيرة، وأوضح لنا تلك البداية لنتهي إلى نهايتها، فلا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها، فبدايتها ظاهر التقوى ونهايتها باطن التقوى، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها، فلا عاقبة إلا للتقوى ولا هدى إلا للمتقين.

تقدمه دار الكتب الإسلامية إلى طلبة العلم والهداية بهذه الطبعة الجديدة الأنيقة التي تمتاز بالجودة في الضبط والجمال في الطبع والدقة في التصحيح والحسن في الترتيب، طلباً من وراء ذلك الحصول على ثمرة العلم وتحقيق فائدة العمر لأجل الوصول إلى مرضاة الرب جل وعلا.

فترجو دار الكتب الإسلامية أن يجعل الله سعينا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بهذا الكتاب النفع العميم، إنه هو السميع العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ترجمة موجزة عن حياة المؤلف

الشيخ محمد نووي بن عمر الجاوي الشافعي



هو أبو عبد المعطي العلامة الشيخ محمد نووي بن عمر بن عربي بن علي التناري البنتني الجاوي الشافعي المذهب الأشعري الاعتقاد. ولد بقرية تنارا من عوامل بتن بجاوي الغربية سنة ١٢٣٠ هـ الموافق سنة ١٨١٣ م، في أسرة عريقة معروفة بالدعوة الإسلامية. سماه والداه بمحمد نووي أخذاً في الجزء الأول من اسم سيد الأنبياء والمرسلين صاحب الرسالة الحنيفة محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه، وفي الجزء الثاني من اسم شيخ الإسلام ولي الله محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ثم الدمشقي صاحب المناقب الكريمة محرر المذهب ومهذب ومحققه ومرتبته، إمام أهل عصره علماً وعبادة وسيد آوانه ورعاً وسيادة.

ذكر صاحب كشف الظنون عدداً من تصانيفه التي بلغت بضعاً وتسعين كتاباً في أصناف العلوم والفنون من التفسير والحديث ومصطلحه والفقه وأصوله والتوحيد والتصوف والنحو والصرف وتصريفه، معظمها مطبوعة، فذاع صيته في البلدان وملاً اسمه من خلال تصانيفه الآذان وابتل من ذكر اسمه اللسان وإن لم تر صاحبه العينان. وقد نال كتابه "التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل" المسمى مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد محل إعجاب علماء مصر الصادقة فدعوه إلى مصر فأكرموا مثواه وقدروا نزله وأنالوه رتبة الشرف "سيد علماء الحجاز".

ومع همته العظيمة في الحصول على العلوم الدينية ورتبته الشريفة في العلم فقد كان الشيخ رجلاً سخياً تقياً زاهداً متواضعاً لين الجانب محباً للفقراء والمساكين حبه للعلماء العاملين. رحم الله الشيخ الجاوي وغفر، اختاره الله لجواره وهو قائم بين دفتي كتاب منهاج الطالبين للإمام النووي ناوياً شرحه وحل ألفاظه، ولم يتم بعد مما نواه فقد توفاه الله تعالى واختاره لجواره، ويعتبر هذا من عبقرية من سماه باسم محمد نووي، توفاه الله تعالى في أواخر شوال سنة ١٣١٤ هـ الموافق سنة ١٨٩٧ م بمكة المكرمة، ودفن بمعلی قریب مرقد من مرقد سيدة النساء أسماء بنت أبي بكر الصديق ومن مرقد خاتمة المحققين ابن حجر الهيتمي الشافعي، تغمد الله الجميع برحمته وأسكنهم فسيح جنته، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله جل وعلاً، أحمده لجميع الأيادي والآلآ، وأشكره شكر من عوفي من البلاء، وأستغفره لي ولوالديّ ولمن له حق عليّ وللمسلمين من كل ذنب قولاً وفعلاً، وأتوب إليه من كل معصية توبة عبد لا يملك لنفسه هدى ولا يستطيع أن يدفع عنها ضللاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مماثلاً، وأشهد أن سيدنا محمداً نبيه ورسوله ذو المقام الأعلى، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي اختص الله به فضائلاً، وعلى آله الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما قالاً، وأصحابه الذين فازوا بالافتداء بالجهد وغيره فنالوا الدرجات العلاء.

أما بعد، فهذا شرح على بداية الهداية، سميته: مراقبي العبودية، أرجو به حصول بركة الشيخ المصنف، ودعاء طلبة العلم ممن ينتصف، وليس لي في هذا إلا الجمع من كلام العلماء الأجلاء، بحسب ما أطلعني الله عليه. فإذا رأيت فيه شيئاً من الخلل فمن وهم صدر من سوء فهمي، فالمطلوب ممن علم ذلك أن يصلحه، فإن بضاعتي من العلم والدين مزجاة، وإيماني أضعف الإيمان، لنقص اليقين مع ضيق الوقت وكثرة الأحزان، فرحم الله امرأً رأى عيباً فستره. وإلى الله الكريم أمد أكف الابتهاال، أن لا يجعله حجة علي يوم ظهور الأهوال، وأن ينفع به نفسي ومثلي من الجهال. إنه تعالى رءوف جواد يعطي النوال، وإليه التفويض والاعتماد، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد، آمين.

(بسم الله الرحمن الرحيم) كلمات البسمة أربع، ففيها إشارة إلى إعانة الله تعالى عباده المسلمين على الشيطان، فإنه قال: ﴿لَا تَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ (١) فأعطاهم الله تعالى هذه الكلمات الأربع لئلا تضربهم وسوسته؛ وإشارة إلى أن معاصي المؤمنين في أربعة أوجه: في السر والعلانية والليل والنهار، فأعطاهم هذه ليغفرها لهم بها.

ثم إن معاني الحروف: أن الباء براءة الله لأهل السعادة، والسين ستر الله على أهل الجهالة، والميم محبته لأهل الإسلام، والألف ألفتة، واللام لطافته، والهاء هدايته، والراء رضوانه على السابقين والتائبين، والحاء حلمه على المذنبين، والميم منته على المؤمنين، والنون نور المعرفة في الدنيا ونور الطاعة في العقبى فأعطاهما لعباده المتقين، والياء يد الله أي حفظه على أهل الإسلام.

قال الشيخ الإمام العالم العلامة حجة الإسلام وبركة الأنام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين: الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد رسوله وعبيده، وعلى آله وصحبه من بعده. أما بعد: فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم، المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش إليه، أنك إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة



(قال الشيخ الإمام) أي المقتدى به (العالم العلامة) أي العالم جدًّا، فالهاء للمبالغة. (حجة الإسلام) فالحجة من أحاط بأكثر السنة ولم يفته منها إلا اليسير، وأما الحافظ فهو من أحاط بمائة ألف حديث، والحاكم من أحاط بثلاثة آلاف^(١) حديث. (وبركة الأنام) زين الدين (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد) ولد رضي الله عنه بطوس سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي بها صبيحة يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، فكان عمره خمسًا وخمسين سنة. (الغزالي) بتخفيف الزاي، نسبة إلى غزاة قرية من قرى طوس. (الطوسي) بضم الطاء، نسبة إلى طوس بلدة من أعمال نيسابور. (قدس الله روحه ونور ضريحه) أي قبره. (آمين) أي استجب يا الله.


(الحمد لله) أي كل حمد لله، فيدخل فيه جميع المحامد التي ذكرها ملائكة العرش والكرسي وسكان أطباق السموات، وجميع المحامد التي ذكرها جميع الأنبياء من آدم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام، وجميع المحامد التي ذكرها جميع الأولياء والعلماء وجميع الخلق. (حق حمده) أي أعمه وأنهاه بالإجمال، وأما بالتفصيل فيعجز الخلق عنه. (والصلاة والسلام على خير خلقه محمد رسوله) إلى كافة الخلق (وعبيده) صاحب المناقب، وقد نظم بعضها بعضهم [من بحر البسيط] بقوله:

لَمْ يَحْتَلِمَ قَطُّ طَهَ مُطْلَقًا أَبَدًا * وَمَا تَنَاءَبَ أَصْلًا فِي مَدَى الزَّمَنِ
مِنْهُ الدَّوَابُّ فَلَمْ تَهْرُبْ وَمَا وَقَعَتْ * ذُبَابَةٌ أَبَدًا فِي جِسْمِهِ الْحَسَنِ
بِخَلْفِهِ كَأَمَامَ رُؤْيَا تَبَتَّتْ * وَلَا يُرَى أَثَرُ بَوْلٍ مِنْهُ فِي عَلَنِ
وَقَلْبُهُ لَمْ يَنْمِ وَالْعَيْنُ قَدْ نَعَسَتْ * وَلَا يُرَى ظِلُّهُ فِي الشَّمْسِ ذُو فَطَنِ
كَتَفَاهُ قَدْ عَلَتَا قَوْمًا إِذَا جَلَسُوا * عِنْدَ الْوِلَادَةِ صِفَ يَأْذَا بِمُخْتَتَنِ
هَذَا الْخَصَائِصُ فَاحْفَظْهَا تَكُنْ أَمِنًا * مِنْ شَرِّ نَارٍ وَسُرَّاقٍ وَمِنْ مِحَنِ

(وعلى آله وصحبه من بعده. أما بعد، فاعلم أيها الحريص) أي المجتهد (المقبل على اقتباس العلم) أي استفادته من المعلم، وفي نسخة: اقتناص العلم، بالنون ثم الصاد أي اصطياده، فحينئذ شبه العلم بالصيد في كون كل يحتاج إلى الحيلة والسياسة. (المظهر من نفسه) وفي نسخة: من نفسك بالخطاب. (صدق الرغبة) أي الإقبال (وفرط التعطش) أي شدة الاشتياق (إليه) أي العلم، (أنك) معمول لاعلم (إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة) بالفاء والسين المهملة، أي الرغبة في التفرد بالعلم لأنه

(١) المعروف في الحاكم أنه أحاط بالسنة انتهى مصححه.

والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس إليك وجمع حطام الدنيا، فأنت ساع في هدم دينك وإهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك. فصفتك خاسرة وتجارتك باثرة، ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك، وهو كبائع سيف من قاطع طريق، كما قال ﷺ: « مَنْ أَعَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ كَانَ شَرِيكًا لَهَا فِيهَا ». وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر، فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت.....

نفيس جدًا، (والمباهاة) أي الافتخار الذي هو التعاطم، (والتقدم على الأقران) أي الأمثال  الذين يعادلونك في طلب العلم، (واستمالة) أي طلب إقبال (وجوه الناس إليك، وجمع حطام الدنيا) أي متاع الدنيا الذي يصير آخره فانيًا، والإكرام عند السلطان، (فأنت ساع) أي متصرف (في هدم دينك، وإهلاك نفسك) بإقبالك على غضب الله تعالى، (وبيع آخرتك بدنياك. فصفتك) أي عقدك في ذلك البيع (خاسرة) أي ناقصة، لأن الدنيا في مقابلة ثواب الآخرة لا شيء، (وتجارتك) أي تصرفك فيه (باثرة) أي هالكة لا خير فيها، وهذا كناية عن عدم النفع بذلك العلم. (ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك، وهو كبائع سيف من قاطع طريق) من بمعنى اللام. (كما قال ﷺ: « مَنْ أَعَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ نَحْو: أَمٌّ مِنْ أُقْتَلُ. (كَانَ) أَي الْمَعِين (شَرِيكًا لَهَا فِيهَا) ». وفي الحديث: « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ». ووضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب، أي إن واضع العلم في غير موضعه ظالم. فيجب أن يكون العالم ناصحًا في جميع الأمور، يعامل كل الناس على حسب حاله، كالطبيب يعالج كل مريض بما يناسب علته.

وروي عن معروف الكرخي أنه قال: لما مات أبو يوسف صاحب أبي حنيفة لم يكن من الناس أحد حضر جنازته، لأنه كان يدخل في أمر السلطان، فرأيته في المنام قبل أن يدفن، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ربي، قلت: بماذا؟ قال: بنصحي للمتعلمين، فانتبهت من النوم فشهدت جنازته.

(وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية) بأن تنوي بتحصيله إزالة الجهل عن نفسك وعن سائر الجهال، وإحياء الدين، وإبقاء الإسلام بالعلم، والدار الآخرة، ورضا الله تعالى؛ وتنوي بذلك الشكر على نعمة العقل ونعمة صحة البدن (دون مجرد الرواية) أي الحمل والنقل عن العلماء (فأبشر، فإن الملائكة تبسط لك) أي رضا بما تطلب (أجنتها) أي تضعها لتكون وطاء لك (إذا مشيت) وقيل: إن الملائكة تظلل طالب العلم بأجنتها، (وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت) أي ذهبت إلى العالم، وذلك لأن صلاح العالم منوط بالعالم بتبليغه الأحكام الشرعية التي منها أن الحيوان يحرم تعذيبه، كما أفاده العزيزي. وعلامة ذلك القصد أن يكون بحث العلم في الخلاء أحب إليك أن يكون في الملأ، وأن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك.

ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيء أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية وظاهر وباطن،



حكاية نفيسة: وقع للعلامة منعوش المغربي في درسه إشكال، وقد حضر مجلسه أئمة المذاهب الأربعة، فاعترض قول الشافعي وهو: إذا دخل شرط على شرط فلا يوجب الحكم إلا بتقديم المؤخر نحو: إن كلمت: إن دخلت الدار فأنت طالق، فلا يقع طلاق عنده إلا بالدخول. فقال ذلك الشيخ: لم نر لهذا القول دليلاً في كلام العرب. فقال له حمدان وهو يومئذ صغير: ما قاله الإمام الشافعي هو الحق، فزجره الناس من كل جانب لصغره. فقال الشيخ: دعوه، فإنه ليس بيننا وبين الحق خصومة وإن كان من صغير. ومن خصوصيتنا قبول الحق ولو من صغير ورد الصغير على الكبير في الحق، بخلاف الأمم السابقة إذا أخطأ الكبير لم يتجاسر أحد على الرد عليه، فيصير خطؤه شريعة يعمل بها في الكون. ثم التفت الشيخ إلى حمدان وقال: قل ما عندك! فقال له: ما تقول في قول الشاعر [من بحر البسيط]:

إِنْ يَسْتَعْيِثُوا بِنَا أَنْ يَدْعُرُوا يَجِدُوا * مِثْلَ مَعَاقِدِ عَزِّ زَانَهَا كَرَمٌ

فإن الاستغاثة إنما يحتاج لها بعد الخوف لا قبله، وما قاله الشافعي هو الحق ويشهد له كلام العرب. فتبسم الشيخ وفرح بذلك وقال: صدقت يا ولدي، ودعا له. قال الشيخ حمدان: ولم أكن أهلاً للرد، إلا أنني ظننت أن الإمام الشافعي هو الذي حرك لساني بالكلام، وما أحسن ما قيل [من بحر الطويل]:

وَكَمْ مِنْ صَغِيرٍ لَأَحْظَنَتْهُ عِنَايَةٌ * مِنْ أَلَّهِ فَأَحْتَاجَتْ إِلَيْهِ الْأَكَابِرُ

(ولكن ينبغي) أي يطلب (لك) العبادة مع العلم، وإلا كان علمك هباءً منثوراً. فإن العلم بمنزلة الشجرة، والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها. فيجب عليك أولاً أن تعرف المعبود، ثم تعبد. وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفاته ذاته، وما يجب له، وما يستحيل في نعته؟ ربما تعتقد فيه وفي صفاته شيئاً مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباءً منثوراً، وذلك بأن تعرف أن لك إلهاً عالماً قادراً مريداً حياً متكلماً سميعاً بصيراً، منفرداً بالقدم عن كل محدث، واحداً لا شريك له، متصفاً بصفات الكمال، منزهاً عن النقصان والزوال ودلالات الحدوث، وأنه أرسل عبده سيدنا محمداً ﷺ فهو رسوله الصادق فيما جاء به من الأحكام، وفيما أخبر به من أمور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراف والجنة والنار والحوض والشفاة وغير ذلك.

ثم يطلب منك (أن تعلم قبل) الشروع في (كل شيء) أي عمل مطلوب شرعاً (أن الهداية) أي سلوك الطريق إلى الله تعالى (التي هي ثمرة العلم لها بداية) وهي المسماة بالشرعية والطريقة (ونهاية) وهي المسماة بالحقيقة، لأن حقيقة الشيء منتهاه، وهي ثمرة الشرعية والطريقة معاً كما قال شيخ الإسلام، وثمره الطريقة فقط على ما قاله الصاوي. (وظاهر وباطن) فإن كل باطن له ظاهر وعكسه، فالشرعية ظاهر الحقيقة، والحقيقة باطنها، وهما متلازمان معنى. فشرعية بلا حقيقة عاطلة أي خالية من الثمرات، وحقيقة بلا شرعية باطلة أي لاغية لا خير فيها ولا حاصل لها. قال بعضهم [نظماً من بحر البسيط]:

ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها. وها أنا مشير عليك ببداية الهداية، لتجرب بها نفسك وتمتحن بها قلبك. فإن صادفت



بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفُوَ بِلَا كَدَرٍ * وَتَتَّبِعَ الْحَقَّ وَالْقُرْآنَ وَالِدِينَا
وَأَنْ تَرَى خَاشِعًا لِلَّهِ مُكْتَبِيًّا * عَلَى ذُنُوبِكَ طُولَ الدَّهْرِ مَحْزُونًا

قال الصاوي: والشريعة هي الأحكام التي كلفنا بها رسول الله ﷺ عن الله جل وعلا من الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات والجائزات، وقيل: هي الأخذ بدين الله تعالى والقيام بالأمر والنهي. والطريقة هي العمل بالواجبات والمندوبات وترك للمنهيات والتخلي عن فضول المباحات والأخذ بالأحوط كالورع وبالرياضة من سهر وجوع وصمت. والحقيقة: فهم حقائق الأشياء كشهود الأسماء والصفات وشهود الذات وأسرار القرآن وأسرار المنع والجواز والعلوم الغيبية التي لا تكتسب من معلم، وإنما تفهم عن الله كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (١) أي فهماً في قلوبكم تأخذونه عن ربكم من غير معلم، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (٢) أي بغير واسطة معلم، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم. فأفاد بهذه الكلمات الشريعة والطريقة والحقيقة، فأشار بقوله: علم إلى الشريعة، وبقوله: عمل إلى الطريقة، وبقوله: ورثه الله علم ما لم يعلم إلى الحقيقة. اهـ.

(ولا وصول) لك أيها السالك (إلى نهايتها) أي العبادة (إلا بعد إحكام) بكسر الهمزة أي إثبات (بدايتها) بأن تصح منك البداية التي هي الشريعة مع ملازمتك لها بالجد. (ولا عثور) بالثاء المثلثة أي لا علم، وفي نسخة: لا عبور بالباء الموحدة أي لا مرور. (على باطنها إلا بعد الوقوف) أي المشاهدة (على ظاهرها) ومثل بعضهم الشريعة بالسفينة، والطريقة بالبحر، والحقيقة بالؤلؤ. فلا يتحصل للؤلؤ إلا من البحر، ولا يتوصل إلى لجة البحر إلا بالسفينة. ومثل بعضهم هذه الثلاثة بالترجيل، فالشريعة كالقشر الظاهر، والطريقة كاللب، والحقيقة كالدهن الذي في باطن اللب. فلا يتحصل الدهن إلا بعد دق اللب، ولا يتوصل إلى اللب إلا بحرق القشر. ويقال للشريعة: عبادة*، وللطريقة: عبودية، وللحقيقة: عبودة. قال أبو علي الدقاق: العبادة للعوام من المؤمنين، والعبودية للخواص، والعبودة لخاص الخواص. وقال شيخ الإسلام: فالصابر على مراد الله وهو حامل النفس على مشاق التكليف لطلب الجزاء عليه في مقام العبادة، والراضي أي المطمئن بمراده تعالى في مقام العبودية، والعارف في مقام العبودة.

(وها) للتنبيه (أنا مشير عليك) أيها المرید للخير (ببداية الهداية، لتجرب بها نفسك) أي الأمانة أو غيرها، (وتمتحن بها قلبك) ومعنى تجرب وتمتحن واحد وهو تختبر مرة بعد أخرى. (فإن صادفت)

(٢) سورة البقرة [٢] الآية: ٢٨٢

(١) سورة الأنفال [٨] الآية: ٢٩

(*) كذا الصحيح، وفي النسخ المطبوعة: عادة، بإسقاط الباء.

قلبك إليها مائلاً ونفسك بها مطاوعة ولها قابلة، فدونك التطلع إلى النهايات والتغلغل في بحار العلوم. وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مسوفاً وبالعامل بمقتضاها ماطلاً، فاعلم أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء، وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدليك بحبل غروره فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك. وقصده أن يروج عليك الشر في معرض الخير حتى يلحقك بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء وما ورد فيه من الأخبار والآثار،



أي وجدت (قلبك إليها) أي بداية الهداية (مائلاً) أي محباً، (ونفسك) التي في قلبك (بها) أي البداية (مطاوعة) أي منقادة (ولها قابلة) أي راضية في أخذها، (فدونك) أي خذ ذلك (التطلع) أي الارتقاء (إلى النهايات والتغلغل) بالغيبين وبالغائبين، أي الدخول والسير (في بحار العلوم) أي علوم لأسرار اللدنية التي كالبحار في عمقها.

(وإن صادفت قلبك عند مواجهتك) أي استقبالك (إياها) أي بداية الهداية، وفي نسخة: إياه أي القلب (بها مسوفاً) بأن يقول القلب مرة بعد أخرى: سوف أفعل ذلك، (وبالعامل بمقتضاها) أي بمطوبها (ماطلاً) أي مؤخرًا بوعد (فاعلم) أيها الطالب للعلم (أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء، وقد انتهضت) أي قامت النفس لطلب العلم (مطيعة للشيطان اللعين) أي المبعد من الخير (ليدليك) أي ليوصلك (بحبل غروره) بضم الغين أي خديعته، (فيستدرجك) أي يأخذك قليلاً قليلاً (بمكيدته) أي حيلته (إلى غمرة الهلاك) أي شدته.

(وقصده) أي الشيطان (أن يروج) أي يسلك (عليك الشر في معرض الخير) أي مسلكه وطريقه (حتى يلحقك بالأخسرين أعمالاً) أي الذين أتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً فنالوا هلاكاً، (الذين ضل) أي ضاع (سعيهم في الحياة الدنيا) لاتباعهم الشيطان، (وهم يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسنون صنعاً) أي عملاً يجازون عليه، لاعتقادهم أنهم على الحق.

(وعند ذلك) أي قصد الشيطان تسليك الشر في طريق الخير (يتلو عليك الشيطان فضل العلم) أي النافع، (ودرجة العلماء) أي العاملين بميزان الشرع، (وما ورد فيه) أي العلم (من الأخبار) وهي أقوال النبي ﷺ (والآثار) وهي أقوال الصحابة والتابعين، كما قال ﷺ: «نَظَرَةٌ إِلَى الْعَالَمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةِ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»، وقال: «النَّاسُ عَالِمٌ وَمَتَعَلِمٌ وَالْبَاقِي هَمَجٌ» أي ذباب صغير كالبعوض يقع على وجه الحمير والغنم المهزولة، وقال: «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ سَبْعُونَ دَرَجَةً، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، وقال: «مَنْ لَمْ يَحْزَنْ بِمَوْتِ الْعَالَمِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، فَإِنَّهُ لَا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْ مَوْتِ الْعَالَمِ»، وقال: «إِنَّ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ مَعَ الْعِلْمِ يَنْفَعُ، وَإِنَّ الْعَمَلَ الْكَثِيرَ مَعَ الْجَهْلِ لَا يَنْفَعُ». وقال عمر

ويلهيك عن قوله ﷺ: «مَنْ أَزْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزِدْهُ هُدًى لَمْ يَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»، وعن قوله ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ»، وكان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»، وعن قوله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ، وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ». فإياك يا مسكين أن تدعن لتزويره وتتدلى بحبل غروره،



رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم بالليل صائم بالنهار أهون من موت عالم واحد يعلم ما أحل الله وما حرمه وإن لم يزد على الفرائض. وقال الربيع: العلماء سرج الأزمنة، فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل زمانه.

(ويلهيك) أي يجعلك الشيطان غافلاً (عن قوله ﷺ: «مَنْ أَزْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزِدْهُ هُدًى لَمْ يَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»، و) يغفلك الشيطان أيضاً (عن قوله ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا») أي تعذيباً (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ) أي لم يعمل به. رواه الطبراني وعبد الله بن عدي والبيهقي عن أبي هريرة، لكن بلفظ: «لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ».

(وكان ﷺ يقول) كثيراً في الدعاء تعليماً لأمته: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ» وهو ما لا يصحبه عمل، وما لا يؤذن في تعلمه شرعاً، أو ما لا يهذب الأخلاق. (وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ) أي لذرك ولا لسماع كلامك وهو القلب القاسي. (وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ) أي رفع قبول لرياء أو فقد نحو إخلاص، لكون صاحبه مغضوباً عليه. (وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ) أي لا يقبله الله ولا يعتد به، فكان غير مسموع لحيث صاحبه، وفي رواية: «لَا يُسْتَجَابُ» رواه أحمد بن حنبل ومحمد بن عبد الله الحاكم عن أنس، لكن بإسقاط: «وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ».

(و) يغفلك الشيطان أيضاً (عن قوله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي») من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ) أي لا نفعه (وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ) وفي السراج المنير للشريني: روي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْخُطْبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ».

(فإياك) أي فاحذرک (يا مسكين) أي يا أيها الذليل الضعيف الذي لا فطنة له (أن تدعن) بضم التاء وكسر العين أي تنقاد (لتزويره) أي لتزيين الشيطان الكذب عليك، (وتتدلى) أي تصل، وفي نسخة: فيدليك (بحبل غروره) وإذا كان تعلم العلم والسؤال عنه واجباً لقوله تعالى: ﴿فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أي

فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة، وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة. واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال: رجل طلب العلم ليتخذَه زاده إلى المعاد، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة، فهذا من الفائزين.....



العلم ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) فالعمل بالعلم بعد العلم واجب. (ف) يقال: (ويل) أي عذاب وهلاك أو واد في جهنم، كما قاله الشرييني. (للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة) في عمره كله، (وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة) أي مثلاً، ويقال أيضاً: ويل للعالم حيث لم يعمل بما علم سبعين مرة. فقوله: ألف مرة يتعلق بقوله: لم يعمل، وكذا قوله: مرة فهو متعلق بقوله: لم يتعلم، وهو أظهر وأحسن. ويجوز أن يكون كل من الطرفين متعلقاً بقوله: ويل في الموضوعين إذا كان بمعنى عذاب أو هلاك، ولا يجوز ذلك إذا كان بمعنى واد لأنه اسم ذات؛ وحينئذ يكون عذاب العالم أعظم من عذاب الجاهل. نعم، هو بحسب العدد فقط دون الهيئة، فيمكن أن يكون العذاب الواحد أشد من الألف بأضعاف. وأيضاً إن العالم إذا ترك واجباً أو فعل محرماً ويعذبه الله تعالى أن يكون تعذيبه تعالى له تطهيراً له، كذا قال بعضهم؛ وعلى هذا المعنى ما يقال: الزبانية تسرع للعلماء غير العاملين قبل عبدة الأوثان. كما روي عن النبي ﷺ: «الْعَالِمُ حَبِيبُ اللَّهِ وَلَوْ كَانَ فَاسِقًا، وَالْجَاهِلُ عَدُوُّ اللَّهِ وَلَوْ كَانَ عَابِدًا».

وحكي: أن بعض الناس اختلف في شرف العالم الفاسق وشرف الجاهل العابد، فخرج أحد منهم وذهب إلى صومعة العابد الجاهل، فقال: يا عبدي قبلت دعوتك، وغفرت لك ذنبك، فاترك العبادة واسترح. فقال العابد: إلهي، إني أرجو منك هذا، وإني أحمدك وأشكرك وأعبدك من زمان كذا. فصار منخطئاً وكافراً بجهله. ثم ذهب أحد منهم إلى العالم الفاسق فإذا هو يشرب الخمر، فقال: يا عبدي، اتق مني، وأنا ربك أستر ذنبك وأنت لا تستحيي مني، فإني أريد أن أهلكك. فسل العالم الفاسق سيفه وخرج من مكانه فقال: يا ملعون، أنت لا تعلم ربك، فإني أعلمك ربك الآن. ففر ذلك القائل، فعلم بذلك شرف العلم وأهله.

(واعلم) أيها المرید لطلب العلم (أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال) أي مراتب: (رجل طلب العلم ليتخذَه) أي ليجعله (زاده إلى المعاد) أي الآخرة، فإنها معاد الخلق. (ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة، فهذا) أي الرجل (من الفائزين) أي الناجين من عذاب الله تعالى، اللاحقين بالخير.

وعلامه عالم الآخرة ثلاثة، وهي: عدم طلب الدنيا بالعلم، وكون قصده بالاشتغال بالعلوم نيل سعادة الآخرة فيكون معتنياً بعلم الباطن سائساً لقلبه بمجاهدة النفس، وكون اعتماده في العلوم على اتباع صاحب الشريعة ﷺ في أفعاله وأقواله. وعلامة عدم طلب الدنيا بالعلم: أن يكون أول عامل بالأمر ومجتنب للنهي، وأن يكون مجتنباً ترفه مطعم ومسكن وملبس، وأن يكون منعزلاً منقبضاً عن مخالطة

ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به العز والجاه والمال، وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله وخسة مقصده. فهذا من المخاطرين، فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة، وبقي أمره في خطر المشيئة. وإن وفق للتوبة قبل حلول الأجل وأضاف إلى العلم العمل وتدارك ما فرط فيه من الخلل التحق بالفائزين؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ورجل ثالث: استحوذ عليه الشيطان، فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع. يدخل بعلمه كل مدخل.....



السلطان إلا لنصح له أو لرد مظالم إلى أربابها أو للشفاعة في مرضاة الله تعالى، وأن لا يكون مسارعاً إلى الفتاوى كأن يدل على من هو أعلم منه.

كما روي عن شريح بن هانئ قال: أتيت عائشة رضي الله عنها أسألها عن المسح على الخفين، فقالت: عليك بعلي بن أبي طالب فأسأله، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ، فسألناه. وكما روي عن سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس يسأله عن وتر رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال: من؟ قال: عائشة، فأتيتها فأسألها عن ذلك. وكما روي عن عمران بن حطان قال: سألت عائشة عن الحرير، فقالت: ائت ابن عباس فأسأله. فسألته، فقال: سل ابن عمر. فسألت ابن عمر، فقال: أخبرني أبو حفص وهو عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا مَنْ لَّا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ» وهذا كله من النصيحة.

(ورجل طلبه) أي العلم (ليستعين به على حياته) أي الرجل الثاني (العاجلة) أي الحاضرة، (وينال به) أي العلم (العز) أي القوة والكرم (والجاه) أي القدر والمنزلة (والمال، وهو عالم بذلك) أي بسبب ذلك الغرض (مستشعر) أي مضمر (في قلبه ركاكة حاله) أي ضعف قلبه، فقوله: ركاكة معمول لعالم ومستشعر. (وخسة) أي دناءة (مقصده) بفتح الصاد أي مقصودة. (فهذا) أي الرجل (من المخاطرين) أي المقربين أنفسهم على خطر هلك. (فإن عاجله) أي أخذه بلا مهلة (أجله) أي وقته الذي يموت فيه (قبل التوبة) من ذلك الغرض (خيف عليه من سوء الخاتمة) وهو الموت بغير الإيمان، نعوذ بالله منها. (وبقي أمره) أي حاله (في خطر المشيئة) لله تعالى، فإن شاء عفا عنه، وإلا فلا. (وإن وفق) بالبناء للمفعول أي وجه (للتوبة قبل حلول) أي انتهاء (الأجل) أي مدة الموت، (وأضاف) أي ضم (إلى العلم العمل، وتدارك ما فرط) أي قصر (فيه من الخلل) أي الفساد في أمره، (التحق بالفائزين، فإن التائب) الفاء للتعليل (من الذنب كمن لا ذنب له) كما في الحديث.

(ورجل ثالث: استحوذ) أي غلب (عليه الشيطان، فاتخذ علمه ذريعة) أي وسيلة (إلى التكاثر) أي المكاثرة (بالمال، والتفاخر) أي المباهاة (بالجاه، والتعزز) أي صيرورة القوة (بكثرة الأتباع) بفتح الهمزة جمع تبع كسبب وأسباب، و(يدخل بعلمه كل مدخل) أي يمكر بعلمه مكرًا كثيرًا، قال: ﴿وَلَا

رجاء أن يقضي من الدنيا وطره، وهو مع ذلك يضر في نفسه أنه عند الله بمكانة لاتسامه بسيمة العلماء وترسمه برسومهم في الزي والمنطق، مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً. فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين، إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين، وهو غافل عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وهو ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «أَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَالِ» فقيل: وما هو يارسول الله؟ فقال: «عُلَمَاءُ السُّوءِ».

تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴿١﴾ أي مكرًا وخديعة. (رجاء أن يقضي) أي يبلغ وينال (من) الدنيا وطره) أي حاجته. (وهو) أي الرجل الثالث (مع ذلك) أي جعل العلم وسيلة إلى تلك الأغراض (يضر في نفسه) أي قلبه (أنه عند الله بمكانة) بالتاء المربوطة كما قاله شيخنا يوسف السنبلاويني أي عظمة وارتفاع. وهو مصدر مكن بضم الكاف كذا في المصباح، وذكر الجوهري في فصل الكاف: أن المكانة بمعنى المنزلة وهو من كان، وفي فصل الميم بمعنى الاستقامة وهو من مكن (لاتسامه) لاتخاذ سيمة أي علامة لنفسه (بسيمة العلماء) أي بعلامتهم (وترسمه) أي تصوره (برسومهم) أي بصورتهم (في الزي) بكسر الزاي أي اللباس والهيئة (والمنطق) أي الكلام، وهو مصدر ميمي. (مع تكالبه) أي توابه ومسارعه (على الدنيا ظاهراً وباطناً).

(فهذا) أي الرجل الثالث (من الهالكين ومن الحمقى) بفتح الحاء وسكون الميم وبالقصير جمع أحمق وحمق بكسر الميم هما للمذكر، وحمقاء بالمد للمؤنث كما في الصحاح. ومعنى الحمق بفتححتين أو بضم فسكون وهو مصدر: قلة العقل وفساده، وماضيه حمق بكسر الميم أو ضمها ومصدر المضموم حماقة أيضاً. (المغرورين) أي المخدوعين للشيطان. (إذ الرجاء منقطع عن توبته) أي لأن توبته لا ترجى لفوت قصده عليها، والمنقطع بفتح الطاء اسم معنى، أما المنقطع بكسرها فهو اسم عين. (لظنه أنه من المحسنين) أي العاملين بعلومهم.

(وهو) أي الرجل الثالث (غافل عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢)) (وهو) أي هذا الرجل (ممن) أي من بعض من (قال فيهم) أي في حقهم (رسول الله ﷺ): «أَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَالِ» (وفي رواية: «غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ»، وفي رواية بحذف نون الوقاية أي: أخوف مخوفاتي عليكم. وأخوف خبر غير وهو أفعال تفضيل، وإنما دخل النون فيه لمشابهته لفعل التعجب. (فقيل) أي لرسول الله: (وما هو) أي غير الدجال (يارسول الله؟ فقال: «عُلَمَاءُ السُّوءِ») وهو كل منافق كثير علم اللسان جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها وأُبُهَةٌ*) يتعزز بها،

(٢) سورة الصف [٦١] الآية: ٢

(١) سورة النحل [١٦] الآية: ٩٤

*) الأبهة بالضم وتشديد الباء: العظمة والكبر. ورجل ذو أبهة أي ذو كبر وعظمة.

وهذا لأن الدجال غايته الإضلال، ومثل هذا العالم وإن صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم إليها بأعماله وأحواله، ولسان الحال أنطق من لسان المقال، وطباع الناس إلى المساعدة في الأعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال. فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله، إذ لا يستجري الجاهل على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العلماء، فقد صار علمه سبباً لجرأة عباد الله على معاصيه، ونفسه الجاهلة مدلة مع ذلك تمنيه وترجييه وتدعوه إلى أن يمن على الله

يدعو الناس إلى الله ويفر هو منه. كما قال ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ» رواه أحمد بن حنبل عن عمر بن الخطاب، وكما قال ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأئمة المفضلون» رواه الإمام أحمد والطبراني عن أبي الدرداء، أي إن من أخوف شيء أخافه على أمتي ذلك.

(وهذا) أي بيان هذا الحديث (لأن الدجال غايته الإضلال) فلا يخفى على أحد من المؤمنين. ومثل هذا العالم وإن صرف الناس عن الدنيا) أي عن حبها (بلسانه ومقاله فهو داع لهم إليها) أي إلى حبها (بأعماله وأحواله. ولسان الحال أنطق) أي أوضح دلالة إلى المراد، وفي بعض النسخ: أفصح أي أظهر (من لسان المقال، وطباع الناس إلى المساعدة) بالسين المهملة ثم بالعين أي المعاونة (في الأعمال أميل) أي أكثر ميلاً (إليها من المتابعة في الأقوال) (*) فقله: ولسان الحال في مقام التعليل لما قبله، وكذا قوله: وطباع الناس فهو أيضاً في مقام التعليل، وقوله: إلى المساعدة متعلق بأميل، وقوله: إليها تأكيد له، وقوله: من المتابعة مفضول عليه متعلق أيضاً بأميل.

(فما) أي فالذي (أفسده هذا المغرور) بالشیطان (بأعماله) الفاسدة (أكثر مما أصلحه بأقواله) المزخرفة، (إذ لا يستجري) أي لا يشجع (الجاهل على الرغبة) أي التوجه (في الدنيا إلا باستجراء العلماء) عليها. (فقد صار علمه) أي ذلك الرجل الثالث (سبباً لجرأة) بضم الجيم وسكون الراء (عباد الله على) إتيان (معاصيه) من غير توقف. فقله: صار الخ ملتصق بقوله: فاتخذ علمه ذريعة إلى آخره، فلو أتى بهذه الجملة عقبه ثم عللها بقوله: إذ لا يستجري الخ ثم ذكر معطوفها، لكان ذلك أظهر، والله أعلم. (و) صارت (نفسه الجاهلة) الأمانة بالسوء (مدلة مع ذلك) أي الرجل الثالث، كتدلل المرأة مع زوجها. والمدلة بضم الميم وكسر الدال من أدل بهمة الصيرورة كما في الصحاح، ومعنى ذلك: أن النفس صارت دلالاً أي ملاعبة مع صاحبها. ثم بين المصنف تدللها معه بقوله: (تمنيه) أي فتارة تأمره النفس بأن يتمنى ما بُعد حصولاً كالجنة والثواب العظيم، (وترجييه) أي وتارة تأمره نفسه بأن يترجى ما سهل حصوله كالمال وكثرة الأتباع، (وتدعوه) أي وتارة تطلبه نفسه (إلى أن يمن) أي يعدد (على الله

(*) وفي المتن: أميل منها إلى المتابعة في الأقوال.

بعلمه، وتخيل إليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله. فكن أيها الطالب من الفريق الأول، واحذر أن تكون من الفريق الثاني. فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فحسر. وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلك هلاكاً لا يرجى معه فلاحك ولا ينتظر صلاحك. فإن قلت: فما بداية الهداية لأجرب بها نفسي؟ فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى، ونهايتها باطنة التقوى، فلا عاقبة إلا بالتقوى، ولا هداية إلا للمتقين. والتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه. فهما قسمان وها أنا أشير عليك بجمل مختصرة من ظاهر علم التقوى في القسمين جميعاً، وألحق قسماً ثالثاً ليصير هذا الكتاب جامعاً مغنياً والله المستعان.



بعلمه) بأن يقول: يارب علمت كذا وكذا، (وتخيل إليه نفسه) أي وتارة توقع النفس في وهمه وخلده (أنه خير من كثير من عباد الله) أي بسبب كثرة علمه.

(فكن أيها الطالب) للعلم (من الفريق) أي الطائفة (الأول) وهو الناجي، (واحذر) أي احترز (أن تكون من الفريق الثاني) وهو المشرف على الهلاك. (فكم) الفاء للتعليل أي لأن كثيراً (من مسوف) أي مماطل للتوبة (عاجله) أي أسرع إليه (الأجل قبل التوبة فحسر) بالحاء المعجمة أي ضل وهلك، ويجوز بالحاء المهملة بمعنى حزن وندم في الآخرة، فلم ينفعه الندم. (وإياك) أي احذر تلافيك (ثم إياك) تأكيد للأول (أن تكون من الفريق الثالث) وهو الهالك الذي تدلت معه نفسه (فتهلك) بالنصب لأنه جواب الأمر، وهو في الحقيقة جواب الشرط المقدر، والتقدير: وإن لم تحذر فتهلك. (هلاكاً لا يرجى معه فلاحك) أي نجاتك (ولا ينتظر صلاحك) أي خورك وصوابك.

(فإن قلت) لي: (فما بداية الهداية) التي ذكرتها سابقاً (لأجرب بها نفسي) الأمانة وغيرها، فهل تقبلها أو تماطلها؟ (ف) أقول لك: (اعلم) أيها السائل المرید للخير (أن بدايتها) أي الهداية (ظاهرة التقوى، ونهايتها باطنة التقوى، فلا عاقبة) أي لا غنيمة (إلا بالتقوى، ولا هدى) أي رشاد (إلا للمتقين) أي المتصفين بالتقوى.

(والتقوى عبارة عن امتثال) أي اقتداء (أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه) أي مناهيه كما في نسخة، وسمي ذلك تقوى لأنه يقي أي يحفظ صاحبه من المهالك الدنيوية والأخروية. (فهما) أي الامتثال والاجتناب (قسمان. وها) للتنبية (أنا أشير عليك بجمل) بفتح الميم جمع جملة بسكونها (مختصرة) أي موجزة في العبارة (من ظاهر علم التقوى في) هذين (القسمين جميعاً) وهو آداب في الطاعات، وآداب في ترك المعاصي. (وألحق) أي أتبع (قسماً ثالثاً) وهو آداب الصحبة (ليصير هذا الكتاب جامعاً) أي لجميع المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق (مغنياً) أي عن الكتب التي لم تذكر أحد هذه الأقسام الثلاثة، أو عن الكتب المبسوطات، (والله المستعان) على أداء الخيرات وترك المنكرات.

القسم الأول في الطاعات

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ونوافل، فالفرض رأس المال وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة، والنفل هو الربح وبه الفوز بالدرجات. قال ﷺ: « يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ آدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ. فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ».

(القسم الأول: من قسمي معنى التقوى (في الطاعات)



(اعلم أن أوامر الله تعالى) نوعان: (فرائض ونوافل. فالفرض رأس المال) أي أصله (وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة) من المهالك. (والنفل هو الربح وبه الفوز) أي الظفر (بالدرجات) وهي الطبقات من المراتب.

(قال ﷺ: « يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ » أي تزايد إحسانه (وَتَعَالَى) أي تنزه عما لا يليق به، أي في الحديث القدسي والكلام الإنسي. (مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ آدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ) وفي رواية للبخاري: « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ » أي من آداء ذلك. ودخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وشمل الفرائض الظاهرة فعلاً كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات، وتركاً كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات، والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه. (وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ) أي يتحبب (إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ) أي التطوع من جميع صنوف العبادات (حَتَّىٰ أَحِبَّهُ) بضم أول الفعل، لأن الذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة، ومؤدي النوافل لا يفعلها إلا إيثاراً للخدمة. فلذلك جوزي المحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته. والمراد بالنوافل هي النوافل الواقعة ممن أدى الفرائض لا ممن ترك شيئاً منها، كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور. (فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ) أي أظهرت حبي له بعد تقربه إليّ بما ذكر، فإن حبه تعالى قديم غير حادث. (كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا) أي كنت حافظ أعضائه، وحامي أحرائه أن يتحرك بغير رضائي، وأن يسكن لغير طاعتي. وهنا معنى أَدَوْنُ من ذلك وهو: إنه لا يسمع إلا ذكري، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يتلذذ إلا بتلاوة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا يمد يده إلا بما فيه رضائي، ولا يمشي برجله إلا في طاعتي.

والحاصل أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه الله تعالى إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والشوق إليه تعالى حتى يصير

ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك من حين تصبح إلى حين تمسي. فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك، ومشرف على ظاهرك وباطنك، ومحيط بجميع لحظاتك وخطواتك وسائر سكناتك وحركاتك. وأنك في مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه، فلا يسكن في الملك والملكوت ساكن، ولا يتحرك متحرك إلا، وجبار السموات والأرض مطلع عليه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويعلم السر وأخفى.



مشاهدًا له تعالى بعين البصيرة فكأنه يراه تعالى، فحينئذ يمتلئ قلبه بمعرفته ومحبه. ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى في قلبه غيرها، فلا تستطيع جوارحه أن تبعث إلا بموافقة ما في قلبه، وهذا هو الذي يقال فيه: لم يبق في قلبه إلا الله أي معرفته ومحبه وذكره.

(ولن تصل أيها الطالب) للدرجة العالية (إلى) مقام الإحسان الذي هو حقيقة (القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك) وهو دوام ملاحظتك أي اشتغال قلبك واستغراق أعضائك مع الله تعالى (في) دوام (لحظاتك) بعينك (وأنفاسك من حين تصبح إلى حين تمسي).

فإذا أردت المراقبة (فاعلم أن الله تعالى مطلع) أي عالم (على ضميرك) أي قلبك، (ومشرف) أي ناظر (على ظاهرك وباطنك، ومحيط) أي بعلم تام (بجميع لحظاتك وخطواتك) في بالك (وخطواتك) برجليك (وسائر سكناتك) في المعاصي والطاعات (وحركاتك) في ذلك.

(وأنك في مخالطتك) مع الناس (وخلواتك) بنفسك (متردد) وحاضر (بين يديه) تعالى، (فلا) يسكن في الملك والملكوت) أي في الملك العظيم والتاء للمبالغة، والمراد بذلك: في الأرض والسماء (ساكن، ولا يتحرك) في ذلك (متحرك إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه) أي على كل من الساكن والمتحرك. (يعلم) سبحانه وتعالى (خائنة الأعين) أي خيانتها التي هي أخفى ما يقع من أفعال الظاهر، وهو الإشارة بالعين، كذا قاله الشربيني. ويصح أن يكون ذلك من إضافة الصفة للموصوف أي العين الخائنة بمسارقتها النظر إلى ما لا يحل. (وما تخفي الصدور) أي القلوب من العزم على فعل المعصية والطاعات، (ويعلم السر وأخفى) قال ابن عباس: السر ما تسر في نفسك، وأخفى السر هو ما يليق الله تعالى في قلبك من بعد، ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك لا تعلم ما تسره اليوم ولم تعلم ما تسره غدًا، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر غدًا.

قال بعض المشايخ: فإذا داوم العابد على هذا الذكر وهو: الله شاهدي، الله حاضري، الله مطلع علي؛ أعانه الله تعالى على المراقبة المذكورة، انتهى. وقد أرشد المصنف بذلك العابد إلى أن يأتي بعبادته على الوجه الأكمل من إخلاص وفراغ قلب من شواغل الدنيا. ومن تمكن من تلك المراقبة في عبادته عالمًا بأنه يناجي ملك الملوك، ذهب عنه الوسواس الصادر عن الجهل بمسالك الشريعة وتدبر معاني ما يقول، فإذا كانت عبادته كذلك انفتح له فيها من المعارف ما يقصر عن وصفه كل عارف.

فتأدب أيها المسكين ظاهراً وباطناً بين يدي الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب في حضرة الملك الجبار القهار، واجتهد أن لا يراك مولاك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك. ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك، وترتب أورادك من صباحك إلى مساءك، فاصغ إلى ما يلقي إليك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى مضجعك.

فصل في آداب الاستيقاظ من النوم

فإذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر،



(فتأدب أيها المسكين ظاهراً وباطناً) أي بالجوارح والقلب بمحاسن الأخلاق وبمخالفة

مرادات النفس المنهي عنها من حب الدنيا والرياسة، في مخالطة الناس وفي الانفراد بنفسك (بين يدي الله تعالى تأدب العبد) أي خادم الملك أو واحد من رعيته (الذليل) أي بين الذل (المذنب) أي متحمل الذنب (في حضرة الملك) أي متولي السلطنة (الجبار) أي الذي يقتل عند الغضب (القهار) أي الذي قهر رعيته، فلا يقدر أحد على دفع مراده. قال بعضهم: إذا أردت أن تفعل شيئاً فاعلم أولاً أن الله تعالى حاضر وناظر. فإن كان ذلك الشيء خيراً فافعله بالخضوع أي التذلل في الأعضاء والخشوع أي خفض الصوت رعاية وتعظيماً لله تعالى، وإلا فاتركه خوفاً من الله وعذابه.

(واجتهد) أي فابذل طاقتك في (أن لا يراك مولاك حيث) أي في موضع (نهاك، ولا يفقدك حيث) أي في موضع (أمرك) أي ابذل وسعك في تحصيل اجتناب المعاصي وتحصيل أداء الطاعات لتصل إلى نهاية المطلوب. (ولن تقدر على ذلك) الاجتهاد (إلا بأن توزع) أي تقسم (أوقاتك وترتب أورادك) أي وظائفك (من صباحك إلى مساءك، فاصغ) أي مل (إلى ما يلقي) أي ما يبلغ (إليك من أوامر الله تعالى) المطلوبة (عليك من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى مضجعك) حتى تنام.

فصل في آداب الاستيقاظ من النوم وآداب اللبس

هذه الترجمة ساقطة في بعض النسخ. (فإذا استيقظت) أي أردت الاستيقاظ (من النوم) لتحصيل الفضيلة العظمى (فاجتهد) في طلب (أن تستيقظ قبل طلوع الفجر) لتصلي أول الوقت، لأن التغليس أوّلَى من التنوير (*). لأن الإنسان إذا شرع في الصلاة بسبب ترتيب القراءة حتى ظهر الضوء كانت ملائكة الليل حاضرة، ثم إذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة حتى ظهر الضوء كانت ملائكة النهار حاضرة أيضاً وهم يشهدون صلاته. وأيضاً الإنسان إذا شرع في صلاة الصبح من أول هذا الوقت وامتدت القراءة، ففي أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة إلى الضوء. فالظلمة مناسبة للموت

(*) التغليس بالفجر أي أداء صلاة الفجر في الغلس، وهو ظلمة آخر الليل. والتنوير أي الإسفار، وهو الإضاءة. قال الجزري في النهاية: أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء. وقال في القاموس: سفر الصبح يسفر: أضاء وأشرق كأسفر. انتهى.

وليكن أول ما يجري على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى ، فقل عند ذلك : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. أصبحنا وأصبح الملك لله ، والعظمة والسلطان لله ، والعزة والقدرة لله رب العالمين. أصبحنا على فطرة الإسلام ، وعلى كلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا محمد ﷺ ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور. اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ، ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءاً أو نجره إلى مسلم أو يجره أحد إلينا. نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ، ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه.



والعدم، والضوء مناسبة للحياة والوجود. فالإنسان لما قام من منامه فكأنه انتقل من الموت إلى الحياة، ومن العدم إلى الوجود، ومن السكون إلى الحركة. وهذه الحالة العجيبة تشهد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقلب إلا الخالق بالحكمة. فحينئذ يستتير العقل بنور هذه المعرفة، ويتخلص من مرض قلبه. فإن أكثر الخلق وقعوا في أمراض القلوب، وهي حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر. والأنبياء كالأطباء الحاذقين حملوا أممهم على الشروع في الطاعة والعبودية من أول وقت القيام من النوم، لأنه مما ينفع في إزالة هذا المرض، هكذا قال الشرييني.

(وليكن أول ما يجري على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى) لخبر البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ مَكَانَكَ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنِ اسْتَيْقَظَ ذَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى أَنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ تَوَضَّأَ أَنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ صَلَّى أَنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ». قوله: أول خبر يكن مقدم، وذكر الله اسمها مؤخر.

(فقل عند ذلك) أي الاستيقاظ من النوم: (الحمد لله الذي أحيانا) أي أيقظنا (بعد ما أماتنا) أي أنامنا (وإليه النشور) أي من القبور للجزاء. روى هذا التحميد البخاري عن حذيفة وأبي ذر. (أصبحنا) أي دخلنا في الصباح مملوكين لله (وأصبح) أي صار (الملك لله، والعظمة) أي الكبرياء (والسلطان لله، والعزة والقدرة لله رب العالمين. أصبحنا على فطرة الإسلام) بكسر الفاء أي دين الحق، (وعلى كلمة الإخلاص) وهي كلمة الشهادة، (وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً) أي مائلاً إلى الدين المستقيم (مسلماً، وما كان من المشركين) روى هذا الذكر الأخير الإمام أحمد.

(اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور. اللهم إنا نسألك أن تبعثنا) أي توجهننا (في هذا اليوم إلى كل خير، ونعوذ بك أن نجترح) أي نكتسب (فيه) أي هذا اليوم (سوءاً) أي ذنباً، (أو نجره إلى مسلم، أو يجره أحد إلينا. نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه، ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ

فإذا لبست ثيابك فانو به امتثال أمر الله تعالى في ستر عورتك، واحذر أن يكون قصدك من لبس لباسك مراعاة الخلق فتحسر.

باب آداب دخول الخلاء

فإذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة فقدم في الدخول رجلك اليسرى، وفي الخروج رجلك اليمنى، ولا تستصحب.....

لِلَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذَنَ لِي بِذِكْرِهِ»، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِهِ فَيَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ النَّوْمَ وَالْيَقِظَةَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَنِي سَالِمًا سَوِيًّا، أَشْهَدُ أَنْ اللَّهَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: صَدَقَ عَبْدِي». وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ اسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تَزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» كذا ذكره النووي في أذكاره.

فإذا لبست ثيابك فانو به) أي اللبس (امتثال أمر الله تعالى) الوارد (في ستر عورتك، واحذر أن يكون قصدك من لبس لباسك مراعاة الخلق فتحسر) أي فتهلك. أما لو قصدت بلبس الثياب والنعل ونحو ذلك أن يكون لك تعظيم عند الناس، أو محبة عند المشايخ والأئمة، لتتمكن من تأييد مذهب أهل الحق ونشر العلم وحض الناس على العبادة لا لشرف نفسك من حيث هي ولا لدنيا تنالها، لصار ذلك الأمر خيرًا وصار في حكم أعمال الآخرة، لأن هذه نيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء، إذ المقصود من ذلك أمر الآخرة بالحقيقة كما قاله الغزالي.

وقال بعضهم: وينبغي أن يكون العلماء وطالب العلم في زماننا هذا أحسن ثيابًا وأعظم عمامة وأوسع أكمامًا من الجهلاء أي ليكون العلم قويًا عظيمًا، كما قال أبو حنيفة لأصحابه: عظموا عمامكم ووسعوا أكمامكم، لئلا يستخف الناس بالعلم وأهله. وعن سعيد بن مالك بن سنان أن النبي ﷺ كان إذا لبس ثوبًا قميصًا أو رداءً أو عمامة يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا هُوَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا هُوَ لَهُ». وعن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

باب آداب دخول الخلاء

أي وما معه. (فإذا قصدت بيت الماء) وهو مكان قضاء الحاجة من بول وغائط (لقضاء الحاجة) أو غيره، (فقدم في الدخول رجلك اليسرى) أو بدلها لو قطعت (وفي الخروج رجلك اليمنى) ومثل بيت الماء كل ما ليس شريفًا، ولو خرج من مستقذر إلى مستقذر قدم يساره، كذا أفاده الوائلي. (ولا تستصحب)

شيئاً عليه اسم الله تعالى ورسوله، ولا تدخل حاسر الرأس، ولا حافي القدمين، وقل عند الدخول: باسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم. وعند الخروج: غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى في ما ينفعني. وينبغي أن تعد النبل قبل قضاء الحاجة، وأن لا تستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة، وأن تستبرئ من البول بالتنحح والتر ثلاثاً وبإمرار اليد اليسرى على أسفل القضيب.

أي لا تلازم (شيئاً) معظمًا وإن كتب بقلم هندي، كأن كان (عليه اسم الله تعالى ورسوله) وحمله مكروه فيه، والحروف ليست معظمة لذاتها. (ولا تدخل) فيه (حاسر الرأس) أي كاشفه بلا ستر، ويكفي في الأدب ستره بالكم للأمن من أذى الجن، كما أفاده الرملي. (ولا حافي القدمين) أي بلا نعل وحف للتحفظ من النجاسة.

(وقل عند الدخول) أي لما تصل لبابه وإن بعد محل جلوسه عنه، فإن تركت حتى دخلت فقل بقلبك: (باسم الله) أي أتحصن من الشيطان، ولا تزد: الرحمن الرحيم. (أعوذ بالله) أي أعتصم بالله (من الرجس النجس) بكسر الراء في الكلمة الأولى، وكسر النون في الثانية وسكون الجيم فيهما. (الخبيث المخبث) بضم فسكون فكسر أي الذي يوقع الناس في الخبث أي يفرح بوقوعهم فيه، (الشيطان الرجيم) أي البعيد من الرحمة، وفي رواية ابن عدي: اللهم إني أعوذ بك من الرجس إلى آخره بلا لفظ: باسم الله، وهو موجود في رواية ابن أبي شيبة لكن مع التعوذ الآخر. (وعند الخروج) أي الانصراف من بيت الماء بأن يكون خارجاً عنه: (غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني) أي بإخراج الفضلة (وأبقى في ما ينفعني) هو قوة المأكول والمشروب. ويسن أن يقول عند ذلك أيضاً: غفرانك مرتين أو ثلاثاً، كما أفاده الونائي.

(وينبغي أن تعد النبل) أي أن تحضر أحجار الاستنجاء من مدر وغيره، والنبل بضم النون وفتح الباء جمع نبله مثل غرف وغرفة، لقوله ﷺ: « اتَّقُوا الْمَلَأِينَ وَأَعِدُّوا النَّبْلَ ». (قبل قضاء الحاجة) والجلوس له. (وأن لا تستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة) إن لم يكن معداً لذلك، لئلا يعود عليه الرشاش فينجسه. بخلاف المستنجي بالحجر لفقده تلك العلة، وبخلاف المعد لذلك، فإن الاستنجاء فيه يصيره نظيفاً، إلا إن كان فيه هواء معكوس فيكره ذلك فيه لخوف عود الرشاش. (وأن تستبرئ من البول) أي والغائط أيضاً بعد انقطاعهما (بالتنحح والتر) بالتاء المثناة (ثلاثاً) لقوله ﷺ: « فَلْيَنْتَرْ ذِكْرُهُ ثَلَاثَ نَتْرَاتٍ » يعني بعد البول. وكيفية النتر أن يمسح بيسراه من دبره إلى رأس ذكره، ويعيده بلطف ليخرج ما بقي إن كان، ويكون ذلك بالإبهام والمسبحة لأنه يتمكن بهما من الإحاطة بالذكر؛ وتضع المرأة أصابع يدها اليسرى على عانتها، كذا نقله البجيرمي عن شرح الروض لشيخ الإسلام. لكن المراد بالنتر هنا: مد الذكر بلطف بدليل عطف ما بعده، وهو قوله: (وبإمرار اليد اليسرى) أي بمسحها أي بمسح إبهامها ومسحتها (على أسفل القضيب) وهو قصبه الذكر من مجامع عروقها، ويمسح البطن

وإن كنت في الصحراء فابعد عن عيون الناظرين، واستتر بشيء إن وجدته، ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس. ولا تستقبل الشمس ولا القمر، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها. ولا تجلس في متحدث الناس،



ونحو ذلك. ويختلف الاستبراء باختلاف الناس، وهو سنة إن علم أن بوله ينقطع بمجرد الخروج، وواجب إذا غلب على ظنه عدم انقطاعه إلا بنحو التئح.

(وإن كنت في الصحراء) أو في البنيان (فابعد عن عيون الناظرين) بحيث لا يرى شخصك، وهذا الإبعاد أفضل من الإبعاد عن الناس إلى حيث لا يسمع للخارج منه صوت، ولا يشم له ريح، كما نقله الونائي عن الرملي. (واستتر بشيء) يستر العورة عن يمر عليك وإن لم يكن أحد، ولا يكفي الزجاج. (إن وجدته) سواء وجدت هناك ساتر القبلة أو لا إذا جلس في وسط مكان واسع. فإن كان في بناء مسقف أو يمكن عادة تسقيفه، كفى الستر عن الأعين بذلك البناء وإن تباعد عنه بأكثر من ثلاثة أذرع إن لم يكن داخله من ينظر إليه، وإلا وجب الستر للعورة حينئذ، لأنه يحرم عليه كشف العورة بحضرة الناس، كما قاله الونائي.

(ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس) فإذا انتهيت إليه فاكشف ثوبك شيئاً فشيئاً، إلا أن تخاف تنجس ثوبك فترفعه بقدر حاجتك ثم اسدله كذلك قبل انتصابك. (ولا تستقبل الشمس ولا القمر) بعين بول وغائط عند طلوعهما أو غروبهما بدون ساتر كسحاب، ولا بأس عليك باستدبارهما.

(ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها) فاستقبال القبلة واستدبارها بعين الفرج الخارج منه البول أو الغائط ولو مع عدم الاستقبال بالصدر لعين القبلة بغير ساتر حال قضاء الحاجة حرام في غير المعد لها، وبساتر خلاف الأولى سواء كان بصحراء أو ببناء؛ أما في المعد فخلاف الأفضل إن سهل العدول عن القبلة. والمراد باستدبار القبلة: كشف دبره إلى جهتها حال خروج الخارج منه. فمن قضى الحاجتين معاً لم يجب عليه الاستتار إلا من جهة القبلة فقط إن استقبلها أو استدبرها. ويشترط في عرض الساتر أن يعم جميع ما توجه به إلى القبلة ولو زجاجاً، وهو من السرة إلى الأرض، سواء في ذلك القائم والجالس. فلو قضى حاجته قائماً فلا بد أن يستر من سرته إلى موضع قدميه صيانة للقبلة وإن كانت العورة تنتهي للركبة. ويشترط أن يكون بينه وبين الساتر ثلاثة أذرع فأقل بذراع الأدمي المعتدل. ولا يحرم استقبال المصحف أو استدباره ببول أو غائط وإن كان أعظم من القبلة، لأنه قد يثبت للمفضول ما لا يثبت للفاضل، لكن إذا كان ذلك على وجه يعد ازدراء حرم، بل قد يكون كفرًا، وكذا يقال في استقبال القبر المكرم أو استدباره، كذا أفاده الونائي.

(ولا تجلس) لقضاء الحاجة (في متحدث الناس) وهو محل اجتماع الناس في الشمس شتاء والظل

ولا تبل في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة ولا في الجحر. واحذر الأرض الصلبة ومهب الريح احترازاً من الرشاش لقوله ﷺ: « إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ ». واتكئ في جلوسك على الرجل اليسرى، ولا تبل قائماً إلا عن ضرورة.



صيفاً، والمراد هنا: كل محل غير مملوك لأحد يقصد لغرض كعميشة أو مقيل، فيكره ذلك إن اجتمعوا لأمر مباح، وإلا فلا، بل قد يجب إن لزم على ذلك دفع معصية. اهـ.

(ولا تبل) أي ولا تتغوط أيضاً (في الماء الراكد) قل أو كثر ما لم يستبحر. أما الجاري فلا يكره ذلك في كثيره لقوته، ويحرم ذلك في مسبل وموقوف مطلقاً، وماء هو واقف فيه، إن قل. والتفصيل إنما هو في قضاء الحاجة في الماء نهاراً، أما في الليل فيكره مطلقاً، جارياً كان أو راكداً، مستبحراً أو لا، لأن الماء بالليل مأوى الجن. (وتحت الشجرة المثمرة) ولو كان الثمر مباحاً صيانة للثمرة الواقعة عن التلويث فتعافها الأنفس ولو في غير وقت الثمرة، سواء كان الثمر مأكولاً أو مشموماً، فيكره ذلك ما لم يعلم مجيء ما يزيل ذلك النجس عن المحل قبل وجود الثمرة من مطر أو غيره. (ولا في الجحر) وهو الثقب أي الخرق المستدير النازل في الأرض، وألحقوا به السرب بفتح السين والراء وهو الشق المستطيل لما قيل: إن ذلك مسكن الجن، وأنهم قتلوا سعداً بن عبادة رضي الله عنه لما بال فيه. ويحرم قضاء الحاجة فيه إذا غلب على ظنه أن فيه حيواناً لم يندب قتله يتأذى بذلك النجس أو يموت به، كما قال الونائي.

(واحذر الأرض الصلبة) بضم الصاد وفتحها وسكون اللام أي في البول والغائط المائع لئلا يصيبك رشاش الخارج (ومهب الريح) أي محل هبوبها وقت هبوبها أي مرورها، على ما قاله الرملي، فلا تستقبله (احترازاً من الرشاش) إن كان الخارج بولاً أو غائطاً رقيقاً، ومن عود ريحه إن كان جامداً. وقال ابن حجر والشرييني: المعتبر في الكراهة هبوب الريح الغالب في ذلك الزمن وإن لم تكن هابة بالفعل، إذ قد يهب بعد الشروع في البول والغائط فيتأذى بهما.

(واتكئ) أي اعتمد (في جلوسك على الرجل اليسرى) ناصباً يمينك بأن تضع اليمنى على الأرض وترفع باقيها، لأن ذلك أسهل لخروج الخارج مع راحة الأعضاء الرئيسية (*) كالكبد والقلب، فإنها في جهة اليسار. فإن الإنسان كالجرة الملائنة، فإذا أميلت سهل خروج الخارج منها، وإذا كبت معتدلة كان في خروج الخارج عسر. ولأن المناسب لليمنى أن تصان عن استعمالها في هذا المحل القدر. أما القائم فيعتمد على الرجلين معاً في البول والغائط، كما اعتمده الشيخ عطية أخذاً من كلام المنهاج.

(ولا تبل) ولا تتغوط (قائماً) فذلك مكروه، (إلا عن) أي لأجل (ضرورة) فلا كراهة ولا خلاف الأولى، لأن النبي ﷺ أتى سباطة قوم فبال قائماً. وفي الحديث ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن رسول الله ﷺ

(*) كذا في النسخ المطبوعة، ولعله: الأعضاء الرئيسية.

واجمع في الاستنجاء بين استعمال الحجر والماء، فإذا أردت الاقتصار على أحدهما فالماء أفضل. وإن اقتضرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة للعين، تمسح بها محل النجو بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها، وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر.



فعل ذلك لمرض منعه من القعود، والثاني: أنه استشفى بذلك من وجع الصلب جرياً على عادة العرب من أنهم يستشفون بالبول قياماً، والثالث: أنه لم يتمكن من القعود في ذلك المكان لكثرة النجاسة.

(واجمع في الاستنجاء) من البول والغائط (بين استعمال الحجر والماء) بتقديم الحجر، وهو أفضل من الاقتصار على أحدهما ليجتنب مس النجاسة لإزالة عينها بالحجر، ومن ذلك حصل أصل السنة بالحجر النجس في حال الجمع. روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾^(١)، قال رسول الله ﷺ لأهل قباء: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أُنْتِنَى عَلَيْكُمْ فِي الظُّهُورِ، فَمَا هُوَ؟ »، قالوا: إنا نستنجي بالماء، وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله ﷺ: « إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الخَلَاءَ فَلْيَسْتَنْجِ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ »، وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء. وقيل: إنهم لما سئلوا عن ذلك قالوا: إنا كنا نتبع الماء الحجر، كذا في عوارف المعارف.

(فإذا أردت الاقتصار) في الاستنجاء (على أحدهما فالماء أفضل) لأن النجاسة إنما تزول بالماء. (وإن اقتضرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة) أي متشربة (للعين) فلا يجزئ متنجس، ولا ما فيه رطوبة، وما فيه نعومة كالتراب والفتحم الرخو والقصب الذي لم يشق إذا كان غير جدوره. (تمسح) أي تعم (بها محل النجو) أي الخراء، فإن تعميم كل مسحة من الثلاث لكل جزء من المحل واجب، بأن تضع الحجر على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة وتمرها بالمسح والإدارة إلى مؤخره، وتأخذ الثانية وتضعها على المؤخرة كذلك وتمرها إلى المقدمة، وتأخذ الثالثة فتديرها حول المسربة^(*) إدارة وتمسحها بها من المقدمة إلى المؤخرة. (بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها) الذي أصابته عند الخروج، واستقرت فيه. حتى لو قمت وانضمت ألتياك وانتقلت النجاسة تعين عليك الماء. وقوله: بحيث، الباء بمعنى في وهو متعلق بقوله: أن تستعمل. أما النقل المضطر إليه الحاصل من الإدارة فلا يضر. (وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر) بأن تأخذ حجراً كبيراً بيمينك، والذكر بيسارك، وتمسح الحجر بذكرك، وتحرك اليسار فتمسح ثلاث مرات في ثلاث مواضع من حجر واحد كبير، أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لا ترى الرطوبة في محل المسح، هكذا في الإحياء.

(١) سورة التوبة [٩] الآية: ١٠٨

(*) المسربة بضم الراء وفتحها وضم الميم: مجرى الغائط.

فإن لم يحصل الإنقاء بثلاثة فتمم خمسة أو سبعة إلى أن ينقي بالإيتار، فالإيتار مستحب والإنقاء واجب. ولا تستنج إلا باليد اليسرى، وقل عند الفراغ من الاستنجاء: اللهم طهر قلبي من النفاق، وحصن فرجي من الفواحش. وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالأرض أو بحائط ثم اغسلها.



(فإن) حصل الإنقاء بمرتين وجب عليك الإتيان بالثالثة، وإن (لم يحصل الإنقاء بثلاثة)

من المسحات بأن بقي أثر يزيله ما فوق صغار الخزف فعليك برابع وهكذا. ثم إن أنقيت المحل بوتر فواضح، وإلا (فتمم خمسة) إن أنقيت برابعة (أو سبعة) إن أنقيت بستة وهكذا (إلى أن ينقي) أي الموضع، ويحصل المسح (بالإيتار) أي الانفراد. (فالإيتار) بواحدة بعد الإنقاء الذي لم يحصل بوتر (مستحب، والإنقاء) إلى أن لا يزيل الأثر إلا الماء أو صغار الخزف (واجب).

واعلم أن المصنف ذكر لإجزاء الاقتصار على الحجر ستة شروط: شرطين في ذات الحجر، وهما كونه طاهراً قالعاً لعين النجاسة، وثلاثة شروط لإجزاء استعمال الحجر وهي: ثلاث مسحات، وتعميم المحل بكل مسحة، وإنقاء المحل، وشرطاً واحداً للمحل الذي يستنجى فيه وهو عدم انتقال الخارج.

(ولا تستنج إلا باليد اليسرى) بأن تأخذ الحجر بيسارك على الكيفية المذكورة، وبأن تفيض الماء باليمنى على محل الخراء، وتدلكه باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس. ويكفي في ذلك غلبة ظن زوال النجاسة، ولا يسن حينئذ شم اليد. وينبغي الاسترخاء لئلا يبقى أثرها في تضاعيف شرح المقعدة^(*)، فتنبه لذلك، كذلك قاله ابن حجر.

(وقل عند الفراغ من الاستنجاء) وبعد الخروج من محله: (اللهم طهر قلبي من النفاق) أي نفاق الاعتقاد أي الاعتقاد الفاسد كاعتقاد المعتزلة فيكون المعنى: أدم تطهيره منه، أو نفاق العمل فيكون المعنى: اقطع قلبي عن أصول النفاق من القوة الشهوية والغضبية. (وحصن فرجي من الفواحش) أي اجعله عفيفاً عن الأمور التي تجاوز الحد.

واعلم أن التكلم ولو بغير ذكر بمجرد الدخول في محل قضاء الحاجة مكروه ولو بغير قضائها كأن دخل لوضع إبريق مثلاً أو لكسب إلا لمصلحة، ولا يكره الذكر بالقلب. ويكفي في هذه الحالة الحياء من الله والمراقبة وذكر نعمة الله تعالى في إخراج هذا العدو المؤذي الذي لو لم يخرج لقتل صاحبه. وهذا من أعظم الذكر ولو لم يقل باللسان، كما قاله عمر البصري.


(وادللك يدك بعد تمام الاستنجاء بالأرض أو بحائط) أي جدار إزالة للرائحة إن بقيت، (ثم اغسلها) أي اليد. ومن الآداب أيضاً عدم تطويل القعود بلا ضرورة، وعدم العبث باليد وبالرؤية إلى اليمين والشمال، وعدم النظر للسماء أو الفرج أو للخارج بلا حاجة.

(*) الشرح: مجمع حلقة الدبر الذي ينطبق. وفي حاشية البجيرمي: وكذا أثر البول في تضاعيف باطن الشفرين. انتهى.

باب آداب الوضوء

فإذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك، فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان. وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ»، وعنه ﷺ: «أَمَرْتُ بِالسَّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ». ثم اجلس للوضوء مستقبلاً القبلة على موضع مرتفع كي لا يصيبك الرشاش، وقل: بسم الله الرحمن الرحيم. رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون. ثم اغسل يديك ثلاثاً قبل أن تدخلهما الإناء، وقل: اللهم إني أسألك اليمن.....

باب آداب الوضوء

المراد بالآداب هنا المطلوبة فتشمل المندوبة والواجبة، كما أفاده شيخنا عبد الحميد.  فإذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك) وانو بالسواك السنة وتطهير الفم لقراءة القرآن وذكر الله في الصلاة، كما تنوي بالجماع حصول النسل. (فإنه) أي السواك (مطهرة للفم) بفتح الميم وكسرهما أي آلة تنظفه من الرائحة الكريهة. (ومرضاة للرب، ومسخطة للشيطان. وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك) لخبر رواه الحميدي: «رَكْعَتَانِ بِسَوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِلَا سَوَاكِ»، وفي رواية: «رَكْعَةٌ بِسَوَاكِ تَعْدِلُ سَبْعِينَ رَكْعَةً»، ولا يدل هذا الحديث على زيادة فضل السواك على فضل الجماعة التي هي بسبع وعشرين درجة، لأنه لم يتحد الجزاء فيهما، لأن درجة واحدة من الجماعة قد تعدل كثيراً من السبعين ركعة بسواك. وقال الونائي: وقد يجب الاستياك لامرأة إذا أمرها زوجها، وللمملوك إذا أمره سيده، ولمن أكل ثوماً أو بصلاً يوم الجمعة. وقد توقفت إزالة الرائحة على السواك لأجل صلاة الجمعة أهـ.

(ثم) عند الفراغ من السواك (اجلس للوضوء) وهذا موافق لما في كلام الرملي والماوردي من أن محله قبل غسل الكفين، خلافاً للإمام وابن الصلاح وابن النقيب وابن حجر والشرييني من أن محله بين غسل الكفين والمضمضة. (مستقبل القبلة على موضع مرتفع كي لا يصيبك الرشاش) بفتح الراء أي المتناثر من الماء. (وقل: بسم الله الرحمن الرحيم) فإن قلت: بسم الله كفى، فإن تركت البسملة في أول الوضوء فأت بها في أثناءه، فإن فرغت فلا تأت بها لفوت محلها. ثم قل: الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً، كذا في الأذكار. (رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أي وساوسهم (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي أن تصيبني الشياطين بسوء، كذا في الصحاح.

(ثم اغسل يديك) أي كفيك إلى كوعيك (ثلاثاً قبل أن تدخلهما الإناء، وقل: اللهم إني أسألك اليمن)

والبركة، وأعوذ بك من الشؤم والهلكة. ثم انور رفع الحدث أو استباحة الصلاة، ولا ينبغي أن تعزب نيتك قبل غسل الوجه، فلا يصح وضوءك. ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثاً، وبالغ في رد الماء إلى الغلصمة إلا أن تكون صائماً فترفق، وقل: اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك، وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ثم خذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلاثاً، واستنثر ما في الأنف من رطوبة، وقل في الاستنشاق: اللهم أرحني رائحة الجنة وأنت عني راض، وفي الاستنثار: اللهم إني أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار. ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدئ تسطیح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض، وأوصل الماء إلى موضع التحذيف



بضم الياء أي القوة على الطاعة (والبركة) أي زيادة الخير. (وأعوذ بك من الشؤم) أي الشر (والهلكة) بفتح أحرفه. أو قل مثل ما نقل عن الرملي وهو: اللهم احفظ يدي من معاصيك كلها.

(ثم انور رفع الحدث أو استباحة الصلاة) واستدم النية إلى غسل الوجه، ولا يقدح في نية رفع الحدث عند أول غسل الكفين أن السنن المقدمة لا ترفع الحدث، لأن السنن في كل عبادة تدرج في نيتها على سبيل التبعية. فمعنى نية رفع الحدث: قصد رفعه بمجموع أعمال الوضوء، وهو رافع بلاشك، كذا في حاشية الإقناع. (ولا ينبغي) أي لا يجوز (أن تعزب) بضم الزاي وكسرها (نيتك) أي أن تغيب عنك ذكراً (قبل غسل) جزء من (الوجه، فلا يصح وضوءك).

(ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثاً، وبالغ في رد الماء إلى الغلصمة) أي رأس الحلقوم، وهو الموضع الناتئ في الحلق، وأدر الماء في فيك ثم مجه. (إلا أن تكون صائماً) أي أو ممسكاً لترك النية (فترفق) بضم الفاء لخوف الإفطار. (وقل: اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك) أو مثل ما ذكر في الأذكار وهو: اللهم اسقني من حوض نبيك ﷺ كأساً لا أظمأ بعده أبداً، أو قل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك.

(ثم خذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلاثاً) وبالغ في تصعيد الماء بالنفس إلى الخيشوم ما لم تكن صائماً. (واستنثر ما في الأنف من رطوبة) وأذى بخنصر يدك اليسرى. (وقل في الاستنشاق: اللهم أرحني) وفي بعض النسخ: أوجد لي (رائحة الجنة وأنت عني راض) وفي الأذكار بدل ذلك: اللهم لا تحرمني رائحة نعيمك وجنتك. (وفي الاستنثار: اللهم إني أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار) لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة.

(ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدئ تسطیح الجبهة) أي من أعلى بسطها (إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض، وأوصل الماء إلى موضع التحذيف) فهو من

وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو ما بين رأس الأذن إلى زاوية الجبين، أعني ما يقع منه في جبهة الوجه. وأوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة: الحاجبين والشاربين والأهداب والعدارين وهما ما يوازيان الأذنين من مبتدئ اللحية. ويجب إيصال الماء إلى منابت الشعر من اللحية الخفيفة دون الكثيفة، وقل عند غسل الوجه: اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك، ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك. ولا تترك تحليل اللحية الكثيفة. ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين إلى أنصاف العضدين، فإن الحلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء.



الرأس لاتصال شعره بشعر الرأس وبعضه من الوجه (وهو ما يعتاد النساء) والأكابر وهو ما له وجاهة (تنحية الشعر) أي إزالته (عنه) ليتسع الوجه، (وهو ما بين رأس الأذن) أي أصلها الذي يعلوه بياض مستور بالمرتفع منها، فهو فوق الوتد قريب ليس بينه وبينه فاصل إلا الجزء المنخفض، فالجزء الذي فوق هذا المنخفض هو المسمى برأس الأذن (إلى زاوية الجبين) أي إلى ركن فوق الصدغ. (أعني) بموضع التحذيف (ما) أي القدر الذي (يقع منه في جبهة الوجه) أي جانبها بأن يوضع طرف خيط على رأس الأذن والطرف الثاني على أعلى الجبهة ويجعل هذا الخيط مستقيماً، فما نزل عنه إلى جانب الوجه الملاصق للزعة فهو موضع التحذيف. (وأوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة: الحاجبين، والشاربين) الشاملين للسابلين، (والأهداب، والعدارين وهما ما يوازيان) أي يحاذيان (الأذنين من مبتدئ اللحية) وهو ما بين الصدغ والعارض مما ينبت أولاً للأمرد غالباً. (ويجب إيصال الماء إلى منابت الشعر من اللحية الخفيفة) بأن ترى البشرة من تحتها في مجلس التخاطب (دون الكثيفة).

والحاصل أن لحية الذكر وعارضيه وما خرج من حد الوجه من الشعور ولو من امرأة وخنثى إن كثف وجب غسل ظاهره فقط، وما عدا ذلك يجب غسله مطلقاً أي ظاهراً وباطناً ولو كثيفاً، هذا هو المعتمد في شعور الوجه فاعتمده، كذا نقله البجيرمي عن الشيراملسي.

(وقل عند غسل الوجه: اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك، ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك) والأخصر من ذلك: اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. (ولا تترك تحليل اللحية الكثيفة) قبل غسل الوجه، كما قاله عطية تبعاً للعناني، إلا إذا كنت محرماً فاتركه لخوف انتتاف الشعر كما اعتمده الرملي وتبعه ابن القاسم والزيايدي والشيراملسي. وهو بأصابع اليد اليمنى من أسفلها على الأفضل، ومثلها كل شعر يكفي غسل ظاهره.

(ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين إلى أنصاف العضدين، فإن الحلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء) وحرك الخاتم وخلل قبل غسلهما أصابعهما. والأولى في تحليل اليد اليمنى أن يجعل بطن اليسرى على ظهر اليمنى، وفي تحليل اليد اليسرى بالعكس خروجاً من فعل العبادة على صورة

وقل عند غسل اليمنى: اللهم أعطني كتابي بيمينى وحاسبني حساباً يسيراً، وعند غسل الشمال: اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري. ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تبل يديك، وتلصق رءوس أصابع يدك اليمنى باليسرى، وتضعهما على مقدمة الرأس، وتمرهما إلى القفا، ثم تردهما إلى المقدمة. فهذه مرة، تفعل ذلك ثلاث مرات، وكذلك في سائر الأعضاء. وقل: اللهم غشني برحمتك، وأنزل علي من بركاتك، وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك. اللهم حرم شعري وبشري على النار. ثم امسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء جديد، وأدخل مسبحتيك في صماخي أذنيك، وامسح ظاهر أذنيك ببطن إبهاميك، وقل: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أسمعني منادي الجنة في الجنة مع الأبرار.



العادة في التشبيك، كذا في البجيرمي نقلاً عن الشوبري. وابدأ باليمنى (وقل عند غسل اليمنى: اللهم أعطني كتابي بيمينى وحاسبني حساباً يسيراً) وهو المسمى بحساب العرض. وعند غسل الشمال: اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري).

(ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تبل يديك، وتلصق رءوس أصابع يدك اليمنى باليسرى، وتضعهما على مقدمة الرأس) وتضع إبهاميك على صدغيك. (وتمرهما) أي اليدين (إلى القفا، ثم إن انقلب شعرك (تردهما إلى المقدمة) ليصل الماء لجميع الرأس. (فهذه) أي الإمرار والرد (مرة) لعدم تمام المسحة بالإمرار إلى القفا من غير رد إلى المبدأ، فإن لم ينقلب شعرك لضفره* أو لقصره أو عدمه فلا ترد لعدم الفائدة لاستعمال الماء فيما لا بد منه وهو مسح البعض الواجب، فلا يحسب مرة ثانية. (تفعل ذلك) أي الاستيعاب (ثلاث مرات، وكذلك) أي فعل التثليث (في سائر الأعضاء. وقل: اللهم غشني) أي غطني (برحمتك، وأنزل علي من بركاتك، وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك) وفي الأذكار بدل ذلك: (اللهم حرم شعري وبشري على النار) وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.

(ثم امسح أذنيك ظاهرهما) وهو ما يلي الرأس (وباطنهما) وهو ما يلي الوجه (بماء جديد) أي غير ماء بلل الرأس. (وأدخل مسبحتيك) أي رأسهما (في صماخي أذنيك) وأدرهما في المعاطف (وامسح ظاهر أذنيك ببطن إبهاميك) والوجه أشرف الأعضاء، لكن فيه منافذ: في بعضها مر كوسخ الأذنين، والبعض ملح كالدمع، والبعض حامض كالذي في الأنف، والبعض عذب كالريق. وجملة منافذه ست: العينان، والأذنان، والفم، والأنف، كذا قال الشيخ عطية. (وقل: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أسمعني منادي الجنة) وهو سيدنا بلال بن رباح الحبشي (في الجنة مع الأبرار) أي المطيعين لله.

(* الضفر: نسج الشعر وغيره عريضاً.

ثم امسح رقبته، وقل: اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال. ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين، واخلل بخنصر اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتدئاً بخنصرها حتى تختم بخنصر اليسرى، وتدخل الأصابع من أسفل. وقل: اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين، وكذلك تقول عند غسل اليسرى: اللهم إني أعوذ بك أن تنزل قدمي على الصراط في النار يوم تنزل أقدام المنافقين والمشركين. وارفع الماء إلى أنصاف الساقين، وراع التكرار ثلاثاً في جميع أفعالك. فإذا فرغت فارفع بصرك إلى السماء، وقل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن



(ثم امسح رقبته، وقل: اللهم فك رقبتي) أي ذاتي (من النار، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال) قال النووي: ومسح الرقبة بدعة لا يسن، كما نقل عن شرح الروض.

(ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين) إن وجدا ومع قدرهما إن فقدا. (وخلل) قبل غسلهما أصابعهما بأي كيفية كان، والأفضل أن تخلل (بخنصر) اليد (اليسرى) أصابع رجلك اليمنى مبتدئاً بخنصرها حتى تختم بخنصر اليسرى، وتدخل الأصابع من أسفل) أي أسفل الرجلين فيكون التخليل بخنصر من خنصر إلى خنصر أي بخنصر اليد اليسرى، ويتدئ بخنصر الرجل اليمنى ويختم بخنصر الرجل اليسرى. وادلك أعضائك المغسولة بعد إفاضة الماء عليها، وبالغ في العقب خصوصاً في الشتاء. (وقل: اللهم ثبت قدمي) بكسر الميم وهو مفرد مضاف فيعم الاثنين (على الصراط المستقيم) يوم تنزل الأقدام في النار. وقل (عند غسل اليسرى: اللهم إني أعوذ بك أن تنزل قدمي) بالافراد، ولو أريد المثني لقليل: قدماي بألف بعد الميم. (على الصراط في النار يوم تنزل أقدام المنافقين) والأخصر من ذلك ما في الأذكار للنووي وهو أن تقول عند غسل الرجلين: اللهم ثبت قدمي على الصراط.

(وارفع الماء إلى أنصاف الساقين، وراع التكرار ثلاثاً في جميع أفعالك) من الغسل والمسح والتخليل والدلك والسواك وسائر الأذكار كالبسملة والتلفظ بالنية، كما نقله عطية عن الشيراملسي، والتشهد آخر الوضوء. وأما دعاء الأعضاء فقال النووي: لم يجئ فيه شيء عن النبي ﷺ، وإنما هي دعوات جاءت عن السلف الصالحين وزادوا ونقصوا فيها. وقال ابن حجر: ورد ذلك من طرق لا تخلو من كذب، لكن المحلي والرملي الكبير والصغير اعتمدوا استحبابه لورود ذلك في تاريخ ابن حبان وغيره وإن كان ضعيفاً، لأن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال. فشرط العمل بالحديث الضعيف: عدم شدة ضعفه، وأن يدخل تحت أصل عام، وأن يكون في العبادات.

(فإذا فرغت) أي من التطهر (فارفع بصرك إلى السماء) ولو كنت أعمى، وارفع يديك واستقبل القبلة بصدرك، لأن السماء قبلة الدعاء، ولأن حوائج العباد في خزانة تحت العرش فالداعي يمد يديه لحاجته، ولأن الكعبة أشرف الجهات. (وقل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

محمدًا عبده ورسوله. سبحانهك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، عملت سوءًا وظلمت نفسي، أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم. اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، واجعلني من عبادك الصالحين، واجعلني صبورًا شكورًا، واجعلني أذكرك ذكرًا كثيرًا، وأسبحك بكرة وأصيلًا. فمن قرأ هذه الدعوات في وضوئه خرجت خطاياها من جميع أعضائه، وختم على وضوئه بخاتم، ورفع له تحت العرش، فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدمه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة.



محمدًا عبده ورسوله) كما رواه مسلم والترمذي. (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، عملت سوءًا) أي ذنبًا (وظلمت نفسي) أي بارتكاب المعاصي (أستغفرك) أي أطلب منك المغفرة، وهي ستر الذنب من غير مصاحبة عقوبة (وأتوب إليك) أي آتني بصورة التائب الخاضع للدليل، أو المعنى: أسألك أن تتوب علي، كما رواه الحاكم لإقوله: عملت سوءًا وظلمت نفسي، فليس فيه. (فاغفر لي وتب علي) أي أنقذني من المعاصي (إنك أنت التواب الرحيم. اللهم اجعلني من التوابين) من الذنوب، والراجعين عن العيوب، (واجعلني من المتطهرين) أي بالإخلاص عن تبعات الذنوب السابقة، وعن التلطيخ بالسيئات اللاحقة، أو من المتطهرين من الأخلاق الذميمة. فيكون فيه إشارة إلى أن طهارة الأعضاء الظاهرة لما كانت بيدنا طهرناها؛ وأما طهارة الباطنة فإنما هي بيدك فأنت تطهرها بفضلك. وهاتان الكلمتان رواهما الترمذي. (واجعلني من عبادك الصالحين) أي القائمين بما عليهم من حقوق الله وحقوق عباده، (واجعلني) عبدًا (صبورًا شكورًا) أي كثير الصبر وكثير الشكر لك. والصبر هو تعظيم الله تعالى تعظيمًا يمنع عن الجزع فيما أصابه. ويحمل الصبر على الشكر وهو تعظيم المنعم وهو يمنع عن الكفران ويحمل على الصبر، فأحدهما لا ينفك عن الآخر، لأن الباعثة عليهما واحدة وهي الاستقامة. (واجعلني أذكرك ذكرًا كثيرًا، وأسبحك بكرة وأصيلًا) أي عشياً وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب كما في المصباح، وقل عقب ذلك: وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد وأصحابه، ويستحب أن يكرر ذلك ثلاثاً.

(فمن قرأ هذه الدعوات) التي رواها مسلم والترمذي والحاكم (في وضوئه) أي بعده (خرجت) جميع (خطاياها) أي ذنوبه (من جميع أعضائه) وكتب هذا اللفظ في جلد (وختم) أي طبع (على وضوئه) أي ثوابه (بخاتم) بفتح التاء، ويصان صاحبه من تعاطي مبطل ثوابه بأن يرتد، والعياذ بالله تعالى. وفي ذلك بشرى بأن من قال تلك الدعوات لا يرتد، وأنه يموت على الإيمان. (ورفع له) أي الوضوء (تحت العرش، فلم يزل) أي الوضوء (يسبح الله تعالى) أي ينزهه عما يقول الجاحدون (ويقدمه) أي يطهره عن كل نقص وما خطر بالبال، (ويكتب له) أي للمتوضئ (ثواب ذلك) أي التسييح والتقديس (إلى يوم القيامة) ويتجدد ذلك بتعدد الوضوء، لأن الفضل لا امتناع عليه. فإذا قال تلك الدعوات ثلاثاً عقب الوضوء كتب ثلاث مرات، وما ذلك على الله بمنتنع. وقرأ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ثلاثاً، فإن من قرأها مرة

واجتنب في وضوئك سبعاً: لا تنفض يديك فترش الماء، ولا تلم وجهك ولا رأسك بالماء لطمًا، ولا تتكلم في أثناء الوضوء، ولا تزد في الغسل على ثلاث مرات، ولا تكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسة، فللموسوسين شيطان يضحك بهم يقال له: الولهان،



واحدة في أثر وضوئه كان من الصديقين، ومن قرأها مرتين كتب في ديوان الشهداء، ومن قرأها ثلاثًا حشره الله محشر الأنبياء كما في الحديث. ويسن بعد قراءة تلك السورة أن تقول: اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي، ولا تفتني بما زويت عني.*

تنبيه: يندب إدامة الوضوء لما ورد في الحديث القدسي: « يَا مُوسَى، إِذَا أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ وَضُوءٍ، فَلَا تُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ »، ولقوله ﷺ: « دُمَّ عَلَى الطَّهَّارَةِ، يُوسَّعُ عَلَيْكَ الرَّزْقُ »، كما أفاد ذلك البجيرمي نقلًا عن سيدي مصطفى البكري.

(واجتنب في وضوئك سبعاً) من الخصال: (لا تنفض يديك فترش الماء) لأن النفض كالتيبري من العبادة فهو خلاف الأولى، وكذا التشيف بلا عذر وهو أخذ الماء بخرقة؛ أما إذا كان لعذر فيسن، وتقديم حينئذ اليسار على اليمين لأنه يزيل أثر العبادة. فينبغي البداءة فيه باليسرى ليقى أثرها على الأشرف. كأن خرجت بعد وضوئك في هبوب ريح ينجس أو ألمك شدة نحو برد، والأولى أن لا يكون بذيلك ولا بطرف ثوبك ونحوهما، كما نقله الونائي عن الذخائر. ويسن تشيف الميت بعد غسله.

(ولا تلم وجهك ولا رأسك بالماء لطمًا) بل تأخذ الماء بكفيك، وتغسل وجهك بهما معًا، وتمسح بهما رأسك. (ولا تتكلم في أثناء الوضوء) بلا عذر، ولا يكره الكلام له ولو من عار، لأنه ﷺ كلم أم هانئ يوم فتح مكة وهو يغتسل، كما أفاده ابن حجر. (ولا ترد في الغسل) أي والمسح (على ثلاث مرات) ولا تنقص عنها فإن ذلك مكروه، إلا لعذر كأن ضاق الوقت بحيث لو اشتغل بالتثليث لخرج الوقت فحينئذ يحرم التثليث، أو قل الماء بحيث لا يكفيك إلا للفرض فتحرم حينئذ الزيادة عليه، أو احتجت إلى الفاضل عن الماء لعطش فيحرم عليك التثليث. وإدراك الجماعة أفضل من تثليث الوضوء وسائر آدابه التي لم يقل المخالف بوجوبها كمسح جميع الرأس والدلك للأعضاء، وإلا قدم على الجماعة.

(ولا تكثر صب الماء) بحيث يزيد على ما يكفي العضو، وإن لم يزد على الثلاث (من غير حاجة) ولو على شط نهر فذلك مكروه إذا كان (بمجرد الوسوسة) وكان الماء مملوكًا له أو مباحًا، فإن كان موقوفًا حرم الإسراف. (فللموسوسين شيطان يضحك) وفي بعض النسخ: يلعب (بهم) أي يهزأ بهم (يقال له: الولهان) بسكون اللام وهو الذي يوله الناس بكثرة استعمال الماء. وذكر بعضهم أن لإبليس تسعة من الولد، لكل منهم اسم وعمل، فمنهم: خنزب وهو الموسوس في الصلاة. والولهان وهو

(*) تمة: وفي نهاية الزين للشارح: وشربه من فضل وضوئه يفتح الواو أي مائه الذي توضع به، لما ورد في الخبر أن فيه شفاءً من كل داء.

ولا تتوضأ بالماء المشمس، ولا من الأواني الصفرية. فهذه السبعة مكروهة في الوضوء. وفي الخبر: «أَنَّ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ وُضُوئِهِ طَهَّرَ اللَّهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ لَمْ يُطَهَّرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَهُ الْمَاءُ.»



الموسوس في الطهارة. والثالث: زلنبور بزاي مفتوحة ولام مشددة بعدها نون فموحدة وآخره راء، وهو في كل سوق يزين للبايعين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة وتطيف الكيل والميزان. والرابع: الأعور وهو شيطان الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجر المرأة. والخامس: الوسان بو او مفتوحة وسين مهملة ساكنة ونونين بينهما ألف، وهو شيطان النوم يثقل الرأس والأجفان عن القيام إلى الصلاة ونحوها، ويوقظ إلى القبيح من زنا ونحوه. والسادس: تبر بفوقية فموحدة فراء، وهو اسم شيطان المصيبة يزين الصباح ولطم الحدود ونحوه. والسابع: داسم بدال وسين مهملتين بينهما ألف، وهو اسم شيطان الطعام يأكل مع الإنسان، ويدخل المنزل إن لم يسم عند طعامه ودخوله، وينام على الفراش، ويلبس الثياب إن لم تكن مطوية وذكر اسم الله عليها، وقيل: إنه يسعى في إثارة الخصام بين الزوجين ليفرق بينهما. والثامن: مطون بميم مفتوحة فطاء مهملة وآخره نون، ويقال: مسوط بسين مهملة مضمومة وآخره طاء مهملة، وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها على ألسنة الناس، ثم لا يوجد لها أصل. والتاسع: الأبيض بموحدة فتحتية فضاء معجمة، موكل بالأنبياء والأولياء. أما الأنبياء فسلموا منه، وأما الأولياء فهم مجاهدون له، فمن سلمه الله سلم، ومن أغواه الله غوى، كذا أفاده حسين بن سليمان الرشدي.

(ولا تتوضأ بالماء المشمس) أي ما أثرت فيه الشمس بحيث قويت على أن تفصل بحدتها زهومة من الإناء الذي يقبل المطرقة غير النقدين ولو مغطى، لكن كراهة المكشوف أشد لما روي عن عائشة أنها سخنت ماء في الشمس لرسول الله ﷺ، فقال: «لَا تَفْعَلِي يَا حُمَيْرَاءُ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الْبَرَصَ.» وهذا الحديث وإن كان ضعيفاً لضعف سنده يقويه خبر عمر رضي الله عنه: إنه كان يكره الاغتسال بالشمس، وروي أنه قال: لا تغتسلوا بالماء المشمس فإنه يورث البرص، ولا تخللوا بالقصب فإنه يورث الأكلة، وهذا مشتهر بين الصحابة فصار إجماعاً سكوتياً. وقيس بالاغتسال باقي أنواع الاستعمالات في البدن ظاهراً وباطناً بأن يشرب ذلك الماء. (ولا) تتوضأ (من الأواني الصفرية) بل من الخزفية أو الجلدية أو الخشبية لما قد روي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما من كراهية إناء الصفر.

(فهذه السبعة مكروهة في الوضوء) أي مشتملة على خلاف الأولى كما في النفض والتكلم. (وفي الخبر) الذي رواه عبد الرزاق عن الحسن الكوفي: «أَنَّ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ وُضُوئِهِ طَهَّرَ اللَّهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ لَمْ يُطَهَّرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَهُ الْمَاءُ.» قال علي بن أحمد العريزي في معنى هذا الحديث: أي من سمى الله أول الوضوء طهر الله جسده الظاهر والباطن، فإن لم يذكر اسم الله عنده لم يظهر منه إلا الظاهر دون الباطن.

تتمة: يسن الوضوء في مواضع نظمها بعضهم [من بحر الطويل] بقوله:



- وَيَنْدُبُ لِلْمَرْءِ الْوُضُوءَ فَخُذْ لَدَى * مَوَاضِعَ تَأْتِي وَهِيَ ذَاتُ تَعَدُّدٍ
 قِرَاءَةِ قُرْآنٍ سَمَاعِ رِوَايَةٍ * وَدَرْسِ لِعِلْمٍ وَالدُّخُولِ لِمَسْجِدِ
 وَذِكْرِ وَسَعْيٍ مَعَ وَقُوفِ بَعْرِفَةٍ * زِيَارَةِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدِ
 وَبَعْضِهِمْ عَدَّ الْقُبُورَ جَمِيعَهَا * وَخُطْبَةِ غَيْرِ الْجُمُعَةِ أَضْمَمَ لِمَا بُدِي
 وَنَوْمٍ وَتَأْذِينَ وَعُغْسَلَ جَنَابَةَ * إِقَامَةَ أَيُّضًا وَالْعِبَادَةَ فَأَعْدُدِ
 وَإِنْ جُنُبًا يَخْتَارُ أَكْلًا وَنَوْمًا * وَشُرْبًا وَعَوْدًا لِلْجِمَاعِ الْمُجَدِّدِ
 وَمَنْ بَعْدَ فَصْدٍ أَوْ حِجَامَةٍ حَاجِمٍ * وَقِيٍّ وَحَمَلِ الْمَيْتِ وَاللَّمْسِ بِالْيَدِ
 لَهُ أَوْ لِحَنْثَى أَوْ لَمَسِ لِفَرْجِهِ * وَمَسِّ وَلَمَسٍ فِيهِ خَلْفٌ كَأَمْرِدِ
 وَأَكْلِ جَزُورٍ غَيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ * وَقُحْشٍ وَقَذْفِ قَوْلِ زُورٍ مُجَرَّدِ
 وَقَهْقَهَةٍ تَأْتِي الْمُصَلِّيَّ وَقَصْنَا * لِشَارِبِنَا وَالْحَلْقِ وَالْغَضَبِ الرَّدِّي
 بُلُوغِ بَسِنٍ مَسِّ فَرْجٍ بِهَيْمَةٍ * خُرُوجِ لِشَيْءٍ مِنْ فُتُوحٍ وَمُرْتَدِ
 وَرَفْعِ لُصُوقٍ لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَنْدَمِلُ * وَمَسِّ لِلْإِنْفِتَاحِ إِنْ كَانَ مِنْ مَعْدِ
 وَحَمَلِ لِتَفْسِيرٍ إِذَا كَانَ أَكْثَرُ * مِنْ الْمُصْحَفِ الرَّسْمِيِّ صِلَ وَجَدِّدِ

وشرح هذه الأبيات: أن الوضوء الشرعي لا اللغوي الذي هو مجرد غسل اليدين يطلب في مواضع كثيرة: في قراءة قرآن أي إرادته، وفي سماع للقرآن وللحديث، وفي رواية الحديث غير الموضوع يقيناً أي تحمله رواية عن الشيخ، وفي تعلم علم شرعي من تفسير وحديث وفقه وتعليمه للطلبة، أما آياته فلا يسن لها الوضوء، وفي دخول المسجد ولو ماراً ولو لجنب، وفي ذكر الله تعالى، وفي سعي بين الصفا والمروة، وفي وقوف عرفة، وفي زيارة قبر النبي ﷺ وزيارة سائر القبور، وفي خطبة غير الجمعة، وفي نوم ليلاً أو نهاراً ولو قليلاً قاعداً متمكناً، وفي أذان، وفي غسل جنابة وغيرها من غسل واجب ومندوب، وفي إقامة الصلاة، وفي العبادة ككتابة الفقه وكرمي الجمار، وعند إرادة الجنب أكلاً ولو محرماً كمغصوب أو شرباً كذلك أو نوماً، أو وطأ جائزاً بأن أراد وطء حليلته ثانياً وإن كانت الجنابة الأولى من غير وطء؛ أما المحرم كالزنا فلا يسن له الوضوء، وفي فصد وحجامة، وقبيء أي بعدها، وفي حمل ميت أي قبله وبعده، وفي مس جزء ميت وإن لم ينقض الوضوء كالشعر والظفر فيسن بعده الوضوء، وفي لمس الرجل أو المرأة بدن الخنثى، وفي مس أحد قبله ومحل سنية الوضوء بعد ذلك إذا مس كل من الرجل والمرأة غير ما له، وفي مس الأمرد الحسن للخلاف في نقضه الوضوء، وفي أكل لحم إبل، وفي غيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره فيسن الوضوء بعدها ولو كنت متوضئاً، ونميمة وهي السعي بين الناس بالإفساد، وفي فحش كسخرية ويمين غموس وشهادة زور، وفي قذف زنا، وفي قول

آداب الغسل

فإذا أصابتك جنابة من احتلام أو وقاع فخذ الإناء إلى المغتسل، واغسل يديك أولاً ثلاثاً، وأزل ما على بدنك من قدر، وتوضأ كما سبق في وضوئك

كذب لغير مصلحة، وفي قهقهة في الصلاة فإن القهقهة داخل الصلاة تبطل الوضوء عند أبي حنيفة؛ أما القهقهة خارجها فلا تبطل الوضوء عنده كما قرره شيخنا عبد الحميد والشيخ يوسف السنبلوي، وفي قص شارب وسبال، وفي حلق الرأس، وفي الغضب ولو لله تعالى لقوله ﷺ: « إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ؛ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ ». وفي البلوغ بالسن فيسن له الوضوء مع استحباب الغسل أيضاً، لأن الوضوء يطلب له استقلالاً بدون الغسل، لأن حكمة الغسل احتمال نزول المني من حيث لا يشعر ولذا ينوي به رفع الجنابة وهذا لا يظهر في الوضوء. وفي مس فرج البهيمة، فيسن الوضوء بعده، لأن مس المشقوق منه ينقض الوضوء على القول القديم؛ أما دبر البهيمة فلا ينقض بلا خلاف كما أفاده الدميري. وفي خروج شيء من المنفتح مطلقاً أي في أي موضع كان، وفي الردة، وكذا في قطع النية بعد فراغ الوضوء، وفي رفع لصوق الجرح عند توهم الاندمال فرآه لم يندمل، وفي مس المنفتح تحت المعدة مع انفتاح الأصلي، وفي حمل كتب التفسير إذا كان التفسير أكثر من القرآن، وهذا باعتبار رسم مصحف سيدنا عثمان الذي اختص به نفسه المسمى بالإمام؛ وأما التفسير فباعتبار رسمه على قواعد علم الخط، هذا ما اعتمده ابن حجر. وفي تجديد الوضوء بعد كل صلاة ولو كان الوضوء المجدد مكماً بالتييم، سواء كان الوضوء الأول كله بالماء أو مكماً بالتييم أيضاً فتطلب إعادة الوضوء.

وهذه الأمور بعضها يطلب الوضوء قبله وبعضها بعده كما لا يخفى. وفي جميعها يأتي بنية من نيات الوضوء، ولا يكفي نية السبب عنها كأن نوى الوضوء لقراءة القرآن وكان نوى سنة الوضوء للغضب، بخلاف الأغسال المسنونة فإنها تصح نية أسبابها. والفرق أن أكثر مقصودها النظافة، ومقصود هذا الوضوء العبادة. وإذا توضأ بنية سجود تلاوة أو شكر جاز له أن يصلي بها الفرض، ولو توضأ بنية قراءة القرآن أو اللبث في المسجد لم يجز له أن يصلي به الفرض. والفرق أن الطهارة لا تشترط للقراءة فإنها تباح مع الحدث، بخلاف سجود التلاوة فإن من شرط صحته الطهارة فلهذا جاز له أن يصلي به الفريضة.

آداب الغسل

أي الواجب والمسنون. (فإذا أصابتك جنابة من احتلام) أي إماء (أو وقاع) أي جماع (فخذ الإناء) وفي نسخة: فاحمل الإناء (إلى المغتسل) وضعه عن يمينك إن كنت تغتفر منه، وعن يسارك إن كنت تصب منه، وسم الله تعالى أولاً. (واغسل يديك أولاً ثلاثاً) ثم استنج كما مر، (وأزل ما على بدنك) أي جسديك (من قدر) كمني ومخاط ومن نجاسة إن كانت، (وتوضأ كما سبق في وضوئك

للصلاة مع جميع الدعوات، وأخر غسل قدميك كيلاً يضيع الماء. فإذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثاً وأنت ناو رفع الحدث من الجنابة، ثم على شقك الأيمن ثلاثاً، ثم على الأيسر ثلاثاً، وذلك ما أقبل من بدنك وما أدبر ثلاثاً ثلاثاً، وخلل شعر رأسك ولحيتك، وأوصل الماء إلى معاطف البدن ومنابت الشعر ما خف منه وما كثف.



للصلاة مع جميع الدعوات، وأخر غسل قدميك) وفي نسخة: رجليك (كيلاً يضيع الماء) فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان مثل إضاعة الماء. والأفضل أن تقدم الوضوء جميعه على الغسل، ولك أن تؤخره كله أو بعضه عنه، وتنوي بالوضوء في صورة التأخير الفرضية إن أردت الخروج من الخلاف، وإلا نويت السنة بأن تقول: نويت الوضوء لسنة الغسل، وكذا في صورة التقديم إن تجردت جنابتك عن الحدث، وإلا فانو نية معتبرة في الوضوء.

(فإذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك) والمعتمد أن الأفضل بعد فراغ الوضوء أن تتعهد معاطفك، ثم تخلل رأسك ولو كنت محرماً، لكن برفق إن كان عليه شعر، بأن تدخل أصابعك العشرة فيه فتشرب بها أصوله، كما قاله ابن حجر، ثم تدلكه ثلاثاً كما قاله شيخ الإسلام في التحرير، ثم تصب الماء على رأسك (ثلاثاً وأنت) في أول ما تغسل من بدنك (ناو رفع الحدث من الجنابة) أو نحوه.

(ثم) صب الماء (على شقك الأيمن ثلاثاً، ثم على) شقك (الأيسر ثلاثاً) وهذه الكيفية تحصل أصل السنة، كما قاله البجيرمي. والكيفية الأخرى أن يغسل الرأس ثلاثاً، ثم شقه الأيمن من مقدمه ثلاثاً، ثم من مؤخره ثلاثاً، ثم مقدم الأيسر ثلاثاً، ثم مؤخره ثلاثاً، فلا ينتقل إلى مؤخر ولا إلى أيسر إلا بعد تثليث مقدم وأيمن، (وذلك ما أقبل من بدنك وما أدبر) وظاهر كلام المصنف أن المغتسل لا ينتقل إلى الأيسر حتى يثلث الأيمن، وصريح كلامه في الإحياء أن ذلك يكون بعد تمام الشقين (ثلاثاً ثلاثاً) لكن قال ابن حجر والشريبي: فالأكمل أن يغسل ويدلك شقه الأيمن المقدم ثم المؤخر ثم الأيسر كذلك فهذه مرة، ثم ثانية كذلك ثم ثالثة كذلك. (وخلل شعر رأسك ولحيتك) سواء كان كثيفاً أو خفيفاً، ولا يجب على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعور.

(وأوصل الماء إلى) كل معطف من (معاطف البدن) وهو ما فيه انعطاف والتواء كطبقات البطن والموق واللحاط والإبط والأذن وداخل السرة وتحت المقبل من الأنف، فإن ذلك مما يغفل عنه. ويتأكد التعهد في الأذن خصوصاً في حق الصائم بأن يأخذ كفاً من ماء، ويضع الأذن عليه برفق مميلاً لها ليصل لمعاطفها من غير نزول لصماخها فيضرب به. (ومنابت الشعر ما خف منه وما كثف) وإنما وجب غسل الكثيف هنا دون الوضوء لقلة المشقة هنا لعدم تكرره في كل صلاة، بخلاف الوضوء فإنه يتكرر كل وقت فخفف فيه.

واعلم أن المضمضة والاستنشاق سنتان مستقلتان في الغسل كما أنهما سنتان في الوضوء، ومحلها

واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء، فإن أصابته يدك فأعد الوضوء. والفريضة من جملة ذلك كله: النية، وإزالة النجاسة، واستيعاب البدن بالغسل. وفرض الوضوء: غسل الوجه واليدين مع المرفقين،

قبل الوضوء كما في فتح الجواد، وكره تركهما كترك الوضوء، ويسن تداركهما ولو بعد الفراغ من الغسل، لأن سنن الغسل لا تفوت بالفراغ منه لعدم اشتراط الترتيب في أفعاله. وهما عند مالك سنتان في الغسل والوضوء كما عندنا، وواجبان فيهما عند أحمد، وفرضان في الغسل سنتان في الوضوء عند أبي حنيفة.

(واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء) أي وقبل تمام الغسل كما في الإحياء. (فإن أصابته يدك فأعد الوضوء) وهذا موافق لابن حجر، وهذا ظاهر لأجل الخروج من الخلاف في عدم اندراج الأصغر في الأكبر. وقال البجيرمي: ولو أحدث بعد الوضوء وقبل الغسل لا تندب له إعادته على المعتمد عند الرملي، لأن هذا الوضوء لا يبطله الحدث، وإنما يبطله الجماع. وبه يلغز فيقال: لنا وضوء لا يبطله الحدث. وقد نظم السيوطي ذلك [من بحر الكامل المجزوء المرفل] فقال:

قُلْ لِلْفَقِيهِ وَلِلْمُفِيدِ * وَلِكُلِّ ذِي بَاعٍ مَدِيدِ
مَا قُلْتَ فِي مُتَوَضِّي * قَدْ جَاءَ بِالْأَمْرِ السَّدِيدِ
لَا يُنْقَضُونَ وَضُوءَهُ * مَهْمَا تَغَوَّطَ أَوْ يَزِيدِ
وَوَضُوءُهُ لَمْ يَنْتَقِضْ * إِلَّا بِإِيْلَاجِ جَدِيدِ

ونظم الجواب بعضهم [من ذلك أيضًا] فقال:

يَا مُبْدِيَّ اللَّغْزِ السَّدِيدِ * يَا وَاحِدَ الْعَصْرِ الْفَرِيدِ
هَذَا الْوَضُوءُ هُوَ الَّذِي * لِلْغُسْلِ سُنٌّ كَمَا تُفِيدِ
وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَقِضْ * إِلَّا بِإِيْلَاجِ جَدِيدِ

(والفريضة من جملة ذلك كله) أي المذكور من الأفعال المطلوبة في الغسل، سواء كان واجباً أو مندوباً شيئان. (النية، وإزالة النجاسة، واستيعاب البدن) حتى الشعور والأظفار (بالغسل) وأما إزالة النجاسة التي لا تزول أوصافها بغسلة واحدة فهي شرط لصحة الغسل فيجب قبله؛ وأما إن زالت بذلك فإزالتها قبل الغسل سنة إذا وصل الماء إلى البشرة بغير تغير، وإلا وجبت. ثم استطرد المصنف بيان أركان الوضوء، فقال:

(وفرض الوضوء) ستة: (غسل الوجه) ولو بفعل غيره بلا إذنه إن كان ذاكرًا للنية. (واليدين مع المرفقين) إن وجدتا ومع قدرهما إن فقدتا، وأما إن وجدتا في غير محلها المعتاد فيحتمل اعتبار

ومسح بعض الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة مرة مع النية، والترتيب. وما عداها سنن مؤكدة، فضلها كثير وثوابها جزيل والمتهاون بها خاسر، بل هو بأصل فرائضه مخاطر، فإن النوافل جواهر للفرائض.

آداب التيمم

فإن عجزت عن استعمال الماء لفقده بعد الطلب، أو لعذر من مرض، أو لمانع من الوصول إليه من سبع أو حبس،



الغالب واعتبار وجودهما. (ومسح بعض الرأس) من بشرته وإن خرجت عن حده، أو من شعره الذي في حده. (وغسل الرجلين إلى الكعبين) كما في المرفقين. (مرة مرة) في الأعضاء الأربعة (مع النية) المقرونة بأول مغسول من الوجه. (والترتيب) ما بين الأعضاء الأربعة.

(وما عداها) أي الستة من أفعال الوضوء (سنن مؤكدة، فضلها) أي تلك السنن (كثير، وثوابها) أي جزاؤها عند الله تعالى (جزيل) أي عظيم. (والمتهاون بها) أي المستحقر للسنن (خاسر، بل هو) أي المتهاون (بأصل فرائضه مخاطر) أي مشرف على فساد، لأن التهاون بالسنن يؤدي إلى التهاون بالفرائض، (فإن النوافل جواهر للفرائض) أي فإن مات شخص ولم يفعل الفرائض من الصلوات يقوم كل سبعين من النوافل مقام ركعة من الفرض، وكذلك يقوم كل سبعين ريالاً من صدقة التطوع مقام ريال واحد من الزكاة. أما في الدنيا فلا يجبر ترك الفرائض بالنوافل بل لا بد من فعلها، وأما الوضوء فهو مكفر للصغائر، فإن لم يكن عليه شيء من الصغائر حنت من الكبائر.

ثم الفرائض هنا بالنسبة للوضوء هي اجتناب المعاصي، وذلك إن كان المراد بالنوافل سنن الوضوء صار معنى قوله: فإن النوافل جواهر للفرائض أن إتيان سنن الوضوء جابر للفرائض التي هي ترك الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى، بمعنى أنها مكفرة لتلك الذنوب زيادة على تكفير الوضوء بدون سنن لها؛ وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة أو الحج المبرور، وكذلك الذنوب المتعلقة بحقوق الآدميين فلا بد من التوبة، وإلا فالقصاص عليه إن لم يجد فضلاً من الله تعالى، والله أعلم.

آداب التيمم

وهو رخصة مطلقاً، سواء كان الفقد حسياً أو شرعياً. وقيل: عزيمة، والرخصة إنما هي إسقاط القضاء. وقيل: إن كان الفقد حسياً فعزيمة وإلا فرخصة، بدليل صحة تيمم العاصي بالسفر قبل التوبة إن فقد الماء حساً، وبطلان تيممه قبلها إن فقده شرعاً كأن تيمم لنحو مرض.

(فإن عجزت عن استعمال الماء) لأحد ستة أسباب فيحل لك التيمم، وهي: إما (لفقده) أي الماء (بعد الطلب) للماء في وقت الصلاة، (أو لعذر من مرض، أو لمانع من الوصول إليه) أي الماء (من سبع أو حبس) أي بغير حق، وهذا داخل في الفقد الحسي كما قاله عطية.

أو كان الماء الحاضر تحتاج إليه لعطشك أو لعطش رفيقك ، أو كان ملكاً لغيرك ولم يبيع إلا بأكثر من ثمن المثل ، أو كان بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك ، فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة . ثم اقصد صعيداً طيباً عليه تراب خالص طاهر لين ، فاضرب عليه بكفيك ضاماً بين أصابعك ، وانو استباحة فرض الصلاة ، وامسح بهما وجهك كله مرة واحدة ، ولا تتكلف إيصال الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف .



(أو كان الماء الحاضر) أي الموجود (تحتاج إليه لعطشك أو لعطش رفيقك) غير المرتد وتارك الصلاة والحربي والخنزير . ولو كان لحاجة إليه في المستقبل فيجب عليك أن تدخره ، ويحرم الوضوء به صوتاً للروح أو العضو أو المنفعة من التلف . (أو كان) الماء (ملكاً لغيرك ولم يبيع إلا بأكثر) أي بأزيد (من ثمن المثل) أي اللائق به في ذلك الزمان والمكان ولو كان الزائد على اللائق مما يتسامح بمثله عادة .

(أو كان بك جراحة) أو كسر وخفت من استعمال الماء فساد العضو مثلاً . وروى الحاكم أن رجلاً أصابه جرح على عهد رسول الله ﷺ ثم أصابه احتلام فأمره بالاغتسال فاغتسل فمات ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « قَتَلُوهُ ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالَ » والعِي بالعين المهملة : الجهل (*). (أو مرض تخاف منه على نفسك) الهلاك أو شدة الضنى وهو على وجه لا يحتمل عادة ، أو طول مدة البرء وهو مقدار وقت المغرب .

إذا أردت التيمم (فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة) لأن التيمم طهارة ضرورة ، ولا ضرورة قبل الوقت . (ثم اقصد صعيداً) أي وجه الأرض (طيباً) أي حلالاً (عليه تراب) أي على أي صفة كان (خالص) بأن لم يختلط بنحو حص ورمل ناعم يلصق بالعضو (طاهر) بأن لم يكن متنجساً ولا مستعملاً (لين) أي بحيث يرتفع منه غبار .


(فاضرب عليه) أي التراب (بكفيك ضاماً بين أصابعك) لأن الضربة الأولى مقصودة للوجه ، فما فضل لليدين منها لا يعتد به ، وهذا كما في الإحياء ؛ خلافاً لما قاله النووي والمحلي وشيخ الإسلام حيث قالوا : ويندب تفريق أصابعه في كل ضربة ، لأنه أبلغ في إثارة الغبار ، فلا يحتاج إلى زيادة على الضربتين . (وانو استباحة فرض الصلاة) أو استباحة نحوه ، لا رفع الحدث لأن التيمم لا يرفعه ، ويجب قرن النية بأول النقل وأول مسح الوجه ، ولا يضر عزوبها بينهما . (وامسح بهما) أي كفيك (وجهك) كله مرة واحدة) فإن تكرير المسح لكل عضو مكروه ، (ولا تتكلف) أي لا تتجشم على مشقة (إيصال الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف) فإنه لا يسن لعسرته مع عدم طلب الإزالة في غير لحية المرأة . أما تحت الأظفار فيجب إيصال التراب إليه كالوضوء ، لأن الأظافر مأمور بإزالتها .

(*) والمعنى : إن الجهل داء ، وشفاءها السؤال والتعلم .

ثم انزع خاتمك، واضرب ضربة ثانية مفرجاً بين أصابعك، وامسح بهما يديك مع مرفقيك، فإن لم تستوعبهما فاضرب ضربة أخرى إلى أن تستوعبهما، ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى، وامسح ما بين أصابعك بالتخليل، وصل به فرضاً واحداً وما شئت من النوافل. فإن أردت فرضاً ثانياً فاستأنف له تيمماً آخر.

آداب الخروج إلى المسجد

فاذا فرغت من طهارتك فصل في بيتك ركعتي

 (ثم انزع خاتمك) بفتح التاء، فإن نزع الخاتم في الضربة الثانية واجب ليصل التراب إلى محله، ولا يكفي تحريكه لأن التراب لا يدخل تحته لكثافته بخلاف الماء، فإيجاب نزعه إنما هو عند المسح لا عند النقل، كذا أفاده أحمد الميهي. وأما في الأولى فمندوب ليكون مسح جميع الوجه باليد، كما أفاده المحلي. (واضرب ضربة ثانية مفرجاً) أي مفرقاً كما في نسخة (بين أصابعك) وإن لم تفرق أصابعك في هذه الضربة وجب عليك التخليل لأنها المقصودة لليدين، ولتستغني الأصابع بالتراب الواصل عن المسح بما على الكف. (وامسح بهما) أي بكفيك (يديك مع مرفقيك).

(فإن لم تستوعبهما) أي اليدين بتلك الضربة. (فاضرب ضربة أخرى) أي الثالثة (إلى أن تستوعبهما، ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى، وامسح ما بين أصابعك بالتخليل) ويسن أن يأتي بمسح اليدين على كفيته المشهورة. وهي أن يضع بطون أصابع اليسرى سوى الإبهام تحت أطراف أنامل اليمنى بحيث لا تخرج أنامل اليمنى عن مسبحة اليسرى ولا مسبحة اليمنى عن أنامل اليسرى، ويمررها على ظهر كفه اليمنى، فإذا بلغ الكوع ضم أطراف أصابعه إلى حرف الذراع، ويمررها إلى المرفق، ثم يدير بطن كفه إلى بطن الذراع فيمررها عليه رافعاً إبهامه، فإذا بلغ الكوع أمر إبهام اليسرى على ظهر إبهام اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك، ثم يمسح إحدى الراحتين بالأخرى؛ وإنما لم يجب لأن فرضهما حصل بضرهما بعد مسح وجهه. وجاز مسح ذراعيه بترابهما لعدم انفصاله مع الحاجة، إذ لا يمكن مسح الذراع بكفها فصار كنقل الماء من بعض العضو إلى بعضه، لأن اليدين كعضو واحد، كما أفاده البجيرمي.

(وصل به) أي بالتيمم الذي استبحت به الفرض (فرضاً واحداً وما شئت من النوافل) أي ومن صلاة الجنابة. (فإن أردت فرضاً ثانياً) أي عينياً ولو مندوراً (فاستأنف له تيمماً آخر) وإن لم تحدث، وهكذا تفرد كل فريضة بتيمم. نعم، إن كانت الصلاة الثانية معادة جاز أن تجمعها مع أصلها بتيمم، لأن المعادة تقع نفلًا وإن كنت تنوي فيها الفرض. ويجوز أن تجمع أيضاً الظهر مع الجمعة بتيمم واحد.

آداب الخروج إلى المسجد

أي للصلاة أو لنحو طلب علم. (فاذا فرغت من طهارتك) أي من الحدثين (فصل في بيتك ركعتي

الصبح إن كان الفجر قد طلع ، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ . ثم توجه إلى المسجد ، ولا تدع الصلاة في الجماعة لاسيما الصبح ، فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ؛ فإن كنت تتساهل في مثل هذا الربح ، فأني فائدة لك في طلب العلم؟ وإنما ثمرة العلم العمل به . فإذا سعيت إلى المسجد فامش على هيئة وتؤدة وسكينة ولا تعجل ، وقل في طريقك : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق الراغبين إليك ، وبحق ممشاي هذا إليك .



الصبح إن كان الفجر قد طلع) واقرأ فيهما: سورة الكافرون والإخلاص، أو اقرأ: ﴿ أَلَمْ تَرَ نَشْرَحْ لَكَ ﴾ و ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ﴾ . فمن قرأ في ركعتي الفجر: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ ﴾ و ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ﴾ قصرت عنه يد كل عدو، ولم يجعل لهم عليه سبيل، وهذا صحيح مجرب بلا شك، هكذا نقله البجيرمي عن الغزالي.

(كذلك) أي أداء الصلاة ركعتي الفجر في البيت (كان يفعل رسول الله ﷺ) يسن أن يفصل بين سنة الفجر والفریضة بالاضطجاع على شفة الأيمن أو الأيسر، واليمين أفضل ولو في المسجد ولو أخرجها على الفريضة، كما قاله الونائي. وحكمة ذلك تذكر ضجعة القبر أول النهار، ليكون باعثاً له على أعمال الآخرة أو لإظهار العجز في أول النهار. ويقول في حال اضطجاعه: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ورب محمد ﷺ أجرنى من النار ثلاثاً. (ثم توجه إلى المسجد) لقوله ﷺ: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: إِنَّ بِيُوتِي فِي أَرْضِي الْمَسَاجِدُ، وَإِنَّ زُؤَارِي فِيهَا عَمَّارُهَا، فَطُوبَى لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي، فَحَقَّ عَلَيَّ الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ ».

(ولا تدع الصلاة في الجماعة) لقوله ﷺ: « مَنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْمًا الصَّلَوَاتِ فِي جَمَاعَةٍ لَا تَقُوتُهُ فِيهَا تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَتَيْنِ: بَرَاءَةً مِنَ الْبَغَاةِ وَبَرَاءَةً مِنَ النَّارِ ». (لاسيما الصبح) فإن الجماعة فيها أفضل من الجماعة في العشاء، والجماعة في هذه أفضل منها في سائر الصلوات. وأما أفضل الصلوات فهي صلاة العصر. وفي الحديث: « مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ، وَمَنْ شَهِدَ الصُّبْحَ فَكَأَنَّمَا قَامَ لَيْلَةً ». ثم علل المصنف نهي ترك الجماعة بقوله: (فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ) بقاء وذال معجمة أي المنفرد (بسبع وعشرين درجة) أي صلاة كما في الحديث. (فإن كنت تتساهل) أي تتسامح (في مثل هذا الربح) وهو فضيلة الجماعة، (فأني فائدة لك في طلب العلم؟ وإنما ثمرة العلم العمل به).

(فإذا سعيت) أي ذهبت على أي وجه كنت، وفي نسخة: مشيت (إلى المسجد فامش على هيئة) أي برفق من غير عجلة (وتؤدة) بضم التاء وفتح الهمزة أي تأن وتثبت (وسكينة) كما في نسخة، (ولا تعجل) وهذا تفسير لما قبله. (وقل في طريقك: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق الراغبين إليك، وبحق ممشاي) أي سيرتي (هذا) أي الذي أنا فيه (إليك) أي إلى بيتك أي إلى البيت الذي

فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

آداب دخول المسجد

فإذا أردت الدخول إلى المسجد فقدم رجلك اليمنى، وقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم. اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك. ومهما رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل: لا أربح الله تجارتك. وإذا رأيت فيه من ينشد ضالة فقل: لا رد الله عليك ضالتك. كذلك أمر رسول الله ﷺ

يعبدونك فيه وهو المسجد، (فإني لم أخرج) أي من بيتي إلى ذلك المحل (أشراً) بفتح الشين أي كفراناً للنعمة، (ولا بطراً) أي شدة مرح، (ولا رياء) أي نفعاً دنيوياً، (ولا سمعة) أي ذكراً جميلاً عند الناس؛ (بل خرجت) من بيتي (اتقاء سخطك) أي اجتناب غضبك، (وابتغاء) أي طلب (مرضاتك، فأسألك أن تنقذني) أي تنجيني، وفي الأذكار للنووي: أن تعيذني أي تمنعني (من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) وفي كتاب ابن حجر بعد ذلك زيادة: يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين.

آداب دخول المسجد

أي وبيان جملة الأذكار. (فإذا أردت الدخول إلى المسجد) ووصلت بابه فانزع نعلك اليسرى أولاً وحط رجلك اليسرى على ظهره، ثم انزع نعلك اليمنى (فقدم رجلك اليمنى)، ومثل المسجد كل محل شريف، وكذا ما جهل حاله. ولو خرج من مسجد إلى مسجد قدم يمينه، وفي الكعبة يقدم يمينه دخولاً وخروجاً، كذا أفاده الونائي. (وقل) عند إرادة الدخول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، الحمد لله، كما في الأذكار. ثم قل: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم. اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك) ثم قل: بسم الله، ثم ادخل. وإذا خرجت فقدم رجلك اليسرى، وقل ذلك إلا أنك تقول: وافتح لي أبواب فضلك. وحكمة ذكر الرحمة في الدخول والفضل في الخروج، أن المساجد محال رحمة الله تعالى لعباده رحمة تناسب العبادة، وأما الخروج منها فهو إلى محل الأسباب التي تحصل بها الأرزاق والغنى عن الناس، فهذا من مظاهر الفضل التي تفضل الله بها على عباده، كما أفاده ابن حجر.

(ومهما رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيت فيه من ينشد) بضم الشين أي يطلب (ضالة، فقل: لا رد الله عليك ضالتك. كذلك أمر رسول الله ﷺ) كما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاغُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أَرْبِحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ،

فإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية. فإن لم تكن صليت في بيتك ركعتي الفجر فيجزئك أداؤهما عن التحية. فإذا فرغت من الركعتين فانو الاعتكاف، وادع بما دعا به رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر، فقل: اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي،



وإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً فَقُولُوا: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيُقِلْ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا».

(فإذا دخلت المسجد) ولو مشاعاً أو مظنوناً (فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية) لكن إذا دخلت المسجد الحرام وأردت الطواف، فالأفضل أن تبدأ بالطواف ثم تنوي بالركعتين سنة الطواف وتحية المسجد معاً. فإن نويت أحدهما اندرج الآخر وإن لم تنوه، لأن تحية المسجد الحرام لا تفوت بالطواف، كما نقله الونائي عن ابن قاسم. وتكره التحية إذا وجد المكتوبة تقام بالكلمات المعروفة، وتكره أيضاً إذا توهم فوت الصلاة فرضاً كانت أو نفلاً؛ أما إذا تحقق فوتها فإن كانت فرضاً حرمت التحية، أو نفلاً كرهت. ويندب لمن لم يأت بالتحية لحدث أو غيره كأن لم يردّها وإن كان متطهراً أو اشتغل بشيء آخر، أن يقول أربع مرات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنها تعدل ركعتين في الفضل فتندفع الكراهة بذلك. وهذا حيث لم يتيسر له الوضوء في المسجد قبل طول الفصل، وإلا فلا يكفي ذلك لتقصيره بترك الوضوء مع تيسره.

(فإن لم تكن صليت في بيتك) أي مثلاً (ركعتي الفجر، فيجزئك أداؤهما) أي ركعتي الفجر (عن التحية) لأنها تحصل بكل نفل وبمكتوبة وإن لم تنو مع ذلك، لأن المقصود وجود صلاة قبل الجلوس وقد وجدت بذلك. قال البجيرمي: إذا نوى التحية مع فرض مثلاً حصل ثوابها اتفاقاً، وإذا نفاها فلا يحصل اتفاقاً، وإن أطلق حصل الثواب على المعتمد.

(فإذا فرغت من الركعتين) اللتين صليتهما لسنة الفجر أو للتحية (فانو الاعتكاف) وهو اللبث في المسجد بنية الاعتكاف، لأنه سنة مؤكدة كل وقت. فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَعْتَكَفَ فُوقَ نَاقَةٍ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ نَسَمَةً» و فوق بضم الفاء وآخره قاف أي مقدار زمن حلب ناقة، والمراد بالنسمة هنا الرقيق. (وادع بما دعا به رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر) كما رواه ابن عباس، لكن روى الترمذي وغيره عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دعا بهذا بعد فراغه من صلاته ليلة الجمعة.

(فقل: « اللهم إني أسألك رحمة من عندك) أي من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندي، وفي رواية: بسقوط لفظ: من عندك. (تهدي بها قلبي) أي تدله إليك وتقربه لديك. (وتجمع بها شملي) أي ما تشئت من أمري، وفي الشفاء والجامع الصغير بدل ذلك: أمري، أي حالي عليك. (وتلم بها شعثي) اللام وتشديد الميم (بها شعثي) بفتحيتين أي تصلح بها ما تفرق من أموري، وفي شرح الشفاء: أي

وترد بها ألفتي، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبتي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتبيض بها وجهي، وتلهمني بها رشدي، وتقضي لي بها حاجتي، وتعصمني بها من كل سوء. اللهم إني أسألك إيماناً دائماً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته علي، ورضني بما قسمته لي. اللهم إني أسألك إيماناً صادقاً ويقيناً ليس بعده كفر، وأسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء، والصبر عند القضاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء،



تجمع بها تفرق خاطري، وتضم بها تشتت أمري. (وترد) أي تجمع (بها ألفتي) بضم الهمزة وقد تكسر أي مألوفي أي ما كنت آلفه. (وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبتي) أي باطني بكمال الإيمان والأخلاق الحسان. (وترفع بها شاهدي) أي ظاهري بالأعمال الصالحة والهيئة السنية، أو يراد بالغائب والشاهد الأتباع الغائبون والحاضرون. (وتزكي بها عملي) أي تزيد ثوابه أو تطهره من الرياء والسمة والعجب. (وتبيض بها وجهي) أي يوم القيامة. (وتلهمني بها رشدي) أي صلاح حالي في الحال والمآل. (وتقضي لي بها حاجتي، وتعصمني) أي تحفظني (بها من كل سوء) بضم السين وقد تفتح وهو الضرر الحسي والمعنوي بأن تعرفني عنه وتصرفه عني.

(اللهم إني أسألك إيماناً دائماً) وفي نسخة: خالصاً، وفي الإحياء عدم ذكر ذلك الوصف (يباشر قلبي) أي يخالطه. (ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه) أي الشأن، وفي نسخة: أن. (لن يصيبني إلا ما كتبته علي) أي قدرته علي في العلم الأزلي، أو في اللوح المحفوظ. (ورضني بما قسمته لي) أي وأسألك أن ترزقني رضا بما قسمته لي من الرزق والمعيشة. وهذا الدعاء لم يذكر في الإحياء ولا في الشفاء ولا في الجامع في هذا الموضوع، بل ذكر في الإحياء أن هذا دعاء آدم، والدعاء الذي قبل هذا وبعده ملتصقان في الإحياء وفي الجامع.

(اللهم إني أسألك) وفي الإحياء والجامع: اللهم أعطني (إيماناً صادقاً ويقيناً) أي في الله تعالى (ليس بعده كفر، وأسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة) وفي الجامع: شرف الدنيا والآخرة أي علو القدر فيهما.

(اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء) أي لقاء الله بالموت ثم البعث، أو عند لقاء الكفار. (والصبر عند القضاء) أي حين حلول ضيق القضاء. وفي الشفاء والجامع بدل الكلمتين: أسألك الفوز في القضاء أي النجاة فيما قضيته أي قدرته علي من البلاء، أو الفوز باللفظ في القضاء؛ وفي الإحياء بدلها: أسألك الفوز عند القضاء أي حين حلول القضاء بتوفيق الرضا. (ومنازل الشهداء) وفي الشفاء والجامع: ونزل الشهداء بضم النون والزاي، وقد تسكن الزاي أي منزلتهم في الجنة أو درجاتهم في القرب منك. (وعيش السعداء) أي الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير تعب، كذا في شرح الشفاء. وقال

والنصر على الأعداء، ومرافقة الأنبياء. اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأبي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأبي، وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيته من خير وعدته أحدًا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدًا من خلقك، فإني أرغب إليك فيه وأسألك إياه يا رب العالمين. اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، حربًا لأعدائك، سلمًا لأولياك، نحب بحبك الناس، ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك.



العزيري: أي الذين قدرت لهم السعادة الأخروية. (والنصر على الأعداء) أي من النفس والشياطين وسائر الكافرين. (ومرافقة الأنبياء) وفي الجامع والشفاء عدم هذه الكلمة، وفي نسخة تقديمها على ما قبلها.

(اللهم إني أنزل) بضم الهمزة (بك حاجتي) أي أسألك قضاء ما أحججه من أمر الدارين (وإن ضعف رأبي) أي عجز عن إدراك ما هو أنجح وأصلح، (وقصر) بالتشديد (عملي) أي عبادتي فلا تبلغ مراتب الكمال، وفي الجامع: وإن قصر رأبي وضعف عملي، (وافتقرت) في بلوغ ذلك (إلى رحمتك) وفي الجامع: إسقاط الواو. (فأسألك يا قاضي الأمور) أي يا مقدرها أو يامبلغها (ويا شافي الصدور) أي القلوب من أمراضها كالحقد والحسد والكبر (كما تجير بين البحور) أي تمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر مع الاتصال (أن تجيرني) أي تنقذني، مفعول ثاني لأسألك (من عذاب السعير) أي النار، (ومن دعوة الثبور) أي من النداء بالهلاك والخسران في المحشر، (ومن فتنة القبور) أي عند سؤال الملكين منكر ونكير.

(اللهم ما قصر عنه رأبي) أي عجز عنه عقلي (وضعف عنه عملي) أي كسبي (ولم تبلغه) أي تصله (نيتي وأمنيته) وفي الجامع بدل هذا الأخير: ولم تبلغه مسألتي (من خير وعدته أحدًا من عبادك، أو خير أنت معطيه أحدًا من خلقك، فإني أرغب إليك) أي أتوجه إليك وأطلب منك (فيه) أي في حصوله منك لي (وأسألك إياه) أي زيادة على ذلك، فإن رحمتك لا نهاية لسعتها، كما أفاده العزيري (يارب العالمين).

(اللهم اجعلنا هادين) أي دالين الخلق على ما يوصلهم إلى الحق (مهتدين) أي إلى إصابة الصواب قولاً وعملاً، (غير ضالين) أي عن الحق (ولا مضلين) أحدًا من الخلق، (حربًا) أي مقاتلة (لأعدائك، سلمًا) بكسر فسكون أي صلحًا (لأولياك) وفي الجامع تقديم هذا على ما قبله، (نحب بحبك) أي بسبب حبنا لك (الناس) وفي الإحياء بدل هذه الكلمة: من أطاعك من خلقك، وفي الجامع بدلها أيضًا: من أحبك، (ونعادي بعداوتك) أي بسببها (من خالفك) تنازعه نعادي وعداوتك (من خلقك) وهذه الكلمة لم تذكر في الجامع.

اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، الركع السجود، الموفين لك بالعهود، إنك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريد. سبحان من تعطف بالعز وقال به، سبحان من لبس المجد وتكرم به، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي الجود والكرم، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه. اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبوري، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي، ونوراً من بين يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً



(اللهم هذا الدعاء) أي ما أمكننا منه قد أتينا به (وعليك الإجابة) أي فضلاً منك، إذ لا يجب على الله تعالى شيء. (وهذا الجهد) بضم الجيم أي الطاقة (وعليك التكلان) بضم التاء أي الاعتماد. (وإنا لله وإنا إليه راجعون) أي بالموت ثم البعث، (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

(اللهم ذا الحبل الشديد) الحبل بموحدة المراد به هنا القرآن أو الدين، ثم الشدة في الدين هي الثبات والاستقامة. وروي: الحيل بمثناة تحتية بمعنى القوة، كما أفاده العزيزي، (والأمر الرشيد) أي الموافق لغاية الصواب (أسألك الأمن) أي من الفزع الأكبر والأهوال (يوم الوعيد) أي يوم التهديد وهو يوم القيامة، (والجنة يوم الخلود) أي خلود أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار (مع المقربين الشهود) أي الناظرين لربهم (الركع السجود) أي المكثرين للصلاة ذات الركوع والسجود في الدنيا (الموفين لك بالعهود) أي بما عاهدوا الله عليه، (إنك رحيم) أي موصوف بكمال الإحسان لدقائق النعم (ودود) أي شديد الحب لمن والاك، (وإنك تفعل ما تريد).

(سبحان من تعطف) أي اتصف (بالعز) بأن يغلب كل شيء، ولا يغالبه شيء (وقال) أي غلب (به) كل عزيز. (سبحان من لبس المجد) أي الذي اتصف بالعظمة والكبرياء (وتكرم به) أي تفضل وأنعم به على عباده، (سبحان من لا ينبغي التسبيح) أي التنزيه المطلق (إلا له) أي لجلاله المقدس، (سبحان ذي الفضل) أي الزيادة في العطاء (والنعم) جمع نعمة بمعنى الإنعام، (سبحان ذي الجود) أي العطاء، وفي الإحياء: ذي العزة، وفي الجامع: ذي المجد أي الشرف، (والكرم) أي التفضل بالعطاء غير سؤال، (سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه).

(اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبوري، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي، ونوراً من بين يدي) أي يسعى أمامي (ونوراً من خلفي) أي ورائي (ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً

من تحتي. اللهم زدني نوراً، وأعطني نوراً أعظم نور، واجعل لي نوراً برحمتك يا أرحم الراحمين. فإذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل إلى وقت الفرض إلا بفكر أو تسبيح أو قراءة قرآن. فإذا سمعت الأذان في أثناء ذلك فاقطع ما أنت فيه واشتغل بجواب المؤذن.

من تحتي. اللهم زدني نوراً، وأعطني نوراً أعظم نور، واجعل لي) بجر ياء المتكلم (نوراً برحمتك يا أرحم الراحمين) « هذا من عطف العام على الخاص أي اجعل لي نوراً شاملاً للأنوار السابقة ولغيرها. قال القرطبي: والتحقق في معنى النور أنه مظهر لما ينسب إليه وهو يختلف بحسبه، فنور السمع مظهر للمسموعات، ونور البصر كاشف للمبصرات، ونور القلب كاشف عن المعلومات، ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات. وقال النووي نقلاً عن العلماء: طلب النور في أعضائه وجسمه وتصرفاته وتقلباته وحالاته وجملته في جهاته الست حتى لا يزيغ شيء منها عنه. انتهى. وهذا الدعاء موافق لما في الإحياء من غير زيادة ولا نقص، ومخالف لما في الجامع.

(فإذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل إلى وقت الفرض إلا بفكر أو تسبيح أو قراءة قرآن) أو غير ذلك كتحميد واستغفار، كما روي عن أنس عن النبي ﷺ قال: « مَنْ قَالَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ». وروي عن أم رافع رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: « يَا أُمَّ رَافِعِ، إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَسَبِّحِي اللَّهَ عَشْرًا، وَهَلِّلِي عَشْرًا، وَأَحْمِدِي عَشْرًا، وَكَبِّرِي عَشْرًا، وَأَسْتَغْفِرِي عَشْرًا. فَإِنَّكَ إِذَا سَبَّحْتَ قَالَ: هَذَا لِي، وَإِذَا هَلَّلْتَ قَالَ: هَذَا لِي، وَإِذَا حَمَدْتَ قَالَ: هَذَا لِي، وَإِذَا كَبَّرْتَ قَالَ: هَذَا لِي، وَإِذَا أَسْتَغْفَرْتَ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ » كذا في الأذكار للنووي. وفي الحديث: « مَنْ قَالَ بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ مَنْ يَمُنُّ وَلَا يَمُنُّ عَلَيْهِ، سُبْحَانَ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَبْرَأُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا إِلَيْهِ، سُبْحَانَ مَنْ التَّسْبِيحُ مِنْهُ عَلَيْهِ، سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ كُلُّ شَيْءٍ بِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، يَا مَنْ يُسَبِّحُ لَهُ الْجَمِيعُ، تَدَارَكُنِي بِعَفْوِكَ فَإِنِّي جَزُوعٌ. ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا إِلَّا وَقَدَ أَنْتَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا » أي بأسرها وذلك بشرط التقوى، كذا نقله البجيرمي عن سيدي أحمد زروق.

(فإذا سمعت الأذان في أثناء ذلك) أي المذكور من الأوراد (فاقطع ما أنت فيه) واستمع الأذان، لأن استماعه في وقته أفضل من استماع القرآن وإن كان القرآن أفضل منه، كذا أفاده الونائي نقلاً عن الزيادي. (واشتغل بجواب المؤذن) ولو كنت طائفاً أو مدرساً أو جنباً أو نحو ذلك؛ لا إن كنت مصلياً ولو نقلاً، ولا إن كنت قاضي الحاجة أو مجامعاً أو مستمع الخطيب. بل إذا سلمت من الصلاة أجبته كما يجيبه من لا يصلي، فلو أجبته في الصلاة كره ذلك الجواب ولم تبطل صلاتك، إلا إذا قلت: صدقت وبررت فتبطل، وكذا إذا خرجت من الخلاء فأجبه.

فإذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقل مثل ذلك. وكذلك في كل كلمة إلا في الحيعلتين، فقل فيهما: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فإذا قال: الصلاة خير من النوم، فقل: صدقت وبررت وأنا على ذلك من الشاهدين. فإذا سمعت الإقامة، فقل مثل ما يقول إلا في قوله: قد قامت الصلاة، فقل: أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض. فإذا فرغت من جواب المؤذن فقل: اللهم إني أسألك عند حضور صلاتك وأصوات دعائك وإدبار ليلك وإقبال نهارك، أن تؤتي محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد يا أرحم الراحمين.



(فإذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقل) عقب كل كلمة (مثل ذلك) ولك المقارنة

على خلاف فيها (وكذلك) أي أن تقول مثل قول المؤذن (في كل كلمة، إلا في الحيعلتين فقل فيهما) أي دبر كل لفظة منهما: (لا حول) أي لا تحول عن المعصية (ولا قوة) أي على الطاعة (إلا بالله العلي العظيم) ويسن أن تقول بعد قولك: وأشهد أن محمدًا رسول الله في الجواب: وأنا أشهد أن محمدًا رسول الله، ثم تقول: رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا. ويسن أيضًا إذا سمعت المؤذن يقول: حي على الفلاح، أن تقول: اللهم اجعلنا مفلحين. (فإذا قال) أي المؤذن: (الصلاة خير من النوم) أي اليقظة إلى الصلاة خير من راحة النوم (فقل) في الجواب: (صدقت وبررت) وزاد في الإحياء بعد ذلك: نصحت، وزاد بعضهم: وبالحق نطقت (وأنا على ذلك من الشاهدين) مرتين، وبررت بكسر الراء وفتحها أي صرت ذا بر أي خير كثير، وقيل: يقول المجيب في ذلك: صدق رسول الله ﷺ. (فإذا سمعت الإقامة، فقل) في الجواب (مثل ما يقول) أي المقيم، (إلا في قوله: قد قامت الصلاة، فقل) في جواب كل من المرتين: (أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض) ويسن أن يزيد بعد ذلك: وجعلني من صالحى أهلها.

(فإذا فرغت من جواب المؤذن) في الأذان أي ومن جواب المقيم في الإقامة أو فرغت من الأذان والإقامة، إن كنت مؤذنًا مقيمًا، فصل وسلم على النبي ﷺ (فقل: اللهم إني أسألك عند حضور صلاتك وأصوات دعائك) بضم الدال وبالتاء في آخره جمع داع، (وإدبار ليلك وإقبال نهارك، أن تؤتي محمدًا الوسيلة) أي المنزلة العلية في الجنة التي لا تنبغي إلا له ﷺ، (والفضيلة) أي المرتبة الزائدة على سائر المخلوقين، كما أفاده القسطلاني، (والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام) أي أعطه، المقام مفعول به لابعثه لتضمنه معنى أعطه، أو مفعول فيه أي أقمه في المقام كما أفاده الجبرمي، (المحمود الذي وعدته) بقولك: تباركت وتعاليت عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا، (إنك لا تخلف الميعاد، يا أرحم الراحمين).

وهذا الدعاء مخصوص في وقت الصبح، أما الدعاء الذي يسن للمؤذن والمقيم وسمعهما في كل وقت فهو الدعاء المشهور وهو: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة

فإذا سمعت الأذان وأنت في الصلاة فتمم الصلاة ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه. فإذا أحرم الإمام بالفرض فلا تشتغل إلا بالافتداء به، وصل الفرض كما سيتلى عليك في كيفية الصلاة وآدابها.



والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته. أي يسن بعد فراغ الأذان والإقامة لكل من المؤذن والسامع والمستمع غير إمام الجمعة في الإقامة أن يدعو بهذا الدعاء بعد الصلاة والسلام على النبي ﷺ، كما أفاده الونائي.

فمعنى هذه الدعوة التامة هي الأذان، سمي بذلك لجمعه العقائد بتمامها. ومعنى القائمة أي الدائمة التي لا تغيرها ملة ولا تنسخها شريعة. ومعنى وابعثه مقامًا أي أعطه مقامًا أو أقمه في مقام أو ابعثه ذا مقام محمود، وهو هنا اتفاقًا مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء يحمد فيه الأولون والآخرون، لأنه المتصدى له بسجوده له أربع سجودات تحت العرش، حتى أجيب لما فزعوا إليه بعد فزعهم لآدم، ثم لأولي العزم نوح إبراهيم موسى فاعيسى، واعتذار كل منهم. والموصول مع الصلة إما بدل من النكرة، أو صفة لها، على رأي الأخصش لأنها وصفت، أو عطف بيان، ويجوز القطع للرفع أو النصب. وإنما نكر مقامًا محمودًا لأنه أفخم وأجزل كأنه قيل: مقام، وأي مقام يغبطه فيه الأولون والآخرون محمود، اتكل عن أوصافه ألسنة الحامدين، ويشرف به على جميع العالمين، يسأل فيعطى، ويشفع فيشفع، وليس أحد إلا تحت لوائه، كما أفاده القسطلاني وابن حجر. وأما لفظ: والدرجة الرفيعة، ولفظ: يا أرحم الراحمين، فكلاهما لا أصل لهما من الحديث على ما قاله ابن حجر.

(فإذا سمعت الأذان) أي أو الإقامة (وأنت في الصلاة فتمم الصلاة) ولا تجبه فإن الجواب حينئذ مكروه، (ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه) أي طريقه وترتيبه؛ وكذا إن كنت خارج الصلاة ولم تتابع الجواب حتى فرغ المؤذن من الأذان أو الإقامة، فيستحب أن تدارك متابعة الجواب ولو لغير عذر إن لم يطل الفصل عرفًا، وضبطه بعضهم بركعتين بأقل ممكن. ولو لم تسمع إلا آخر الأذان أو الإقامة أجب من الأول فتجيب في الجميع، وتجيب أيضًا في التراجع وإن لم تسمعه، على ما قاله الونائي.

(فإذا أحرم الإمام بالفرض فلا تشتغل إلا بالافتداء به، وصل الفرض كما سيتلى عليك) الكاف بمعنى على أي على الوجه الذي سيذكر ويبين لك (في) فصل (كيفية الصلاة وآدابها) بعد الفصل الذي ذكر كيفية النوم. فالكيفية هي العلة الصورية، بالإضافة من إضافة العلة الصورية لمعلولها، والعلة الصورية جزء من الصلاة. فإن كل شيء له علل أربع: علة صورية، وعلة مادية، وعلة فاعلية، وعلة غائية. فالعلة المادية سبب في العلة الصورية، فالعلة الفاعلية في الصلاة المصلي، والمادية الأركان، والغائية كحصول الثواب. فقد وجدت العلل الأربع في الصلاة، والعلة الصورية هي القائمة من هذا المركب، كذا أفاده الشيخ عطية الأجهوري.

فإذا فرغت فقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم. اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام، فحينما ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام. سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. ثم ادع بعد ذلك بالجوامع الكوامل وهو ما علمه رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها، فقل: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم،



(فإذا فرغت) أي من ركعتي الفرض (فقل) بعد الاستغفار ثلاثاً كما رواه مسلم عن ثوبان عتيق رسول الله ﷺ: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم. اللهم أنت السلام) أي السالم من كل ما لا يليق بجلال الربوبية وكمال الألوهية، (ومنك السلام) أي السلامة من كل مكروه، (وإليك يعود السلام) أي السلام منا في آخر الصلاة، (فحينما) أي أكرمنا (ربنا بالسلام) أي بالأمن مما جنيناه، وبالغفو عما اقترفناه. (وأدخلنا الجنة) وفي نسخة بدل الجنة: دارك، وفي الإحياء سقوطهما (دار السلام) أي السلامة من التباض والآفات، أو لأن الملائكة يقولون لأهلها: سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار. (تباركت) أي تقدست كما قاله العزيزي، وفي نسخة بعد ذلك: وتعاليت أي تنزهت، وفي الإحياء سقوطه. (يا ذا الجلال) أي الشرف والكمال، فلا شرف ولا كمال إلا له. (والإكرام) فلا مكرومة إلا وهي منه تعالى، ثم يفتح الدعاء عقب الصلاة بقوله:

(سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب) أي كثير النعم دائم العطاء. روى سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ كان يستفتح دعاءه بقوله: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ، ثَلَاثًا». (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده) أي بقدرته وتدبيره (الخير، وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) هذا كما في الإحياء. وقال النووي في الأذكار: روي في صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله. لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة والفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

(ثم ادع بعد ذلك بالجوامع) أي بجوامع الكلم كما قاله المناوي (الكوامل) أي كوامل الأدعية (وهو ما علمه رسول الله ﷺ عائشة) الصديقة (رضي الله عنها، فقل: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم،

وأسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد، وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، اللهم وما قضيت علي من أمر فاجعل عاقبته رشداً. ثم ادع بما أوصى به رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها، فقل: يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، ومن عذابك أستجير، لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، وأصلح لي شأني كله بما أصلحت به الصالحين. ثم قل ما قاله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع ما أرجو، وأصبح الأمر بيدك لا بيد غيرك، وأصبحت مرتهنًا بعملتي، فلا فقير أفقر مني إليك، ولا غني أغنى منك عني.



وأسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد) وقوله: ونية واعتقاد في الموضوعين لم يذكر في الإحياء ولا في الجامع، وقوله: وعمل بالواو في الموضوعين كما في الإحياء، وبأو كما في الجامع. (وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ) قوله: من خير بالتنكير موافق للجامع؛ وأما الذي في الإحياء فبالتعريف، فما مفعول ثان، ومن خير بيان، إن قرئ بالتنكير أو التعريف؛ وأما إن قرئ بإضافة خير إلى ما فهو مفعول ثان. ومن إما زائدة أو تبعية. وقوله: ونبيك موافق للجامع، وفي الإحياء: ورسولك بدله كما في بعض النسخ لهذا الكتاب. وعبارة الجامع: وأعوذ بك من شر ما عاذ به، وعبارة الإحياء: وأستعيذك بما استعاذك منه، كما في بعض نسخ هذا الكتاب. وأما كلمة منه في الموضع الأول فساقطة في الإحياء والجامع. (اللهم وما قضيت علي من أمر فاجعل عاقبته رشداً) أي إصابة للخير كما قاله الرملي، وفي الجامع وهو رواية عن ابن ماجه عن عائشة بدل ذلك: وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيت لي خيراً.

(ثم ادع بما أوصى به رسول الله ﷺ) سيدتنا (فاطمة رضي الله عنها، فقل: يا حي يا قيوم) أي قائم بنفسه ومقيم لغيره. (يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث) والمعنى: اكشف شدتي، (ومن عذابك أستجير، لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين) والمعنى: قم بأمرتي ولا تترك إعانتني ولو قدر تحرك العين. (وأصلح لي شأني كله) أي اجعل أمري كله صواباً وخيراً، وهذا مثل ما في الإحياء إلا قوله: ولا إلى أحد من خلقك فهو ساقط فيه، وقد يوجد في بعض النسخ زيادة على ذلك فلعله من النسخ.

(ثم قل ما قاله) سيدنا (عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع ما أرجو، وأصبح الأمر بيدك لا بيد غيرك، وأصبحت مرتهنًا بعملتي، فلا فقير أفقر مني إليك، ولا غني أغنى منك عني) وهذه الجملة الأخيرة مع قوله: إليك ساقطة في الإحياء كما

اللهم لا تشمت بي عدوي ، ولا تسؤ بي صديقي ، ولا تجعل مصيبتني في ديني ، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ، ولا مبلغ علمي ، ولا تسلط علي بذنبي من لا يرحمني . ثم ادع بما بدا لك من الدعوات المشهورات ،



في نسخة. (اللهم لا تشمت بي عدوي، ولا تسؤ بي صديقي) بفتح الصاد، ومعنى الجملتين: يا الله لا تنزل بي بلية تفرح عدوي، ولا مصيبة تحزن الصادق في ودي. وتشمت بضم التاء وسكون الشين وكسر الميم بمعنى تفرح. وتسؤ بفتح التاء وضم السين بمعنى تحزن، فهو متعد بنفسه كما في الصحاح. (ولا تجعل مصيبتني في ديني) فإن مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا. (ولا تجعل الدنيا أكبر همي) بفتح الهاء أي مرادي. (ولا مبلغ علمي) أي ولا تجعل الدنيا محل وصول علمي، بل اجعل علمي واصلاً إليك، وهذه الكلمة ساقطة في الإحياء. (ولا تسلط علي بذنبي من لا يرحمني) أي لا تجعل من لا يعطف علي قاهراً علي بسبب ذنبي عندك، وفي بعض النسخ: بذنوبي بالجمع، وفي الإحياء سقوطه كما في نسخة.

(ثم ادع بما بدا) أي ظهر (لك من الدعوات المشهورات) والأولى أن تأتي بسيد الاستغفار وهو: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت. وروي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمَسِّي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأَشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ كَانَ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ ». وعن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح قال: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَرِزْقًا طَيِّبًا » هكذا في الأذكار للنووي رحمه الله تعالى.

وقال الغزالي لبعض تلامذته: واقرأ هذا الدعاء في أوقاتك خصوصاً أعقاب صلواتك: اللهم إني أسألك من النعمة تمامها، ومن العصمة دوامها، ومن الرحمة شمولها، ومن العافية حصولها، ومن العيش أرغده، ومن العمر أسعده، ومن الوقت أطيبه، ومن الإحسان أتمه، ومن الإنعام أعمه، ومن الفضل أعذبه، ومن اللطف أنفعه، ومن الرزق أوسع. اللهم كن لنا ياجبار، ولا تكن علينا. اللهم اختم بالسعادة آجالنا، وحقق بالزيادة أعمالنا، وأقرن بالعافية غدونا وأصالنا، واجعل إلي مغفرتك ورحمتك مصيرنا ومآلنا، واصيب سجال عفوك على ذنوبنا، ومن علينا بإصلاح عيوبنا، واجعل التقوى زادنا، وفي دينك اجتهادنا، وعليك توكلنا واعتمادنا، وثبتنا على نهج الاستقامة، وأعدنا في الدنيا والآخرة من موجبات الندامة يوم القيامة. اللهم خفف عنا ثقل الأوزار، وارزقنا معيشة الأبرار، واكفنا واصرف عنا شر الأشرار، وأعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا من النار، برحمتك يا عزيز يا غفار، يا كريم يا ستار، يا حلیم يا جبار، يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

واحفظها مما أوردناه في كتاب الدعوات من كتاب إحياء علوم الدين. ولتكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس موزعة على أربع وظائف: وظيفة في الدعوات، ووظيفة في الأذكار والتسبيحات وتكررها في سبحة، ووظيفة في قراءة القرآن، ووظيفة في التفكير.....



(واحفظها) أي الدعوات (مما أوردناه) أي أحضرناه وذكرناه (في كتاب الدعوات من كتاب إحياء علوم الدين) فادع بجميعها إن قدرت عليه، أو احفظ منها ما تراه أوفق بحالك وأرق لقلبك وأحف على لسانك، كما قاله الشيخ الغزالي.

ومن الدعوات المذكورة في الإحياء دعاء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، ومن دعا بذلك إذا أصبح فقد أدى شكر يومه وهو: اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك، واختمه لي بمغفرتك ورضوانك، وارزقني فيه حسنة تقبلها مني، وزكها وضعفها لي، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي، إنك غفور رحيم ودود كريم.

ومنها دعاء عتبة الغلام، وقد رؤي في المنام فقال: دخلت الجنة بهذه الكلمات: اللهم يا هادي المضلين، وراحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم، والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأخيار المرزوقين، الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين.

(ولتكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس موزعة) أي مقسومة (على أربع وظائف) أي أوراد: (وظيفة في الدعوات) فليبدأها بذكر الله كما مر ذكره، ولا يبدأ بالسؤال. قال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحته بقوله: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ»، وليبدأها بالصلاة على النبي ﷺ، ثم اسأل حاجتك، ثم اختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما، كذا في الإحياء. (وظيفة في الأذكار والتسبيحات) وهي كلمات وردت في تكرارها فضائل، وستأتي في كلامه، (وتكررها في سبحة) بضم السين وهي خرزات منظومة، وتسمى أيضاً مذكرة أو في يدك. (وظيفة في قراءة القرآن) فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء. إذا كان بتدبير فيستحب لك قراءة جملة من الآيات التي وردت الأخبار بفضلها، وهو أن تقرأ سورة الفاتحة، وآية الكرسي، وخاتمة البقرة من قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾، و﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ الآيتين، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى آخرها، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية، وخمس آيات من أول الحديد، وثلاثاً من آخر سورة الحشر، هكذا في الإحياء. (وظيفة في التفكير) فهما تيسر لك الفكر فهو أشرف العبادات، إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين؛ أحدهما: زيادة المعرفة، إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف. والثاني: زيادة

فتفكر في ذنوبك وخطاياك وتقصيرك في عبادة مولاك وتعرضك لعقابه الأليم وسخطه العظيم. وترتب بتدبيرك أورادك في جميع يومك لتتدارك به ما فرط من تقصيرك، وتحترز من التعرض لسخط الله تعالى الأليم في يومك، وتنوي الخير لجميع المسلمين. وتعزم أن لا تشتغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى، وتقصد في قلبك الطاعات التي تقدر عليها، وتختار أفضلها، وتتأمل تهيئة أسبابها لتشتغل بها، ولا تدع عنك التفكير في قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل



المحبة، إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه، ولا تنكشف عظمة الله تعالى إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله. فيحصل من الفكر المعرفة، ومن المعرفة التعظيم، ومن التعظيم المحبة.

(فتفكر) بضم التاء وفتحها وسكون الفاء وكسر الكاف مضارع أفكر بالهمزة، وفكر من باب ضرب كما في الصحاح والمصباح. (في) ما ينفعل في المعاملة مع الله، بأن تحاسب نفسك فيما سبق من (ذنوبك وخطاياك وتقصيرك) أي توانيك (في عبادة مولاك) وتفكر فيما ينفعل في علم المكاشفة، (و) ذلك بأن تفكر مرة في (تعرضك) أي إقبالك (لعقابه الأليم وسخطه العظيم) أو في نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة. (وترتب) بصيغة المضارع المفيد للخطاب، معطوف على تفكر (بتدبيرك) أي فكرك (أورادك في جميع يومك لتتدارك به ما فرط) أي سبق (من تقصيرك) ولتصلحه. (وتحترز من التعرض لسخط الله تعالى الأليم في يومك) وتزيد معرفتك بقدرة الإله ويزيد خوفك منه، ولتزيد معرفتك بالآلاء ويكثر شكرك عليها. فقولهُ: لتتدارك علة لقوله: تفكر في ذنوبك، وقوله: وتحترز علة لقوله: تعرضك. (وتنوي الخير) معطوف أيضاً على تفكر، أي تحضر في قلبك نية أداء الخير في أعمالك لنفسك وفي معاملتك (لجميع المسلمين) فنية المرء خير من عمله.

(وتعزم على أن لا تشتغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى، وتقصد) وفي بعض النسخ: وتفصل (في قلبك الطاعات التي تقدر عليها، وتختار) أي بخلدك (أفضلها) أي الطاعات، (وتتأمل) أي تتقرب (تهيئة أسبابها لتشتغل بها. ولا تدع عنك التفكير في قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل) قال رسول الله ﷺ: « أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ (*) » معناه: نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها، فتنقلبوا على الله تعالى. وقالت عائشة: يا رسول الله، هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: « نَعَمْ، مَنْ

(*) هادم اللذات أي الموت. وهادم روي بالدال المهملة والمعجمة. والهزم: القطع، ومنه: سيف هذام. واللذات هي الشهوات. فإن كان بالدال المهملة فالمعنى: مزيلها من أصلها. قال الحافظ ابن حجر: وسياق المصنف أنها بالدال المعجمة، حيث قال: معناه: نغصوا الخ. في اللسان: نغص نغصاً أي لم تتم له هناعته. قال الليث: وأكثره بالتشديد نُغِصَ تنغيصاً. قال ابن العربي: نغص علينا أي قطع علينا ما كان نحب الاستكثار منه؛ وكل من قطع شيئاً مما يُحِبُّ الازدياد منه فهو مُنْغِصٌ.

وخروج الأمر عن الاختيار وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار. وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات: إحداهن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. الثانية: لا إله إلا الله الملك الحق المبين. الثالثة: لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما، العزيز الغفار. الرابعة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الخامسة: سبح قدوس رب الملائكة والروح.....



يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عِشْرِينَ مَرَّةً». (وخروج الأمر عن الاختيار) وهو خلاف الاضطرار، وهذا معطوف على قرب الأجل. (وحصول الحسرة) بالحاء المهملة أي الحزن (والندامة) في الآخرة (بطول الاغترار) أي الغفلة عن الموت في الدنيا، فإنها تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا. وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات):

(إحداهن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير).

(الثانية: لا إله إلا الله الملك الحق المبين) فمعنى الملك: ذو الملك، والمراد به القدرة على الإيجاد. ومعنى المبين: المظهر للصراف المستقيم لمن شاء هدايته، كما قاله العزيزي.

(الثالثة: لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما، العزيز الغفار) فمعنى الواحد: الذي لا ينقسم ولا مشابهة بينه وبين غيره. ومعنى القهار هو الذي لا موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته. ومعنى العزيز: الغالب. ومعنى الغفار هو الذي يستر القبائح والذنوب بإسبال الستر عليها في الدنيا، وترك المؤاخذة بالعفو عنها في العقبى، ويصون العبد من أوزارها، كذا في شرح الجامع.

(الرابعة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وهذه الكلمة إلى قوله: والله أكبر تسمى الباقيات الصالحات، وقيل: هي إلى قوله: إلا بالله. قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

(الخامسة: سبح قدوس) وهما اسمان من أسماء الله تعالى. قال ثعلب: كل اسم جاء على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس، فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان. وقرأهما سبويه بالفتح والفرق بين التسييح والتقديس أن التسييح يكون بالطاعات والعبادات، والتقديس يكون بالمعارف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله أي فيكون التقديس التفكر في ذلك. (رب الملائكة والروح) وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن السني عن الزبير: «مَا مِنْ صَبَاحٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا وَصَارِحٌ يَصْرُخُ: أَيُّهَا الْخَلَائِقُ، سَبِّحُوا الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ رَبَّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ». قال الشرييني:

السادسة: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. السابعة: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو، الحي القيوم، وأسأله التوبة والمغفرة. الثامنة: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا راد لما قضيت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. التاسعة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم. العاشرة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.



الروح هو جبريل عليه السلام، وقال: الروح ملك، رأسه تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وله ألف رأس، كل رأس أعظم من الدنيا، وفي كل رأس ألف وجه، وفي كل وجه ألف فم، وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد، ولكل لسان لغة لا تشبه لغة الآخر، فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجداً مخافة أن تحرقهم أنوار أفواهه اهـ.

(السادسة: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) ومعنى العظيم: البالغ في أقصى مراتب العظمة، وهو الذي لا يتصوره عقل، ولا يحيط بكنهه بصيرة. وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ».

(السابعة: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأسأله التوبة) أي المغفرة والإنقاذ من المعاصي، وفي بعض النسخ بعد ذلك زيادة: والمغفرة، وفي الإحياء عدمها.

(الثامنة: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا راد لما قضيت) هذه الأخيرة ساقطة في الإحياء، (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) أي لا ينفع ذا الغنى عندك غناه، وإنما ينفعه العمل بطاعتك. ومعنى منك: عندك.

(التاسعة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم).

(العاشرة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم). وهذه الكلمات مخالفة لما في الإحياء من الترتيب وبعض الكلمات وفيه: وهذه الكلمات عشرة: الأولى قوله: لا إله إلا الله إلى آخرها بلا مخالفة. الثانية قوله: سبحان الله والحمد لله إلى آخرها لكن بإسقاط العلي العظيم. الثالثة قوله: سبح قدوس رب الملائكة والروح بلا مخالفة. الرابعة قوله: سبحان الله العظيم وبحمده. الخامسة قوله: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة. السادسة قوله: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. السابعة قوله: لا إله إلا الله الملك الحق المبين. الثامنة قوله: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. التاسعة قوله: اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. العاشرة قوله: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون.

تكرر كل واحدة من هذه الكلمات إما مائة مرة أو سبعين مرة أو عشر مرات وهو أقله ليكون المجموع مائة. ولازم هذه الأوراد، ولا تتكلم قبل طلوع الشمس، ففي الخبر: « إِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ إِعْتِقِ ثَمَانِ رِقَابٍ مِنْ وَدِّ إِسْمَاعِيلَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » أعني الاشتغال بالذكر إلى طلوع الشمس من غير أن يتخلله كلام.



ثم قال المصنف: وإن قرأت المسبعات العشرة التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي، فقد استكمل لك الفضل. وجمع لك ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة وهي: أن تقرأ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب سورة: ﴿ الْحَمْدُ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾، وآية الكرسي، كل واحدة سبع مرات. وتقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر سبعاً، وتصلي على النبي ﷺ سبعاً. وتستغفر لنفسك ولوالديك والمؤمنين والمؤمنات سبعاً. وتقول: اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور حلِيم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات، ولا تدع ذلك غدوة وعشية.

(تكرر) بصيغة المضارع الذي للخطاب (كل واحدة من هذه الكلمات إما مائة مرة أو سبعين مرة أو عشر مرات وهو) أي العشرة (أقله) أي التكرير (ليكون المجموع مائة) مرة، فهو أفضل من أن تكرر واحدة مائة مرة، لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلاً بانفراده، وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ، وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة استراحة وأمن من الملل، كذا قال المصنف في الإحياء.

(ولازم هذه الأوراد) وفي بعض النسخ: هذه الأذكار. وقال في الإحياء: وأقل ما ينبغي أن تكرر كل واحدة من هذه الكلمات ثلاثاً أو سبعاً، وأكثره مائة أو سبعون، وأوسطه عشر، وفضل الأكثر أكثر. والأوسط أن تكرر عشر مرات فهو أجدر بأن تداوم عليه، وخير الأمور أدومها وإن قل. وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة.

(ولا تتكلم قبل طلوع الشمس، ففي الخبر: « إِنَّ ذَلِكَ » أي عدم الكلام قبل طلوع الشمس (أفضلُ مِنْ إِعْتِقِ ثَمَانِ رِقَابٍ) ثمان بحذف الياء (مِنْ وَدِّ إِسْمَاعِيلَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ») أي لو فرض أن ولد إسماعيل عبد، وهو لم يكن كذلك بل هو من أفضل الناس، وإنما دل هذا الحديث على زيادة فضيلة صاحب هذا العمل. (أعني) باسم الإشارة (الاشتغال بالذكر) أي بأي ذكر كان، لا بخصوص هذه الكلمات (إلى طلوع الشمس من غير أن يتخلله) أي الذكر (كلام) فقد قال ﷺ: « لَأَنْ أَقْعُدَ فِي مَجْلِسِي أَذْكَرُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ ». وروى أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: يَا أَبْنَ آدَمَ، أَذْكَرْنِي بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ سَاعَةً

آداب ما بين طلوع الشمس إلى الزوال

فإذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين. وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلاة، فإنها مكروهة من بعد فريضة الصبح إلى ارتفاع الشمس. فإذا أضحى النهار ومضى منه قريب من رבעه فصل صلاة الضحى أربعاً أو ستاً أو ثمانية مثني مثني. فقد نقلت هذه الأعداد كلها عن رسول الله ﷺ، والصلاة خير كلها فمن شاء فليستكثر، ومن شاء فليستقلل.....



وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ سَاعَةً، أَكْفَكَ مَا بَيْنَهُمَا «، كذا في الإحياء. وروي عن أنس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ » كذا في الأذكار.

آداب ما بين طلوع الشمس إلى الزوال

(فإذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح) أو قدر نصفه كما في الإحياء، (فصل ركعتين) إما بنية صلاة الإشراق بناء على القول بأنها غير صلاة الضحى، أو بنية الضحى بناء على أنها هي وهو المعتمد. فقد روى علي رضي الله عنه أنه ﷺ كان يصلي الضحى ست ركعات في وقتين: إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام صلى ركعتين، وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً. (وذلك) أي فعل ركعتين (عند زوال وقت الكراهة) أي كراهة التحريم (للصلاة، فإنها) أي الصلاة (مكروهة) مع صحتها (من بعد فريضة الصبح إلى ارتفاع الشمس) وهو ظهور تمام نورها.

(فإذا أضحى) أي علا (النهار ومضى منه قريب من رבעه فصل صلاة الضحى أربعاً أو ستاً أو ثمانية) وهي أفضلها وأكثرها على المعتمد. (مثني مثني) أي سلم من كل ركعتين، وهو أفضل. وذكر السيوطي أن الأفضل أن يقرأ الإنسان في الركعة الأولى منها بعد الفاتحة سورة ﴿والشمس﴾ بتمامها، وفي الثانية: الفاتحة وسورة ﴿والضحى﴾ وتبعه على ذلك ابن حجر، لكن الرملي اعتمد أنه يقرأ في الركعة الأولى: الكافرون، وفي الثانية: الإخلاص، ويفعل ذلك في كل ركعتين منها.

(فقد نقلت هذه الأعداد كلها عن رسول الله ﷺ) كما قالت أم هانئ: « صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى (*) ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ » رواه أبو داود. (والصلاة خير كلها، فمن شاء فليستكثر، ومن شاء فليستقلل) كما في الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي هريرة: « الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، فَمَنْ أَسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ » أي الصلاة أفضل ما وضعه الله أي ما شرعه لعباده من العبادة، فمن

(*) والسبحة: ما يصلبه المرء نافلة من الصلوات، ومن ذلك سبحة الضحى. قال النووي: سميت السبحة للتسييح الذي فيها.

فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة إلا هذه. فما فضل عنها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات: الحالة الأولى وهي الأفضل: أن تصرفه في طلب العلم النافع في الدين دون الفضول الذي أكب الناس عليه وسموه علماءً. والعلم النافع هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا، ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها، ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره، وكيفية تلبيسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه حيث أكلوا الدنيا بالدين،



استطاع أن يكثر فعلها فليكثره، فإنها أفضل العبادات البدنية بعد الإيمان. (فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة إلا هذه) أي صلاة الضحى، وفي بعض النسخ: فليس بين الطلوع والزوال راتبة إلا هذه الصلوات.

(فما فضل عنها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات؛)

(الحالة الأولى وهي الأفضل: أن تصرفه) أي فاضل الأوقات في نفع الناس بعلمك في فتوى وتدریس أو تصنيف أو مطالعة للكتب، فإن أمكنك استغراق الأوقات في ذلك وهو أفضل ما تشتغل به بعد المكتوبات وروايتها، لأن في ذلك منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة. ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصالح بها عبادة عمره، ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعاً. هذا إن كنت عالماً، وأما إن كنت متعلماً فالأفضل أن تصرف أوقاتك (في طلب العلم النافع في الدين) حيث يشتغل العالم بالإفادة، وفي نسخ: حيث يشتغل العالم بالتصنيف. وكذا لو لم تكن متعلماً بأن تتعلق بأن تحصل لتصير عالماً، بل لو كنت من العوام فحضورك مجالس الوعظ والعلم أفضل من اشتغالك بالأوراد والنوافل، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه: « أَنَّ حُضُورَ مَجْلِسٍ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِبَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ ». (دون الفضول) أي الذي لا ينفع (الذي أكب) أي لازم (الناس عليه، وسموه علماءً) وذلك كعلم السحر والنجوم.

(والعلم النافع) المقدم على العبادة (هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك) أي علمك (بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا، ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها) ويعينك على سلوك طريق الآخرة إذا تعلمت ذلك العلم على قصد الاستعانة به على السلوك، (ويطلعك) أي يعلمك (على مكايد الشيطان) أي مكره (وغروره) أي خديعته. (وكيفية تلبيسه) أي تدليسه وخيائته (على علماء السوء) وهم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا، والتوصل إلى الجاه (حتى عرضهم) أي وجههم (لمقت الله تعالى) أي بغضه (وسخطه) أي غضبه، (حيث أكلوا) أي أخذوا (الدنيا بالدين) فقوله: حيث أكلوا إلى آخره، تعليل

واتخذوا العلم ذريعة ووسيلة إلى أخذ أموال السلاطين، وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين، وصرف همتهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق، واضطربهم ذلك إلى المراءاة والمماراة والمناقشة في الكلام والمباهاة. وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه في كتاب إحياء علوم الدين.....



لتسميتهم علماء السوء، أي وإنما سموا علماء السوء لأنهم أكلوا. (واتخذوا) أي جعلوا (العلم ذريعة ووسيلة إلى أخذ أموال السلاطين، وأكل أموال الأوقاف) أي التي وقفت على العلماء (اليتامى والمساكين، وصرف) أي أمال الشيطان بالإفراء معطوف على عرضهم، وفي بعض النسخ: وصرفوا بالجمع عطفًا على أكلوا. (همتهم) بكسر الهاء أي عزمهم القوي (طول نهارهم إلى طلب الجاه) أي الرتبة فهو مطلوب من الوجه (والمنزلة) أي العظم والارتفاع (في قلوب الخلق، واضطربهم) أي ألجأهم وأكرههم (ذلك) أي صرف الهمة إلى ما ذكر. والمناسب أن يقول: فاضطربهم بالفاء، ليكون تفريرًا على قوله: وصرف همتهم. (إلى المراءاة) أي إظهار العبادة بقصد رؤية الناس لها ليحمدوهم (والمماراة) أي المجادلة (والمناقشة) بالقف والشين المعجمة أي الاستقصاء (في الكلام) وفي بعض النسخ: والمنافسة بالفاء والسين المهملة مع إسقاط قوله: في الكلام، فمعناها: الرغبة في العلم والعمل على وجه المماراة أي المعارضة. (والمباهاة) أي التعاضم والتكبر.

(وهذا الفن) أي النوع الذي هو (من العلم النافع قد جمعناه في كتاب إحياء علوم الدين) وأذكر تلخيص ما فيه وهو: أن العلم النافع قسمان: قسم محمود قليله وكثيره، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل؛ وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه. فالأول هو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا. والثاني ينقسم إلى أربعة أقسام: أصول، وفروع، ومقدمات، وامتدادات. فالأصول هي أربعة: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة، فهذان أصلان من حيث أنهما يدلان على السنة. والفروع على قسمين؛ أحدهما: ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه، وثانيهما: ما يتعلق بمصالح الآخرة، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى وما هو مكروه. والمقدمات هي التي تجري مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو، فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشريفة في أنفسهما، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع، إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب، وكل شريعة بلغة، فيصير تعلم تلك اللغة آلة، ومن الآلات علم كتاب الخط. والامتدادات هي في علم القرآن، فإنه ينقسم إلى ثلاثة أنواع: قسم يتعلق باللفظ كتعلم القرآن ومخارج الحروف، وقسم يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتماده على النقل إذ اللغة بمجرد ما لا تستقل به، وقسم يتعلق بأحكام القرآن كمعرفة الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض، هو العلم الذي يسمى أصول الفقه. وأما الامتدادات في الآثار والأخبار

فإن كنت من أهله فحصله، واعمِل به، ثم علمه، وادع إليه. فمن علم ذلك وعمل به ثم علمه ودعا إليه، فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام. فإذا فرغت من ذلك كله وفرغت من إصلاح نفسك ظاهراً وباطناً وفضل شيء من أوقاتك، فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب في الفقه لتعرف به الفروع النادرة في العبادات، وطريق التوسط بين الخلق في الخصومات عند انكبابهم على الشهوات؛ فذلك أيضاً بعد الفراغ من هذه المهمات من جملة فروض الكفايات. فإن دعوتك نفسك إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استثنائاً لذلك،



فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم، والعلم بالعدالة في الرواة، والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند، فهذه هي العلوم الشرعية، وكلها من فروض الكفايات.

(فإن كنت من أهله) أي العلم النافع المذكور كله (فحصله) أي اطلبه بتعلمه من أهله (واعمِل به) أي بذلك العلم، (ثم علمه) للناس (وادع إليه) أي العلم المذكور. (فمن علم ذلك) أي العلم النافع (واعمِل به، ثم علمه ودعا إليه فذلك) أي الشخص المتصف بذلك المذكور (يدعى) أي يسمى (عظيمًا) في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام) أي لأن سيدنا عيسى قال: من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السموات، وقال النبي ﷺ: « مَنْ تَعَلَّمَ بَابًا مِنْ الْعِلْمِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ أُعْطِيَ ثَوَابَ سَبْعِينَ صِدِّيقًا ».

(فإذا فرغت من ذلك) أي العلم النافع (كله)، وفرغت من إصلاح نفسك ظاهراً وباطناً، وفضل شيء من أوقاتك، فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب في الفقه لتعرف به الفروع النادرة) أي الخارجة عن فرض العين (في العبادات، وطريق التوسط) أي العدل (بين الخلق في الخصومات عند انكبابهم) أي إقبالهم (على الشهوات) أي جميع اشتياق النفس. (فذلك) أي الاشتغال بعلم المذهب (أيضاً بعد الفراغ من هذه المهمات) أي الأمور اللازمة (من جملة فروض الكفايات) ومن فروض الكفايات تعلم الطب.

وقال الزيادي: وطلب العلم الشرعي على ثلاثة أقسام: فرض عين وهو تعلم ما لا بد منه، وفرض كفاية وهو تعلم ما يصل به إلى درجة الإفتاء، وسنة وهو ما زاد على ذلك اهـ. وقال الغزالي: فكن أحد رجلين، إما مشغولاً بنفسك، وإما متفرغاً لغيرك بعد الفراغ من نفسك، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل صلاح نفسك. فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك، وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم. وإنما الأهم علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم، إذ لا ينفعك بشر عن الصفات المذمومة، مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها.

(فإن دعوتك نفسك) أي الأمانة اللوامة (إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استثنائاً لذلك)

فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس في قلبك الداء الدفين، وهو حب المال والجاه، فإياك أن تغتر به فتكون ضحكة له فيهلكك ويسخر منك. فإن جربت نفسك مدة في الأوراد والعبادات فكانت لا تستثقلها كسلاً عنها لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد به إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة، فذلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية، ولكن الشأن في صحة النية، فإن لم تصح فهو معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال. الحالة الثانية: أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع في الدين، ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة، فذلك من درجات العابدين وسير الصالحين، وتكون أيضاً بذلك من الفائزين.



أي معتقداً ثقل ذلك المذكور، (فاعلم أن الشيطان اللعين) أي البعيد عن الخير (قد دس) أي أخفى (في قلبك الداء الدفين، وهو حب المال والجاه) أي القدر. (فإياك) أي احذر تلافيك (أن تغتر به) أي تظن الأمن من الشيطان فلم تتحفظ منه، (فتكون ضحكة) بضم الضاد وفتح الحاء (*) أي كثير الضحك (له) أي الشيطان، (فيهلكك ويسخر) أي يهزأ (منك) وفي بعض النسخ: بك، فإن السخر يتعدى بمن والباء.

(فإن جربت نفسك مدة) أي زماناً طويلاً (في الأوراد والعبادات) أي النافلة، (فكانت لا تستثقلها كسلاً) بفتح السين أي ثقلاً، فهو مفعول مطلق (عنها، لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد به إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة، فذلك) أي تحصيل العلم (أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية) بأن لا تقصد في تعلم العلم إلا القيام بإحياء الشريعة ونشرها، فهذا العمل مع هذه النية أفضل من صيام النهار وقيام الليل، ومن الخلوة والرياضة، ومن كل شيء غيره. ولو اقتصر صاحبه على الفرائض مع هذه النية الصالحة كان أفضل من غيره بأضعاف مضاعفة، لأن النفع المتعدي أعظم من النفع القاصر. (ولكن الشأن) أي الأمر المعتد به (في صحة النية، فإن لم تصح) أي النية (فهو) أي تحصيل العلم (معدن) أي موضع (غرور الجهال) والغرور بفتح الغين معناه: الدنيا أو الشيطان، وبضمها معناه: الأباطيل كما في القاموس، (ومزلة أقدام الرجال) أي العلماء.

(الحالة الثانية: أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع في الدين) في التدريس للطلبة، والاستفادة من العالم، (ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة، فذلك) أي الاشتغال بالعبادات (من درجات العابدين) المتجردين للعبادة (وسير الصالحين) أي طريقتهم. فالسير بكسر السين وفتح الياء جمع سيرة، بسكون الياء بمعنى: الطريقة والحالة والهيئة. (وتكون أيضاً بذلك) أي الاشتغال (من الفائزين) فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة، وكان فيهم من

(*) لعله وسكون الحاء أي مضحوكاً منه. وفي مختار الصحاح: والضحكة بسكونها: ما يضحك منه.

الحالة الثالثة: أن تشتغل بما يصل منه خير إلى المسلمين، ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين، أو يبتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين، والتردد في أشغالهم والسعي في إطعام الفقراء والمساكين، والتردد مثلاً على المرضى بالعبادة وعلى الجنائز بالتشجيع. فكل ذلك أفضل من النوافل، فإن هذه عبادات وفيها رفق للمسلمين. الحالة الرابعة: أن لا تقوى على ذلك فاشتغل بحاجاتك اكتساباً على نفسك أو على عيالك. وقد سلم المسلمون منك، وأمنوا من لسانك ويدك، وسلم لك دينك إذ لم ترتكب معصية



ورده ثلاثون ألفاً، وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة، وكان بعضهم أكثر ورده القرآن، وكان يختمه الواحد منهم في اليوم مرة، وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليلة في التفكير في آية واحدة يرددها. وكان كرز بن وبرة مقيماً بمكة يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً، وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً، وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم واللييلة مرتين.

واعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع، ولكن ربما تعسر المواظبة عليه. فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص. ومقصود الأوراد تطهير القلب بذكر الله تعالى وإيناسه به، فلينظر المرید إلى قلبه، فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه. فإذا أحس بملاحة منه فلينتقل إلى غيره، لأن الملل هو الغالب على الطبع، هكذا في الإحياء.

(الحالة الثالثة: أن تشتغل بما يصل منه خير إلى المسلمين، ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين) من قضاء حاجة لهم ومعاونة معهم على بر وتقوى، وقد ورد في الخير: «إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ إِذْخَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ». (أو) تشتغل بما يبتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين، كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين، والتردد في أشغالهم) جمع شغل بضم الشين والغين، وبإسكان الغين، وبه مع فتح الشين، وبفتحتين، ففيه أربع لغات. (والسعي) أي التصرف (في إطعام الفقراء والمساكين، والتردد مثلاً على المرضى) جمع مريض (بالعبادة) أي الزيارة، (وعلى الجنائز بالتشجيع) أي الاتباع إلى المقابر. (فكل ذلك أفضل من النوافل، فإن هذه عبادات) الفاء للتعليل كما في نسخة، (وفيها رفق) أي نفع (للمسلمين) كما قال الجيلاني: ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار، ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر.

(الحالة الرابعة: أن لا تقوى) أي لا تقدر (على ذلك) أي على الحالة الثالثة، أو على المذكور من الحالات الثلاث المتقدمة، (فاشتغل بحاجاتك اكتساباً على نفسك أو عيالك) أي أهل بيتك ومن تمونه، لأنه ليس لك أن تضيع العيال وتستغرق الأوقات في العبادات، وكان وردك حضور السوق والاشتغال بالكسب. (وقد سلم المسلمون منك) الواو للحال، (وأمنوا من لسانك ويدك) وهذا عطف تفسير على ما قبله، (وسلم لك دينك إذ لم ترتكب) أي لم تأت (معصية) في حال اكتسابك وفي غيره،

فتنال بذلك درجة أصحاب اليمين إن لم تكن من أهل الترقي إلى مقامات السابقين. فهذا أقل الدرجات في مقامات الدين، وما بعد هذا فهو من مراتع الشياطين. وذلك بأن تشتغل والعباد بالله بما يهدم دينك أو تؤذي عبداً من عباد الله تعالى. فهذه رتبة الهالكين، فإياك أن تكون في هذه الطبقة. واعلم أن العبد في حق دينه على ثلاث درجات: إما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي، أو رابح وهو المتطوع بالقربات والنوافل، أو خاسر وهو المقصر عن اللوازم. ...



(فتنال بذلك) أي الاكتساب (درجة أصحاب اليمين) وهم المقتصدون في العبادات (إن لم تكن من أهل الترقي إلى مقامات السابقين) وهم المسارعون في العبادة مع ضم التعليم والتعلم.

(فهذا) أي الكسب بتلك الصفة (أقل الدرجات في مقامات الدين) أما إذا داومت على الكسب ولم تنس ذكر الله تعالى في صناعتك بأن تواظب على التسيحات والأذكار وقراءة القرآن وتصدق بما فضل عن حاجتك، فذلك أفضل من سائر الأذكار التي ذكرت هنا، لأن العبادة المتعدية فائدها أنفع من اللازمة. والكسب على هذه النية عبادة لك في نفسك، تقربك إلى الله تعالى، ثم يحصل فائدة الغير، وينجذب إليك بركات دعوات المسلمين، ويتضاعف به الأجر. (وما بعد هذا) أي المذكور من الحالة الرابعة، (فهو من مراتع الشياطين) أي من محال تنعمهم واتساعهم.

(وذلك) أي ما بعد المرتبة الرابعة (بأن تشتغل، والعباد بالله، بما يهدم دينك) أي من إتيان الذنوب في حق الله تعالى، (أو تؤذي عبداً من عباد الله تعالى) بقول أو فعل، (فهذه رتبة الهالكين. فإياك) أي احذر (أن تكون في هذه الطبقة) أي الحالة والمرتبة، وقد قيل: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

(واعلم أن العبد في حق دينه على ثلاث درجات) أي طبقات من المراتب: (إما سالم) من الإثم (وهو المقتصر على أداء الفرائض) أي المكتفي به (وترك المعاصي، أو رابح) للآخرة (وهو المتطوع) أي المتبرع (بالقربات) وهي اسم لما يتقرب بها إلى الله تعالى (والنوافل، أو خاسر) أي هالك آثم (وهو المقصر) أي المتواني (عن اللوازم) أي في الواجبات، فعن بمعنى في. قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ أي في التقصير بالعمل، ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ أي يعمل في أغلب الأوقات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(١) وهو من يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل. وقال أبو بكر الوراق: أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة، ثم توبة، ثم قرينة. فإذا عصى دخل في حياز الظالمين، فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، فإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في أعداد السابقين.

فإن لم تقدر أن تكون رابحاً فاجتهد أن تكون سالمًا، وإياك ثم إياك أن تكون خاسرًا. والعبد في حق سائر العباد له ثلاث درجات: الأولى: أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة، وهو أن يسعى في أغراضهم رفقا بهم وإدخالاً للسرور على قلوبهم. الثانية: أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات، فلا ينالهم خيره، ولكن يكف عنهم شره. الثالثة: أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لا يرجى خيره ويتقى شره. فإن لم تقدر على أن تلتحق بأفق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى مراتب العقارب والحيات والسباع الضاريات.



(فإن لم تقدر أن تكون رابحاً) أي بالنوافل (فاجتهد أن تكون سالمًا) بأدائك الواجبات واجتنبك للمخالفات. (وإياك) أي احذر (ثم إياك) توكيد للأول (أن تكون خاسرًا) بعدم الاعتناء في الفرائض وإن كان العبد يدخل الجنة بفضل الله، ولكن بعد أن يستعد بطاعته، لأن رحمة الله قريب من المحسنين، كما حكي أن رجلاً في بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة، فأرسل الله إليه ملكاً يخبره بأنه مع تلك العبادة لا يليق به الجنة، فلما بلغه قال العابد: نحن خلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبده. فلما رجع الملك قال: إلهي أنت تعلم بما قال، فقال الله تعالى: إذا هو لم يعرض عن عبادتنا، فنحن مع الكرم لا نعرض عنه، اشهدوا ياملائكتي أنني قد غفرت له.

(والعبد في حق سائر العباد له) أي العبد (ثلاث درجات) أي مراتب؛

(الأولى: أن ينزل) أي العبد أي يقام (في حقهم) أي سائر العباد (منزلة) أي موضع (الكرام) أي على الله تعالى (البررة) أي الصادقين المطيعين وهو جمع بار (من الملائكة، وهو) أي العبد المنزل منزلة الملائكة (أن يسعى) أي يعمل (في أغراضهم) أي مقاصدهم (رفقا) أي نفعاً وإعانة (بهم، وإدخالاً للسرور على قلوبهم) كما روي في الحديث: « مَا عَبْدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ جَبْرِ الْخَاطِرِ ».

(الثانية: أن ينزل) أي العبد (في حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خيره) أي العبد، فخير فاعل. وفي نسخة: فلا ينالهم، وعلى هذه النسخة فخيره مفعول ثان. (ولكن يكف) أي العبد (عنهم شره) أي لا يفعل ما يؤذيهم بقول وفعل.

(الثالثة: أن ينزل) أي العبد (في حقهم منزلة العقارب والحيات) أي الأفاعي (والسباع الضاريات) أي المجترئات، ويقع السبع على كل ما له ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والنمر (لا يرجى خيره ويتقى شره).

(فإن لم تقدر) بكسر الدال وضمها كما في المصباح، وفتحها في لغة قليلة في الصحاح. (على أن تلتحق) أي تتشبه (بأفق الملائكة) أي بكرامهم وفواضلهم، (فاحذر أن تنزل) أي تحط (عن درجة) العبد المتوسط وهي مرتبة (البهائم والجمادات إلى مراتب) العباد السافلين وهي مراتب (العقارب والحيات والسباع الضاريات) أي العادية.

فإن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين فلا ترض لها بالهوي إلى أسفل سافلين فلعلك تنجو كفافاً لا لك ولا عليك. فعليك في بياض نهارك أن لا تشتغل إلا بما ينفعك في معادك أو معاشك الذي لا تستغني عن الاستعانة به على معادك. فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم فالعزلة أولى، فعليك بها ففيها النجاة والسلامة. فإن كانت الوسوس في العزلة تجاذبك إلى



(فإن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين) وهي درجة الملائكة إلى درجة المتوسطين،

(فلا ترض لها) أي لنفسك (بالهوي) بضم الهاء وفتحها مع كسر الواو وتشديد الياء أي السقوط (إلى أسفل سافلين) وهي درجة الحيوانات الفواسق. (فلعلك تنجو كفافاً) بفتح الكاف أي مقدار حاجتك من غير نقص ولا زيادة كما بين المصنف معنى الكفاف بقوله: (لا لك ولا عليك) أي لا ينفعك أحد كما لا تنفعه، ولا يضرك أحد كما لا تضره.

(فعليك في بياض) أي أوقات (نهارك) أن لا تشتغل إلا بما ينفعك في معادك) أي مرجعك وهو الآخرة (أو معاشك) أي مكتسبك الذي تعيش بسببه (الذي لا تستغني عن الاستعانة به) أي المعاش (على معادك) فإن كنت تاجرًا فينبغي أن تتجر بصدق وأمانة، وإن كنت صاحب صناعة فبصحة وشفقة. ولا تنس ذكر الله تعالى في جميع أشغالك، واقتصر من الكسب على قدر حاجتك ليومك مهما قدرت على أن تكتسب في كل يوم لقوتك. فإذا حصلت كفاية يومك فلترجع إلى بيت ربك ولتتزوج لآخرتك، فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدم. فلا تشتغل بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت. فقد قيل: لا يوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن: مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بد منها.

(فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم) من المعاصي الأربعة التي يتعرض الإنسان لها غالبًا بالمخالطة وتسلم منها بالخلوة، وهي: الغيبة، والرياء، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا. (فالعزلة أولى) أي أحق لك. (فعليك) أي الزم (بها) أي العزلة، (ففيها) أي لأن في العزلة (النجاة) أي الخلاص مما مر ومن الفتن والخصومات ومن شر الناس ومن مشاهدة الثقلاء. (والسلامة) من طمع الناس فيك، ومن طمعك في الناس. فإن انقطاع طمع الناس عنك فيه فوائد، فإن رضا الناس غاية لا تدرك، فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى. وإن انقطاع طمعك عنهم فيه فائدة جزيلة، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه، وانبعث بقوة الحرص طمعه، ومهما اعتزل لم يشاهد، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع.

(فإن كانت الوسوس) أي أحاديث النفس حال كونك (في العزلة تجاذبك) أي تنازعك (إلى

ما لا يرضي الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات، فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا. إذا عجزنا عن الغنيمة رضيها بالسلامة في الهزيمة، فأخس بحال من سلامة دينه في تعطيل حياته، إذ النوم أخو الموت، وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات.

آداب الاستعداد لسائر الصلوات

ينبغي أن تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال، فتقدم القبلولة إن كان لك قيام في الليل أو سهر في الخير. فإن فيها معونة على قيام الليل كما أن في السحور معونة على صيام النهار،




ما لا يرضي الله تعالى ولم تقدر على قمعها) أي قهرها وإذلالها (بوظائف العبادات، فعليك) أي الزم وتمسك (بالنوم فهو) أي النوم (أحسن أحوالك وأحوالنا. إذا عجزنا عن الغنيمة) وهو ما نيل من أهل الشرك عنوة (رضينا بالسلامة) من الهلاك (في الهزيمة) أي الغلبة، والمعنى: إذا لم تقدر على إتيان الأعمال الصالحة فلا تأت الأعمال الفاسدة. (فأخس) بكسر الخاء المعجمة وتشديد السين (بحال من سلامة دينه في تعطيل حياته) أي من العبادات. وقوله: أخس فعل تعجب ماض، ومجيئه على صورة الأمر. وقوله: بحال فاعل، والباء زائدة لتحسين اللفظ، لأن مجيء المرفوع بعد صورة الأمر قبيح. ويدل على ذلك ما في بعض النسخ: فما أخس حال من سلامة دينه في تعطيل حياته أي خسة حال من ذكر أمر يتعجب منه، وعلى هذه النسخة فقوله: حال مفعول. وحمل شيخنا يوسف السنبلاويني على أن قوله في النسخة الأولى: فأخس فعل أمر، فكان قوله: بحال مفعول له، فالباء للملابسة، والمعنى: ارض بالأمر الخسيس أي الحقير متلبسًا بحال من ذكر. (إذ النوم أخو الموت، وهو) أي النوم (تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات) وذكر أبو طالب المكي: خلافًا في اليقظة المجردة عن سائر العبادات من الذكر وغيره. والنوم الذي ليس للتقوي على طاعة الله تعالى وليس لأجل ترك معصية، فقيل: اليقظة أفضل من ذلك النوم لأنه نقص، وقيل: النوم أولى، لأنه قد يرى فيه الله تعالى أو النبي أو الصالحين؛ وأما النوم الذي على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل فهو قربة.

(آداب الاستعداد) أي التهيؤ (لسائر الصلوات)

(ينبغي) أي يطلب (أن تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال، فتقدم القبلولة) أي النوم في نصف النهار وهي سنة في غير يوم الجمعة (إن كان لك قيام في الليل) أي صلاة التهجد وهي صلاة التطوع في الليل بعد النوم، ولا حد لعدد ركعاته لقوله ﷺ لأبي ذر: «الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، أَسْتَكْتَرُ أَوْ أَقَلُّ» رواه ابن حبان والحاكم، أي الصلاة أفضل شيء موضوع أي مشروع من المندوبات. (أو سهر) بفتح الهاء أي أرق (في الخير) من الذكر ومطالعة الكتب بحيث لو لم تنم لم تشتغل بخير. (فإن فيها) أي القبلولة (معونة على قيام الليل، كما أن في السحور معونة على صيام النهار) كما قال رسول الله ﷺ: «أَسْتَعِينُوا بِالْقَبْلُولَةِ

والقبيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار. فإذا قلت فاجتهد أن تستيقظ قبل الزوال، وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلّي تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه ثم تقوم فتصلّي أربع ركعات عقب الزوال. كان رسول الله ﷺ يطولهن ويقول: « هَذَا وَقْتُ تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأَحَبُّ أَنْ يَرْفَعَ لِي فِيهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ». وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة، ففي الخبر: « أَنْ مَنْ صَلَّاهُنَّ فَأَحْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ، صَلَّى مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى اللَّيْلِ ». ثم صل الفرض مع الإمام، ثم صل بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة،

عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، وَبِالسُّحُورِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ، وَبِالْتَّمْرِ وَالزَّيْبِ عَلَى بَرْدِ الشِّتَاءِ» رواه أبو داود.  (والقبيلولة من غير قيام بالليل كالسحور) وفي بعض النسخ: كالتسحر (من غير صيام بالنهار).

(فإذا قلت) بكسر القاف أي نمت في وقت الظهيرة (فاجتهد أن تستيقظ) أي تنتبه (قبل الزوال) بقدر الاستعداد للصلوة بما ذكره المصنف بقوله: (وتتوضأ وتحضر المسجد) أي قبل دخول وقت الصلاة، فإن ذلك من فضائل الأعمال. وإن لم تنم ولم تشتغل بالكسب واشتغلت بالصلاة والذكر فهو أفضل أوقات النهار، لأنه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا، كذا في الإحياء. (وتصلّي تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه) كما تقدم بيان ذلك كله، (ثم تقوم) إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة (فتصلّي أربع ركعات عقب الزوال) بتسليمة واحدة، ومذهب الشافعي أنها مثنى مثنى كسائر النوافل، وهو الذي صح فيه الأخبار، كذا في الإحياء. (كان رسول الله ﷺ يطولهن) أي هذه الركعات (ويقول: « هذا وقت الزوال (وقْتُ تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأَحَبُّ أَنْ يَرْفَعَ لِي فِيهِ) أي في هذا الوقت (عَمَلٌ صَالِحٌ ») كما رواه أبو أيوب الأنصاري.

(وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة) أي على قول، والراجح أن الركعتين قبل الظهر أكد من جملة الأربعة كما في الإحياء، وهذا هو المعتمد. (ففي الخبر) الوارد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: « أَنْ مَنْ صَلَّاهُنَّ » أي أربع ركعات بعد زوال الشمس (فَأَحْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ) أي وقراءتهن، (صَلَّى مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى اللَّيْلِ) وفي الحديث عند الخطيب البغدادي عن أنس: « مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ يَوْمِهِ ذَلِكَ »، وفيه عن الطبراني عن رجل أنصاري: « مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ » أي كان ثواب ذلك مثل ثواب عتق نسمة من بني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

(ثم صل الفرض مع الإمام) بجماعة، (ثم صل بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب) المؤكدات (الثابتة) أي الواردة عن النبي ﷺ، وزد بعدهما ركعتين غير مؤكدتين لحديث رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أم حبيبة: « مَنْ حَافَظَ عَلَيَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعَ بَعْدَهَا حَرَمَتْهُ

ولا تشتغل إلى العصر إلا بتعلم علم أو إعانة مسلم أو قراءة قرآن أو سعي في معاش لتستعين به على دينك. ثم صل أربع ركعات قبل العصر فهي سنة مؤكدة، فقد قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ». فاجتهد أن ينالك دعاؤه ﷺ ولا تشتغل بعد العصر إلا بمثل ما سبق قبله. ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة فتشتغل في كل وقت بما اتفق كيف اتفق. بل ينبغي أن تحاسب نفسك، وترتب أوردك في ليلك ونهارك، وتعين لكل وقت شغلاً لا تتعدها، ولا

اللَّهُ عَلَى النَّارِ» أي منعه من دخولها. وقال الغزالي: ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة. (ولا تشتغل إلى العصر إلا بتعلم علم) إما بالحضور عند المدرس أو بمطالعة كتب، (أو إعانة مسلم) لقوله ﷺ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» والمعنى: والله معين للعبد لإعانة كاملة مادام العبد معيناً لأخيه، (أو قراءة قرآن، أو سعي في معاش لتستعين به) أي المعاش (على دينك) أو فنون الخير. وكن في انتظار الصلاة معتكفاً، فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة، وكان ذلك سنة السلف.

(ثم صل أربع ركعات قبل العصر) وبعد جواب المؤذن (فهي) أي هذه الأربع (سنة مؤكدة) أي من حيث رجاء الدخول في دعوة رسول الله ﷺ الآتية، فإن دعوته تستجاب لا محالة لا من حيث مواظبته ﷺ عليهن، فإنه لم يواظب على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر كذا في الإحياء، ولذلك كانت هذه الأربعة من الرواتب غير المؤكدة عند الشافعي، كما أفاده العريزي. (فقد قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً» وفي رواية: «عَبْدًا» (صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ)) رواه الترمذي وابن حبان عن عمر. (فاجتهد أن ينالك دعاؤه ﷺ) بالرحمة بأدائك هذه النافلة، (ولا تشتغل بعد العصر إلا بمثل ما سبق قبله) أي العصر.

(ولا ينبغي) أي لا يليق (أن تكون أوقاتك مهملة) أي متروكة بلا فائدة. وفي هذا الوقت يكره النوم، قال بعض العلماء: ثلاث يمقت الله عليها: الضحك بغير عجب، والأكل من غير جوع، ونوم بالنهار من غير سهر بالليل. (فتشتغل في كل وقت بما اتفق) أي صلح فيه (كيف اتفق) أي على أي مقدار صلح.

(بل ينبغي) أي يطلب لك (أن تحاسب نفسك) على الهفوات والزلات، وأقل ذلك في اليوم من بعد الظهر أو العصر إلى الليل. وكان بعضهم يقيد حركاته في نهاره في كتاب، فإذا أمسى جعله بين عينيه، وحاسب نفسه على ما فيه. وبعضهم كان يحاسبها على خواطره في اليوم واللييلة، ففي تلك المحاسبة بركة عظيمة، كذا أفاده عبد الله الشرقاوي في ربيع الفؤاد. (وترتب أوردك) وفي نسخة: وظائفك أي أعمالك المقدره (في ليلك ونهارك) فأورد النهار قد مضى ذكرها، وأورد الليل تأتي في كلامه كأورد ما بعد اصفرار الشمس. (وتعين لكل وقت شغلاً) أي وظيفة (لا تتعدها) أي لا تتجاوزها إلى غيره (ولا

تؤثر فيه سواه، فبذلك تظهر بركة الأوقات. فأما إذا تركت نفسك سدى مهملاً إهمال البهائم لا تدري بماذا تشتغل في كل وقت، فينقضي أكثر أوقاتك ضائعاً، وأوقاتك عمرك، وعمرك رأس مالك، وعليه تجارتك، وبه وصولك إلى نعيم دار الأبد في جوار الله تعالى. فكل نفس من أنفاسك جوهر، لا قيمة لها إذ لا بدل له. فإذا فات فلا عود له. فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم، فأبي خير في مال يزيد وعمر ينقص؟ ولا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح، فإنهما رفيقك يصحبانك في القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقائك. ثم إذا اصفرت الشمس فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل الغروب،



تؤثره) أي لا تختر ولا تقدم، وفي نسخة: ولا تودع أي تجعل. (فيه) أي ذلك الوقت (سواه) أي ذلك الشغل. (فبذلك) أي الترتيب أو التعيين، وفي نسخة: ففيه (تظهر بركة الأوقات).


(فأما إذا تركت) أي جعلت، فهو متعد لمفعولين (نفسك سدى) بضم السين أي لاغياً بلا أورد (مهملاً) أي متروكاً (إهمال البهائم) التي (لا تدري) أي البهائم (بماذا تشتغل) أي البهائم (في كل وقت، فينقضي) أي يذهب (أكثر أوقاتك ضائعاً) أي هالكاً، (وأوقاتك عمرك، وعمرك رأس) أي أصل (مالك، وعليه) أي المال (تجارتك) أي تصرفك في البيع والشراء، (وبه) أي المال (وصولك إلى نعيم دار الأبد في جوار) بكسر الجيم (الله تعالى) أي في الجنة. (فكل نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن (من أنفاسك جوهر) أي مثل جوهره أي حجر ينتفع به (لا قيمة لها) أي الجوهره (إذ لا بدل له) أي لذلك النفس. (فإذا فات) أي ذهب النفس عنك (فلا عود له) فينبغي لك الأدب معه تعالى ومراقبته تعالى في كل نفس من أنفاسك، فتكون في كل نفس سالكاً طريقاً إليه تعالى، وهو معنى قولهم: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق. قال بعضهم: إن اليوم ينادي كل وقت بقوله: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا بما عملت فيه شهيد، فاعتنمني، فإنك لا تدري كني إذا غربت الشمس.

(فلا تكن كالحمقى) بالقصر وهو جمع أي كالقوم الذين فسد عقلهم (المغرورين) بالدنيا والشيطان (الذين يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم، فأبي خير في مال يزيد) كل يوم (وعمر ينقص؟) في كل لحظة، (ولا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح، فإنهما رفيقك يصحبانك في القبر) ويؤنسناك فيه، (حيث يتخلف) أي يتأخر (عنك أهلك) أي زوجتك كما في المصباح (ومالك وولدك وأصدقائك) كقول الشاعر [من بحر الطويل]:

تَزَوَّدَ قَرِينًا مِنْ فَعَالِكَ إِنَّمَا * قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَعْمَلُ

(ثم إذا اصفرت الشمس) بأن تقرب من الأرض (فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل الغروب،


وتشتغل بالتسبيح والاستغفار. فإن فضل هذا الوقت كفضل ما قبل الطلوع، قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ واقرأ قبل غروب الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ والمعوذتين، ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار. فإذا سمعت الأذان فأجبه، وقل بعده: اللهم إني أسألك عند إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وحضور صلاتك، وأصوات دعائك، أن تؤتي محمداً الوسيلة، الدعاء كما سبق. ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والإقامة،

وتشتغل في ذلك الوقت (بالتسبيح والاستغفار) مثل: سبحان الله العظيم وبحمده، ومثل:  استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأسأله التوبة والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحسن، كقوله: استغفر الله إنه كان غفاراً، أستغفر الله إنه كان تواباً، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، كذا في الإحياء. (فإن فضل هذا الوقت كفضل ما قبل الطلوع، قال الله تعالى) في سورة طه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾^(١) أي اشتغل بتزييه الله تعالى في طرفي النهار، كما قاله أبو مسلم. (واقرا قبل غروب الشمس) أربع سور ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، والمعوذتين) بكسر الواو كما قاله القسطلاني. فمن قرأ سورة والشمس رزقه الله الفهم الذكي والفتنة في جميع الأشياء، ومن تلا سورة والليل حفظ من هتك الستر، ومن تلا سورة الفلق وفي السوء، ومن تلا سورة الناس عصم من البلايا وأعيذ من الشيطان، ومن داوم على قراءتها كان رزقه كالمطر. (ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار) الواو للحال، كذا في أكثر النسخ كما في الإحياء، وفي نسخة: ولا تغرب عليك الشمس إلا وأنت في الاستغفار.

(فإذا سمعت الأذان فأجبه، وقل بعده: اللهم إني أسألك) أي أطلب منك (عند إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وحضور صلاتك، وأصوات دعائك) بالتاء جمع داع اسم فاعل، (أن تؤتي) أي تعطي (محمداً الوسيلة) وهي منزلة في الجنة. (الدعاء) أي اقرأ الدعاء بتمامه (كما سبق) أي في دعاء الصبح. وفي سنن أبي داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُولَ عِنْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ: اللَّهُمَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ أَعْفِرْ لِي» هكذا في الأذكار، وهذا موافق لما في الإحياء. قال الغزالي: فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله، فإن ساوى يوم أمسه فيكون مغبوناً، وإن كان شراً منه فيكون ملعوناً، فإن رأى نفسه متوافراً على الخير جميع نهاره فليشكر الله تعالى على توفيقه وليشكره تعالى على صحة جسمه وبقاء عمره.

(ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والإقامة) أي وبعد ركعتين خفيفتين فهما قبل المغرب سنة

وصل بعده قبل أن تتكلم ركعتين فهما راتبا المغرب، وإن صليت بعدهما أربعاً تطيلهن فهن أيضاً سنة. وإن أمكنك أن تنوي الاعتكاف إلى العشاء وتحيي ما بين العشاءين بالصلوة، فافعل. فقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى، وهي ناشئة الليل، لأنه أول نشأة، وهي صلاة الأوابين. وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ فقال:

غير مؤكدة كما صححه النووي، (وصل بعده) أي الفرض (قبل أن تتكلم) وقبل أن تشتغل  بشيء (ركعتين) تقرأ فيهما: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، (فهما راتبا المغرب) مؤكدة. (وإن صليت بعدهما أربعاً تطيلهن، فهن أيضاً سنة) وهي سنة الأوابين. (وإن أمكنك أن تنوي الاعتكاف إلى العشاء وتحيي ما بين العشاءين بالصلوة فافعل) فإن غاية صلاة الأوابين عشرون ركعة، وقيل: ست ركعات كما أفاده البجيرمي، وكما قال الغزالي في الإحياء: ونقل من فعل رسول الله ﷺ بين العشاءين ست ركعات، وقال البجيرمي نقل عن الرملي: وصلاة الأوابين عشرون بين المغرب والعشاء، ورويت ستاً وأربعاً وركعتين فهما أقلها.

(فقد ورد في فضل ذلك) أي إحياء ما بين العشاءين بالصلوة والقرآن كما في الإحياء (ما لا يحصى) قال الغزالي في الإحياء: من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلوة أو بقرآن، كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة، مسيرة كل قصر منهما مائة عام، ويغرس له بينهما غراساً لو طافه أهل الأرض لوسعهم. وقال أيضاً: وإن كان المسجد قريباً من منزلك فلا بأس أن تصلي تلك الصلاة في بيتك إن لم يكن عزمك العكوف في المسجد. (وهي) أي هذه الأربع أو ما بين العشاءين، في بعض النسخ وهو بالتذكير، (ناشئة الليل) المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ ^(١) أي إن بدء الليل بالصلوة أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات، وأعظم سداداً من جهة وقعه في القلوب لحضور القلب، لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة. وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: هو ناشئة الليل، كما في السراج المنير. (لأنه) أي ما بين العشاءين (أول نشأة) بالهمزة دون الواو أي أول ساعات الليل، وأما النشوة بالواو فمعناه السكر كما علم من الصحاح والمصباح. (وهي) أي ناشئة الليل (صلوة الأوابين) أي التوابين، كما قد فسر ناشئة الليل في الآية ببدء الليل عطاء وعكرمة، وكما فسرها علي بن الحسين بصلوة الأوابين؛ وتسمى أيضاً صلاة الغفلة، لغفلة الناس عنها بسبب عشاء أو نوم أو نحو ذلك.

(وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ ^(٢)، فقال) أي

« هِيَ الصَّلَاةُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمَلَاحَاتِ النَّهَارِ وَتَهْدِبُ آخِرَهُ ». والملاغات جمع ملغاة، فهي من اللغو. فإذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض إحياء لما بين الأذنين، ففضل ذلك كثير، وفي الخبر: « إن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ». ثم صل الفرض، وصل الراتبة ركعتين، واقرا فيهما سورة: ألم السجدة،

رسول الله ﷺ: (« هِيَ الصَّلَاةُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، فَإِنَّهَا) أي هذه الصلاة (تَذْهَبُ بِمَلَاحَاتِ النَّهَارِ وَتَهْدِبُ آخِرَهُ ») وقال في الإحياء: وروي عن الحسن أنه ﷺ سئل عن هذه الآية، فقال ﷺ: « الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ »، ثم قال ﷺ: « عَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمَلَاحَاتِ النَّهَارِ، وَتَهْدِبُ آخِرَهُ » بالخاء المعجمة بعد الهمزة الممدودة، والضمير عائد إلى النهار، ومعنى تذهب أي تنقي، وقال شيخنا يوسف: هو بالجيم الساكنة وهو بمعنى الثواب، فكان الضمير راجعاً إلى المصلي، ومعنى تذهب أي تزيل، والأول أظهر. (والملاغات) بضم الميم ثم باللام المفتوحة الممدودة ثم بالعين الممدودة كما في الجامع والإحياء، (جمع ملغاة فهي) مأخوذة (من اللغو) ومعناها: كلمات ذوات لغو أي لا فائدة فيها. وسئل أنس عن من ينام بين العشاءين، قال: لا تفعل، فإنها الساعة المرادة بقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾. وعن ابن حازم قال في هذه الآية: ما بين المغرب والعشاء صلاة الأوابين. وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه يقول في معنى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ أي تتجافى لذكر الله إما في الصلاة، وإما في قيام أو قعود أو على جنوبهم، لا يزالون يذكرون الله. وقال الشرقاوي في ربيع الفؤاد: ثم بعد صلاة الأوابين صل ركعتين بنية تونيس القبر، وإن شئت فقدمها على صلاة الأوابين، تقرأ في الأولى بعد الفاتحة الكافرون، وفي الثانية: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾، أو تقرأ في الأولى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ وفي الثانية: ﴿ أَلْهَاكُمْ ﴾.

(فإذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض إحياء لما بين الأذنين) أي الأذان والإقامة للخبر: « يَبِينُ كُلِّ أَدَانَيْنِ صَلَاةٌ » وهذه الأربع لم يوجد في خصوصها حديث كما قاله البركوي، والمذكور في التحرير أن الراتبة قبل العشاء ركعتان لكنها غير مؤكدة، ولذلك لم يذكرها النووي في المنهاج. (فضل ذلك) أي الإحياء لما بين الأذان والإقامة (كثير، وفي الخبر: « إِنَّ الدُّعَاءَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ ») وهذا الخبر ليس دليلاً على الراتبة التي قبل العشاء.

(ثم صل الفرض وصل الراتبة) أي بعده (ركعتين) وهما مؤكدتان ولو للحاج بمزدلفة، وإنما سن له ترك النقل المطلق ليستريح ويتهيأ لما بين يديه من الأعمال الشاقة يوم النحر. (واقرا فيهما) أي الركعتين (سورة السجدة) والظاهر أنها سجدة الحرز، كما يدل لذلك ما في النسخة من قوله: الم السجدة، وقول الإحياء وعوارف المعارف: وسجدة لقمان معناه سورة السجدة التي تلي سورة لقمان،

وتبارك الملك، أو سورة يس والدخان، فذلك مأثور عن رسول الله ﷺ. وصل بعدهما أربع ركعات، ففي الخبر ما يدل على عظم فضلهم. ثم صل الوتر بعدها ثلاثاً بتسليمتين أو بتسليمة واحدة. ...



كما أفاده بعض المشايخ. (وتبارك الملك، أو سورة يس والدخان) فإن لم تصل فلا تدع قراءة هذه السورة أو بعضها قبل النوم، كذا في الإحياء. وعن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ و ﴿ الم تَنْزِيلُ ﴾، ويقول: « هُمَا يَفْضُلَانِ عَلَيَّ كُلِّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ بِسَبْعِينَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَرَأَهُمَا كَتَبَ لَهُ سَبْعُونَ حَسَنَةً وَرُفِعَ لَهُ سَبْعُونَ دَرَجَةً »، وعن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ: ﴿ الم تَنْزِيلُ ﴾ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ »، وروى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ سُورَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ وَهِيَ سُورَةُ: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ »، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يَسَ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ »، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ دَخَلَ الْمَقَابِرَ فَقَرَأَ سُورَةَ يَسَ، خَفَّفَ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ وَكَانَ لَهُ بَعْدُ مِنْ فِيهَا حَسَنَاتٌ »، وروى أنه ﷺ قال: « مَنْ قَرَأَ حَمَّ الدَّخَانَ لَيْلَةً جُمِعَتْ أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ ». كذا في السراج المنير.

(فذلك) أي المذكور من تلك السور (مأثور) أي منقول (عن رسول الله ﷺ) أي أنه أكثر قراءتها في كل ليلة، وكذلك أكثر رسول الله ﷺ قراءة سورة الزمر والواقعة وبنو إسرائيل، كذا في الإحياء. (وصل بعدهما) أي الركعتين المؤكنتين (أربع ركعات) وقرأ فيها آخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر أو غيرها، كذا في الإحياء. وظاهر عبارة الإحياء أن هذه الأربعة تكون بتسليمة واحدة كما هي الأفضل عند أبي حنيفة، وقيل: إن هذه الأربعة تؤدي كلها إذا صلى العشاء في غير الوقت المستحب جبراً لذلك النقص؛ وأما إذا صلاها في الوقت المستحب فهو مخير بين الأربع والركعتين، كما قاله البركوي.

(ففي الخبر: ما يدل على عظم فضلهم) كخبر مسلم: « أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ »، وروى أيضاً: « إِنَّ كُلَّ لَيْلَةٍ فِيهَا سَاعَةٌ إِبْرَاهِيمَ » كذا في التحفة. وروى عن عائشة: أنها سئلت عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: ما صلى العشاء قط فدخل بيتي إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات، رواه أبو داود. ودل هذا الخبر على أن الأربع بعد العشاء فضيلة، والمؤكدة منها ركعتان، كذا قاله البركوي. والظاهر أن هذه الأربعة هي النفل المطلق في الليل. وقال الشرقاوي: وإذا صلى سنة العشاء سن له أن يصلي ركعتين قبل الوتر بنية بقاء الإيمان، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾، وفي الثانية: ﴿ أَلْهَاكُمْ ﴾.

(ثم صل الوتر بعدها) أي هذه الأربع (ثلاثاً بتسليمتين أو بتسليمة واحدة) والفصل بين ركعة

وكان رسول الله ﷺ يقرأ فيها سورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ والإخلاص والمعوذتين. فإن كنت عازماً على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وتراً. ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب. ولا تشتغل باللهو واللعب، فيكون ذلك

وكل ركعتين بالسلام أفضل من الوصل. (وكان رسول الله ﷺ يقرأ فيها) أي الثلاث (سورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾) في الأولى، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ في الثانية، (والإخلاص والمعوذتين) في الثالثة. وإذا أوتر بثلاث مفصولة عما قبلها كثمان أو ست أو أربع، قرأ ذلك في الثلاثة الأخيرة. وإذا أوتر بأكثر من ثلاث موصولة كخمس مثلاً قرأ المطففين والانشقاق في الأولى، والبروج والطارق في الثانية، لئلا يلزم خلو ما قبل الثلاث عن سورة أو تطويلها على ما قبلها.

ويسن أن يقول بعد الوتر: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات كما رواه النسائي وابن السني، ويرفع صوته بالثلاثة كما في رواية أحمد والنسائي، ثم يقول: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، كما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن علي. قوله: وأعوذ بك منك، قيل معناه: أعوذ بك من شر ما قضيت، وقيل: هو إشارة إلى التوحيد، وذلك أنه ﷺ استعاذ أولاً بالضد من الضد، فاستعاذ بالرضا من السخط، وبالمعافاة من العقوبة، ولما كان الله تعالى لا ضد له فلا يصح أن يقول: أعوذ بك من غيرك، لانتفاء المثل والشريك، فرجع ﷺ إليه تعالى فقال: أعوذ بك منك. قوله: لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيعه في مقابلة نعمة واحدة، وقيل معناه: لا أحصي نعمتك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك. وقوله: أنت كما أثنيت على نفسك أي بقولك: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾^(١) الآية، وغير ذلك.

(فإن كنت عازماً على قيام الليل) أي صلاته بعد النوم ووثقت بيقظتك، (فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وتراً) لحديث الشيخين: «أَجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ مِنَ اللَّيْلِ وَتَرّاً»، ولحديث مسلم: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمَعُ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ». (ثم اشتغل بعد ذلك) أي الوتر (بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب) فإن ذلك في ذلك الوقت سبب للفتوح كما قاله بعضهم، وقال الشاعر:

مَنْ حَازَ الْعِلْمَ وَذَاكَرَهُ * صَلَحَتْ دُنْيَاؤُهُ وَآخِرَتُهُ
فَأَدِمَ لِلْعِلْمِ مُذَاكَرَةَ * فَحَيَاةُ الْعِلْمِ مُذَاكَرَتُهُ

(ولا تشتغل باللهو) أي الشيء الذي تفرح به فيلهيك أي يشغلك عما ينفعك، ثم ينفضي كلهو الفتیان (واللعب) أي الباطل الذي لا ثمرة له كلعب الصبيان، (فيكون ذلك) أي المذاكرة والمطالعة

خاتمة أعمالك قبل نومك، فإنما الأعمال بخواتيمها.

آداب النوم

فإذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبل القبلة، ونم على يمينك كما يوضع المبيت في لحدده. واعلم أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث، ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك. فكن مستعداً للقائه بأن تنام على طهارة. وتكون وصيتك مكتوبة تحت وسادتك. وتنام تائباً من الذنوب مستغفراً



(خاتمة أعمالك قبل نومك، فإنما الأعمال بخواتيمها) أي عندنا وبالنسبة إلى اطلاعنا في بعض الأشخاص وفي بعض الأحوال، وأما بالنسبة إلى علمه تعالى وإرادته فالأعمال بالسوابق، لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِأَخْوَاتِيمِ».

آداب النوم

هذه الترجمة ساقطة في بعض النسخ. (فإذا أردت النوم) فعليك بآدابه الثمانية؛

الأول: الاستقبال كما قال: (فابسط فراشك مستقبل القبلة) والاستقبال على ضربين؛ أحدهما: استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه، فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة، وهذا الاستلقاء مباح للرجال ومكروه للنساء. وثانيهما: وهو سنة ما ذكره بقوله: (ونم على يمينك كما يوضع المبيت في لحدده) ويكون وجهك مع قبالة بدنك إلى القبلة. وأما النوم على الوجوه فهو نوم الشياطين وهو مكروه، وأما النوم على اليسار فهو مستحب عند الأطباء لأنه يسرع هضم الطعام، وينبغي من جهة الطب أن يضطجع على الجانب الأيمن قليلاً بعد الأكل، ثم ينقلب على الجانب الأيسر. والثاني: مذكور بقوله: (واعلم) أي تذكر عند إرادة النوم، (أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث) أي النشر، (ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك).

(فكن مستعداً) أي متهيئاً (للقائه بأن تنام على طهارة) وهذا ثالث الآداب.

(و) الرابع: أن تكون وصيتك مكتوبة تحت وسادتك) بكسر الواو أي مخدتك، وفي نسخة: تحت رأسك، أي فإنك لا تأمن القبض من النوم. فإن من مات بغير وصية لا يتكلم في مدة البرزخ، وإن الأموات يتزاورون في قبورهم سواه، فيقول بعضهم لبعض: ما بال هذا المسكين؟ فيقال: إنه مات بغير وصية. كذا نقل عن ابن الصلاح. وقال البجيرمي: يمكن حمل ذلك على ما إذا مات من غير وصية واجبة، بأن نذرها أو خرج مخرج الزجر عن ترك الوصية.

(و) الخامس: أن تنام تائباً من الذنوب، مستغفراً) كما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن

عازماً على أن لا تعود إلى معصية. واعزم على الخير لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى، وتذكر أنك ستضجع في اللحد كذلك وحيداً فريداً ليس معك إلا عمك، ولا تجزى إلا بسعيك. ولا تستجلب النوم تكلفاً بتمهيد الفرش الوطيئة، فإن النوم تعطيل للحياة، إلا إذا كانت يقظتك وبالأعلى عليك فنومك سلامة لدينك. واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات، فيكفيك إن عشت مثلاً ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك. ...



النبى ﷺ قال: « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غُفِرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذُنُوبُهُ ». (عازماً على أن لا تعود إلى معصية) إذا استيقظت.

(واعزم على الخير لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى) أي أيقظك من نومك. قال النبي ﷺ: « مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ لَا يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ، غُفِرَ لَهُ مَا أَحْتَرَمَ ». (وتذكر أنك ستضجع في اللحد كذلك) أي كنومك، (وحيداً) بنفسك (فريداً) عن الناس (ليس معك إلا عمك، ولا تجزى إلا بسعيك) أي بعملك من خير وشر. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ (١) أي في ميزانه من غير شك يوم القيامة بوعده لا خلف فيه وإن طال المدى.

(و) السادس مذكور بقوله: أن (لا تستجلب النوم تكلفاً) بأن لا تنام إذا لم يغلبك النوم، إلا إذا قصدت به الاستعانة على القيام في آخر الليل، فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة (*). ولا تتعمد (بتمهيد الفرش الوطيئة) أي يبسط الفرش الناعمة وتهيئتها، بل اترك ذلك أو اقتصد فيه، (فإن النوم تعطيل للحياة، إلا إذا كانت يقظتك وبالأعلى) أي سوءاً في العاقبة (عليك، فنومك سلامة لدينك) فاستجلب النوم حينئذ كما مر.

ويسن للإنسان إذا فارق فراشه وعاد إليه أن يفضه قبل أن ينام فيه لقوله ﷺ: « إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. (واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات) فإن نمت في الليل هذا القدر فلا معنى للنوم في النهار. (فيكفيك إن عشت مثلاً ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك).

(١) سورة النجم [٥٣] الآية: ٤٠

(*) وفي إتحاق السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي: فقد كان أي الصالحون، نومهم غلبة أي لا ينامون إلا على غلبة ويكرهون العمل للنوم، وأكلهم فاقة أي لا يأكلون إلا عن فاقة تصيهم فيقصدون بذلك التقوي على عبادة الله تعالى، وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون إلا إذا اضطروا إليه.

وأعد عند النوم سواكك وطمهورك. واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر، فاستكثر من كنوزك ليوم ففرك، فلن تغني عنك كنوز الدنيا إذا مت. وقل عند نومك: باسمك ربي وضعت جنبي، وباسمك أرفعه فاغفر لي ذنبي. اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك. اللهم باسمك أحيا وأموت، وأعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر. اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفأها، لك مماتها ومحياها،



(و) السابع مذكور في قوله: (أعد) أي هيء (عند) إرادة (النوم) عند رأسك (سواكك) وطمهورك أي ما تتطهر به من الماء، كذلك كان يفعل بعض السلف. وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة وعند التنبه منها. وإن لم يتيسر لك الطهارة استحسب لك مسح الأعضاء بالماء، فإن لم تجد فلتتعد ولتستقبل القبلة ولتشتغل بالذكر والدعاء والتفكير في آلاء الله تعالى وقدرته.

(واعزم على قيام الليل) أي عند التيقظ (أو على القيام قبل الصبح، فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر، فاستكثر من كنوزك ليوم ففرك) أي حاجتك وهو في القبر وفي القيامة، (فلن تغني عنك كنوز الدنيا إذا مت) وقال ﷺ: « مَنْ أَمَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَبُوءِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى يُصْبِحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ تَوَمُّهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ».

والثامن: الدعاء عند النوم وعند التنبه كما قال: (وقل عند نومك) أي اضطجاعك: (باسمك) الباء للاستعانة، وهذا متعلق بوضعت (ربي وضعت جنبي، وباسمك أرفعه، فاغفر لي ذنبي. اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) وفي نسخة: يوم تجمع، كما في الإحياء. (اللهم باسمك أحيا وأموت، وأعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم. اللهم أنت الأول) أي السابق على الأشياء كلها (فليس قبلك شيء، وأنت الآخر) أي الباقي بعد فناء الخلق (فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر) أي العالي كما قاله العزيزي، وهو المناسب هنا (فليس فوقك شيء، وأنت الباطن) أي المحتجب عن الحواس بحجب كبريائه (فليس دونك) أي في قربك (شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر) فقوله: أنت الأول إلى هنا، موافق للإحياء وللأذكار، وذلك رواية أبي داود. وأما رواية مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه فكذلك إلا لفظ: اقض عنا الدين وأغننا من الفقر، فهو بنون العظمة. (اللهم أنت خلقت نفسي، وأنت تتوفأها) بالتأين كما في الإحياء والأذكار، وبحذف إحدى التأين كما في الجامع، (لك مماتها ومحياها) أي أنت المالك لإماتها وإحيائها أي وقت شئت،

إن أمتها فاغفر لها، وإن أحبيتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك، واستعملني بأحب الأعمال إليك لتقربني إليك زلفى، وتبعدني عن سخطك بعداً. أسألك فتعطيني، وأستغفرك فتغفر لي، وأدعوك فتستجيب لي. ثم اقرأ آية الكرسي، و: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة، والإخلاص، والمعوذتين، وتبارك الملك. وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله تعالى وعلى الطهارة، فمن




لا مالك لهما غيرك، (إن أمتها فاغفر لها) أي ذنوبها فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، (وإن أحبيتها فاحفظها) أي صنها عن الوقوع فيما لا يرضيك (بما تحفظ به عبادك الصالحين. اللهم إني أسألك العفو والعافية) أي أطلب منك السلامة (في الدين) أي من الافتتان وكيد الشيطان (والدنيا) أي من الآلام والأسقام (والآخرة) أي من الفرع الأكبر ومن جهنم، وهذا أي قولهم: اللهم أنت، ما رواه مسلم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ. (اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك، واستعملني بأحب الأعمال إليك لتقربني) بلام التعليل، وفي نسخة: حتى تقربني، وفي الإحياء سقوط ذلك. (إليك زلفى) أي قرابة أو منزلة، وهي مفعول مطلق أو تمييز، (وتبعدني عن سخطك بعداً) مفعول مطلق. (أسألك فتعطيني، وأستغفرك فتغفر لي، وأدعوك فتستجيب لي).

(ثم اقرأ آية الكرسي) وروى البيهقي: أن من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والآيات حوله، كذا في السراج المنير. (و ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة) وروى عنه ﷺ أنه قال: « مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَهُ ». قال الشريبي: أي عن قيام الليل أو عن كل ما يسوؤه أي يحزنه. وروى أبو بكر عن علي أنه قال: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة، أي وهي من قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾، (والإخلاص) أي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات كما ذكره النووي في الأذكار، وليس المراد بالإخلاص هنا سورة الكافرون، فإنها تسمى بالإخلاص أيضاً، (والمعوذتين) وانفث في يديك عند قراءتهما وامسح بهما رأسك ووجهك وسائر جسدك، وافعل ذلك ثلاث مرات. وانفث: نفخ لطيف بلا ريق. (وتبارك الملك) للاتباع كما مر.

وقل في تيقظاتك وتقلباتك مهما تنبهت: لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار، كما رواه ابن السني عن عائشة رضي الله عنها.

(وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله تعالى) وليكن أول ما يرد على قلبك عند التيقظ ذكر الله تعالى، فذلك علامة الحب لله تعالى وعلامة تكشف عن باطن القلب (وعلى الطهارة) أي من الحدثين. (فمن

فعل ذلك عرج بروحه إلى العرش وكتب مصلياً إلى أن يستيقظ. فإذا استيقظت فارجع إلى ما عرفتكَ أولاً، وداوم على هذا الترتيب بقية عمرك، فإن شقت عليك المداومة فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظاراً للشفاء. وتفكر في قصر عمرك، وإن عشت مثلاً مائة سنة فهي قليلة بالإضافة إلى مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الآباد. وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا شهراً أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلاً، فكيف لا تتحمل ذلك أياماً قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد؟ ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك وقد قرب الموت، وقل في نفسك: إني أتحمّل المشقة اليوم فلعلني أموت الليلة، وأصبر الليلة فلعلني أموت غداً. فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص

فعل ذلك) أي الطهارة عند النوم كما في الإحياء (عرج بروحه إلى العرش، وكتب مصلياً  إلى أن يستيقظ) وكانت رؤياه صادقة، وإن لم ينم على طهارة فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق. وهذا أريد به طهارة الباطن والظاهر جميعاً، وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب.

(فإذا استيقظت) لتقوم (فارجع إلى ما عرفتكَ أولاً) أي في باب آداب الاستيقاظ، بأن تقول: الحمد لله الذي أحيانا إلى آخر ما ذكره المصنف من أدعية التيقظ، (وداوم على هذا الترتيب) أي المثبت في هذا الكتاب من الوظائف، وليس المراد بالترتيب هنا خصوص تقديم الشيء على غيره (بقية عمرك، فإن شقت عليك المداومة) على الاشتغال بالوظائف المذكورة، (فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظاراً للشفاء. وتفكر في قصر عمرك، وإن عشت مثلاً مائة سنة) إن غاية (فهي) أي المائة (قليلة بالإضافة) أي بالنسبة (إلى مقامك) بضم الميم أي إقامتك (في الدار الآخرة وهي أبد الآباد) أي لا نهاية لها. قوله: وهي في محل التعليل كقوله سابقاً: فهي قليلة. (وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا) أي من الأموال (شهراً أو سنة رجاء أن تستريح بها) أي الدنيا (عشرين سنة مثلاً، فكيف لا تتحمل ذلك) أي المشقة في الاشتغال بالوظائف، والذل في عدم تحصيل الدنيا (أياماً قلائل) أي مدة حياتك في الدنيا (رجاء الاستراحة أبد الآباد؟) فالدنيا وما فيها بالنسبة لثواب الآخرة أقل قليل.

(ولا تطول أملك) في أنك تعيش شهراً مثلاً (فيثقل عليك عملك) وتسوف بالعمل نفسك، (وقد قرب الموت) لأن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار المغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة، والغفلة عن الموت تدعو إلى الإنهماك في شهوات الدنيا. (وقل في نفسك: إني أتحمّل المشقة اليوم) أي في اشتغال الأوراد (فلعلني أموت الليلة) فتكون الأوراد ذخيرة لي، (وأصبر الليلة) على تحمل مرارة السهر في العبادة (فلعلني أموت غداً) فتكون العبادة زاداً لي في الآخرة. (فإن الموت لا يهجم) بضم الجيم أي لا يدخل (في وقت مخصوص) بل يدخل في كل وقت (وحال مخصوص) بل في كل حال من الصحة

وسن مخصوص، فلا بد من هجومه، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا، وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة، ولعله لم يبق من أجلك إلا يوم واحد أو نفس واحد، فقد هذا في قلبك كل يوم. وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوماً فيوماً، فإنك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمته الصبر على طاعة الله تعالى نفرت واستعصت عليك. فإن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحاً لا آخر له، وإن سوفت وتساهلت جاءك الموت في وقت لا تحتسبه وتحسرت تحسراً لا آخر له، وعند الصباح يحمد القوم السرى،

والمرض والغفلة والذكر (وسن مخصوص) بل يدخل في الصبيان والشبان والشيوخ، (فلا بد من هجومه) أي الموت على كل حال. (فالاستعداد) أي التهيؤ (له) أي الموت (أولى) أي أحق (من الاستعداد للدنيا) والمراد بالدنيا هنا: الزائد على قدر الحاجة، (وأنت تعلم) علم اليقين (أنك لا تبقى فيها) أي في دار الدنيا (إلا مدة يسيرة) أي قليلة، (ولعله لم يبق من أجلك) أي مدة حياتك (إلا يوم واحد أو نفس واحد، فقد هذا) أي هجوم الموت في لحظتك أو في وقتك (في قلبك كل يوم) قال ﷺ: « تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ ». وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في تعب من تحمل مشقة نفسه وكسر شهواته ومدافعة شيطانه، فالموت إطلاق له من هذا العذاب، والإطلاق تحفة أي هدية في حقه. وكان الربيع بن خيثم يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد.

(وكلف) أي احمل على مشقة (نفسك الصبر على طاعة الله يوماً فيوماً) أي وقتاً بعد وقت. فقله: نفسك مفعول أول والصبر مفعول ثان، لأن كلف يتعدى لاثنين كما هو مفهوم من المصباح. (فإنك لو) لم تقدر دخول الموت عليك بغتة بل (قدرت البقاء) في الدنيا (خمسين سنة) أي مثلاً (وألزمته الصبر على طاعة الله تعالى نفرت) أي تلك النفس أي جزعت (واستعصت) بتقديم العين على الصاد أي خالفت، وفي بعض النسخ: واستصعبت بالصاد فالعين فالموحدة وهذا أحسن، أي وجدت النفس صعباً (عليك) لأنك قدرت بعد الموت.

(فإن فعلت ذلك) أي تكليف نفسك الصبر على الطاعة (فرحت عند الموت فرحاً لا آخر له) برؤيتك محللك في الجنة، لأنك قد استعددت للأخرة بالعبادة وتهذيب النفس. (وإن سوفت) بالطاعة (وتساهلت) لها، (جاءك الموت) بغتة (في وقت لا تحتسبه) أي لا تعرف أن الموت جاءك في ذلك الوقت، (وتحسرت) بالحاء المهملة أي حزنت (تحسراً لا آخر له) لانهماكك في الدنيا ولا تباعدك شهواتك. (وعند الصباح يحمد القوم السرى) بضم السين وفتح الراء، ومعناه في الأصل: السير أول الليل وأوسطه وآخره كما في المصباح، والمراد بذلك: الطاعة في ذلك الوقت. وقوله: يحمد بضم الياء والحاء الساكنة وكسر الميم كما ضبطه بذلك شيخنا يوسف السنبلاني وهو موافق للصحاح والمصباح، والمعنى: أن العباد الذين اشتغلوا بالعبادة في الليل صارت عبادتهم إلى الحمد ووجدوها

وعند الموت يأتيك الخبر اليقين. ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾. وإذ أرشدناك إلى ترتيب الأوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما وآداب الإمامة والقُدوة والجمعة.

آداب الصلاة

فإذا فرغت من طهارة الحدث وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان، ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة، فاستقبل القبلة



محمودة، كما أن السائرين في الليل صار سيرهم إلى الحمد ووجدوه محمودًا عندهم حالة الصباح، لأن السير في الليل يطوي الأرض. (وعند الموت يأتيك الخبر اليقين) أي الواضح أي في أنك تفرح بحصول رضا رب العالمين، أو تحزن بوجودنا سخطه. ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ﴾ أي خبر المذكور من الفرح والحزن ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾^(١) أي انقضاء عمرك.

(وإذ أرشدناك) أي دللناك (إلى ترتيب الأوراد، فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما) في فصلين، (وآداب الإمامة والقُدوة) في فصل واحد (والجمعة) في فصل واحد.

آداب الصلاة

أي المطلوبات فيها

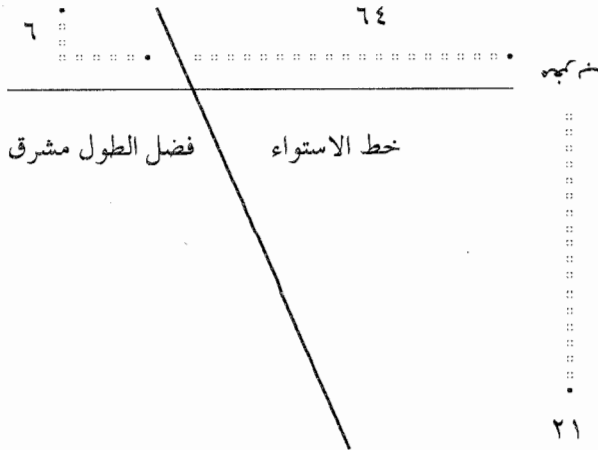
(فإذا فرغت من طهارة الحدث) أي الأصغر والأكبر (و) من (طهارة الخبث) بفتح الحين أي النجس الذي لا يعفى عنه (في البدن) حتى داخل الفم والأنف والعين والأذن (والثياب) وغيرها من كل محمول ملاق له (والمكان) الذي يصلح فيه، (ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة) كما هي للرجل حرًا كان أو عبدًا، (فاستقبل) أي بصدرك (القبلة) أي عينها مطلقًا في القرب يقينًا، وفي البعد ظنًا. وعند الإمام أبي حنيفة: التوجه يكون بجزء من قاعدة مثلث، وعند الإمام مالك: القبلة هي الجهة مطلقًا في القرب والبعد، وعند الإمام أحمد: هي العين في القرب والجهة في البعد. فمذهب أبي حنيفة أوسع في أمر القبلة، وبعدة مذهب مالك، وبعدة مذهب الإمام أحمد وهو المتوسط، وبعدة مذهب الإمام الشافعي وهو أضيق لأنه لا بد من العين عنده مطلقًا أي في القرب والبعد، كذا في فتاوى الحلبي. ثم رأيت نصًا في فقه مذهب أبي حنيفة، وهو قوله: فلو انحرف عن العين انحرفًا لا تزول منه المقابلة بالكلية جاز، فيجوز التيامن أو التياسر لأن وجه الإنسان بمقوس لأنه يبقى شيء من جوانب وجهه مقابلًا للقبلة، وذلك عند زيادة البعد منها. ولو جعل الكعبة عن يمينه أو يساره فلا يجوز بالاتفاق، إذ لا شك حينئذ في خروجه عن الجهة بالكلية لأنه لم يقع فيما بين خطين من قاعدة مثلث، وهذه صورته:

قائماً مزوجاً بين قدميك بحيث لا تضمهما، واستو قائماً،

كعبة



فإذا أراد معرفة الجهة فليُنظر في مغرب الصيف في أطول أيامه، ومغرب الشتاء في أقصر أيامه. فليدع الثلثين في الجانب الأيمن، والثلث في الأيسر، والقبلة عند ذلك، ولو لم يفعل هكذا وصلى فيما بين المغرب جازاه. ثم إذا أراد معرفة عين القبلة لأهل جاوه فليعلم أولاً خط الاستواء في المشرق إلى المغرب، ثم ليَجعل عليه أشياء متساوية كالفلوس مصفوفة من جهة المغرب إلى جهة المشرق بأربعة وستين شيئاً وهو مقدار فضل الطول بين مكة وجاوه، ثم ليَجعل من جهة المغرب إلى جهة اليمين مصفوفاً بواحد وعشرين وهو عرض مكة من خط الاستواء، وليَجعل جهة المشرق إلى جهة اليسار مصفوفاً بستة وهو مقدار عرض جاوه، ثم خط من آخر الستة إلى آخر الواحد والعشرين فذلك ميل القبلة، وهذه صورته:



(قائماً) بالاعتماد على القدمين أو أحدهما (مزوجاً بين قدميك) بالزاي فالألف ثم الجيم كما في الإحياء، أي جاعلاً لهما مسامتاً لا تتقدم إحداها على الأخرى ولا تسترخ عنها، أو بالحاء المهملة في آخره وهذا هو الأنسب، أي مبعداً بينهما بقدر شبر. (بحيث لا تضمهما) وقد نهى رسول الله ﷺ عن الصفن والصفد في الصلاة. فالصفد هو اقتران القدمين معاً، والصفن هو رفع إحدى الرجلين. (واستو) بنصب الفقار (قائماً) وأما الرأس فالأفضل إطرافه، لأنه أقرب للخشوع وأغض للبصر.

واقراً: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ تحصناً بها من الشيطان الرجيم. وأحضر قلبك ما أنت فيه، وفرغه من الوسواس، وانظر بين يدي من تقوم ومن تناجي، واستح أن تناجي مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات. واعلم أنه تعالى مطلع على سريرتك وناظر إلى قلبك، فإنما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك، واعبده في صلاتك كأنك تراه،



(و) بعد استواء القيام (اقرأ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ تحصناً) أي تحفظاً (بها) أي بهذه السورة (من الشيطان الرجيم).

(وأحضر قلبك ما أنت فيه) وهذا هو المسمى بالخشوع، (وفرغه) أي القلب (من الوسواس) أي حديث النفس، لأن التفرغ أعون على الخشوع. (وانظر) أي تأمل (بين يدي من تقوم؟ ومن تناجي) في الصلاة؟ وكيف تناجي؟ وبماذا تناجي؟ وعظم في نفسك قدر المناجاة. (واستح أن تناجي مولاك بقلب غافل) عما أنت فيه، (وصدر مشحون) أي مملوء (بوساوس الدنيا) أو بتفكر في أمور الآخرة كالجنة والنار، فهذا مكروه أيضاً على ما أفاده الرملي، (وخبائث الشهوات).

(واعلم) في الحال أنك قائم بين يدي الله تعالى، و (أنه تعالى) أي مولاك (مطلع) أي عالم (على سريرتك) وهو ما تكتفم في قلبك، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان. (وناظر إلى قلبك) ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك، فإن القلب إذا اشتغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس، فيكون هذا التمثيل تداوياً لدفع الوسوسة، كذا في عوارف المعارف. (فإنما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك) أي حضور قلبك (وخضوعك) أي سكون جوارحك (وتواضعك) أي تذلل (وتضرعك) أي خلوصك في الدعاء.

وقيل: للصلاة أربع شعب: حضور القلب، وشهود العقل، وخضوع النفس، وخضوع الأركان. فحضور القلب رفع الحجاب، وشهود العقل رفع العتاب، وخضوع النفس فتح الأبواب، وخضوع الأركان وجود الثواب. فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصبل لاه، ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصبل ساه، ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصبل خاطيء، ومن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصبل جاف، ومن أتاها كما وصف فهو مصبل واف، كذا في عوارف المعارف. وروي في الخبر: « لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ »، وقد روي في الخبر: « أَنَّ مَنْ خَشَعَ فِي صَلَاتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَخَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ».

(واعبده) أي مولاك (في صلاتك كأنك تراه) أي عبده تعالى حال كونك في صلاتك مثل حال كونك رايئاً له. فإنك لو قدرت أنك قمت في عبادة ربك وأنت تعابنه لم تترك شيئاً مما تقدر عليه من

فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فإن لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقدّر أن رجلاً صالحاً من وجوه أهل بيتك ينظر إليك ليعلم كيف صلاتك، فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك. ثم ارجع إلى نفسك، وقل: يا نفس السوء ألا تستحيين من خالقك ومولاك؟ إذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك وليس بيده ضرك ولا نفعك، خشعت جوارحك وحسنت صلاتك، ثم إنك تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته؟ أهو تعالى عندك أقل من عبد من عباده؟ فما أشد طغيانك وجهلك، وما أعظم عداوتك لنفسك. وعالج قلبك بهذه الحيل فعساه أن يحضر معك في صلاتك، فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها، وأما ما أتيت به مع الغفلة والسهو فهو إلى الاستغفار والتكفير أحوج. فإذا حضر قلبك فلا تترك الإقامة وإن كنت وحدك،



الخضوع والخشوع وحسن السمات وحفظ القلب والجوارح واجتماعك بظاهرك وباطنك إلا أتيت به، كما أفاده إبراهيم الشبرخيتي. (فإن لم تكن تراه) فاستمر على إحسانك العبادة (فإنه يراك) إذ هو المشاهد لكل أحد من خلقه في حركته وسكونه.

(فإن لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور) أي نقص (معرفتكم بجلال الله تعالى فقدر) في دوام قيامك في صلاتك (أن رجلاً صالحاً من وجوه) أي أشرف (أهل بيتك ينظر إليك) بعين كائنة (ليعلم كيف صلاتك، فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك) خيفة أن ينسبك ذلك الرجل العاجز إلى قلة الخشوع. (ثم) بعد إحساسك من نفسك ذلك (ارجع إلى نفسك) بالمعابة (وقل: يا نفس السوء) إنك تدعين معرفة الله وجهه (ألا تستحيين من خالقك ومولاك؟ إذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك وليس بيده ضرك ولا نفعك) ولا عقاب ولا ثواب، (خشعت جوارحك وحسنت صلاتك، ثم إنك) بكسر الهمزة (تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته؟ أهو تعالى عندك أقل) أي أصغر وأحق (من عبد من عباده؟ فما أشد طغيانك) أي عصيانك (وجهلك، وما أعظم عداوتك لنفسك) لأنك وقرت عبداً ذليلاً ولا توقرين الله تعالى، وتخشين الناس ولا تخشين الله تعالى وهو أحق أن تخشيه.

(وعالج) أي زاول وداو (قلبك بهذه الحيل) بكسر الحاء وفتح الياء، جمع حيلة وهي الحذق في تدبير الأمور. (فعساه) أي قلبك (أن يحضر معك في صلاتك، فإنه) أي الشأن (ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت) أي تدبرت (منها). وأما ما أتيت به) أي في صلاتك من القراءة والأذكار (مع الغفلة والسهو) عما أنت فيه بأن لم يحضر قلبك، (فهو إلى الاستغفار والتكفير) أي فعل الكفارة من صدقة ونحوها (أحوج) لأن في صلاتك خللاً لعدم حضور قلبك. فالخشوع في الصلاة ولو في جزء منها واجب، لكنه ليس شرطاً لصحة الصلاة، كما أفاده شيخنا أحمد النحراوي.

(فإذا حضر قلبك) أي بأن لم يكن غافلاً (فلا تترك الإقامة وإن كنت وحدك) لأنها لافتتاح الصلاة،

وإن انتظرت حضور جماعة فأذن ثم أقم. فإذا أقمتم فانو وقل في قلبك: أؤدي فرض الظهر لله تعالى. وليكن ذلك حاضرًا في قلبك عند تكبيرك، ولا تعزب عنك النية قبل الفراغ من التكبير. وارفع يديك عند التكبير بعد إرسالهما أولاً إلى حذو منكبيك وهما مبسوطتان وأصابعهما منشورة، ولا تتكلف ضمها، ولا تفريجها، بحيث تحاذي بإبهاميك شحمتي أذنيك وبرءوس أصابعك أعلى أذنيك وبكفيك منكبيك. فإذا استقرتا في مقرهما فكبر،



وتطلب للفائتة المفروضة أيضاً. (وإن انتظرت) أي رجوت (حضور جماعة) يصلون معك (فأذن ثم أقم) وهذا الكلام من أن الأذان لا يندب للمنفرد مبني على القول القديم، لأن المقصود من الأذان الإعلام وهو منتف للمنفرد، وهو ضعيف. والجديد ندبه للمنفرد مع رفع الصوت بعمران أو صحراء وإن بلغه أذان غيره، لكن يكفي في أذانه إسماع نفسه بخلاف أذان الإعلام. (فإذا أقمتم فانو) أي استحضر النية أي كل معتبر فيها من قصد إيقاع الصلاة وتعيين ذات وقت أو سبب. ونية فرض إن كانت الصلاة فرضاً، ونية القصر للقاصر، ونية القدوة مثلاً للمأموم مع استحضر صورة الصلاة المركبة من الأركان.

واعلم أن الاستحضر نوعان: استحضر حقيقي، واستحضر عرفي. فالحقيقي أن يستحضر صورة الصلاة تفصيلاً بأن يستحضر ذات الصلاة جزءاً بعد جزء، والعرفي أن يستحضر صورة الصلاة جملة واحدة. ثم المقارنة نوعان: حقيقية، وعرفية. فالحقيقية أن يقصد إيقاع الصلاة المتصفة بأنها ظهر مثلاً ولا يغفل عن ذلك من أول التكبير إلى آخره، والعرفية أن يكون القصد كما مر مقترناً بجزء من التكبير فلا تضر الغفلة عنه في أثناءه. ونقل العلماء عن الإمام الشافعي أن الواجب عنده الاستحضر العرفي مع المقارنة الحقيقية، واختار النووي تبعاً لإمام الحرمين الاكتفاء بالمقارنة العرفية مع الاستحضر العرفي. هذا تلخيص ما في كشف النقاب للشيخ علي بن عبد البر الونائي.

(وقل في قلبك: أؤدي فرض الظهر لله تعالى) لتمييز بقولك: أؤدي الأداء عن القضاء، وبالفرض عن النفل، وبالظهر عن غيره. (وليكن ذلك) أي معاني هذه الألفاظ (حاضرًا في قلبك عند تكبيرك) فإنه هو النية، والألفاظ أسباب لحضورها. (و) اجتهد أن تستديم ذلك إلى آخر التكبير بحيث (لا تعزب) أي لا تغيب (عنك النية) أي ذكرها (قبل الفراغ من التكبير) لأنه الواجب عند الشافعي، والأكمل عند إمام الحرمين.

(و) إذا حضر في قلبك ذلك ف(ارفع يديك عند) إرادة (التكبير بعد إرسالهما أولاً إلى حذو منكبيك، وهما) أي اليدين (مبسوطتان وأصابعهما منشورة، ولا تتكلف ضمها) أي الأصابع (ولا تفريجها) بل اتركها على مقتضى طبعها كذا في الإحياء، لكن قال ابن حجر كشيخ الإسلام: ويسن كشف الكفين ونشر الأصابع وتفريقها تقريبًا وسطًا. (بحيث تحاذي بإبهاميك شحمتي أذنيك، وبرءوس أصابعك أعلى أذنيك، وبكفيك منكبيك. فإذا استقرتا) أي اليدين (في مقرهما) كما ذكر (فكبر)

ثم أرسلهما برفق، ولا تدفع يديك عند الرفع والإرسال إلى قدام دفعاً، ولا إلى خلف رفعاً، ولا تنفضهما يميناً ولا شمالاً. فإذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما إلى صدرك، وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى، وانشر أصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى، واقبض بها على كوعها، وقل بعد التكبير: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً. ثم اقرأ: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. ثم قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم اقرأ الفاتحة بتشديداتها واجتهد في الفرق بين الضاد والطاء في قراءتك في الصلاة.



أي ابتدئ التكبير مع إحضار النية المتقدمة، كذا في الإحياء. قال ابن حجر مع النووي: والأصح أن الأفضل في وقت الرفع أن يكون مع ابتداء التكبير، وقال الونائي: ويستحب انتهاء التكبير مع وضع اليمين. (ثم أرسلهما) أي اليمين (برفق). ولا تدفع يديك عند الرفع والإرسال إلى قدام دفعاً ولا إلى خلف رفعاً أي عند انتهاء التكبير، (ولا تنفضهما) بضم الفاء (يميناً ولا شمالاً) أي إذا فرغت من التكبير.

(فإذا أرسلتهما) بعد التكبير (فاستأنف رفعهما إلى صدرك) بعد الإرسال وإذا أردت قراءة الفاتحة، وهو الأفضل كما قال ابن حجر. ويسن إرسالهما إلى ما تحت الصدر أي مائلاً إلى جهة اليسار. (وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى، وانشر أصابع اليمنى) التي هي المسبحة والوسطى (على طول ذراعك اليسرى، واقبض بها) أي بأصابع اليمنى التي هي الإبهام والخنصر والبنصر (على كوعها) أي اليسرى كما قاله في الإحياء، أي فتقبض كوعك بإبهامك، وكرسوعك بخنصرك وبنصرك، وترسل السبابة والوسطى جهة الساعد.

(وقل بعد التكبير) أي وبعد سكتة لطيفة بقدر: سبحان الله سرّاً، سواء كانت الصلاة فرضاً أو نفلًا. (الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً. ثم اقرأ: وجهت وجهي) أي أقبلت بذاتي (للذي فطر السموات والأرض) أي خلقهما على غير مثال سابق، (حنيفاً) أي مائلاً عن كل دين إلى دين الإسلام. (مسلماً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي) أي عبادتي (ومحياي ومماتي) أي إحيائي وإماتتي منسوبان (لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك) أي بالتوحيد والصلاة والنسك (أمرت وأنا من المسلمين) وإن كنت خلف الإمام فاختصر في دعاء الاستفتاح لخوف عدم إدراك الفاتحة قبل ركوع الإمام.

(ثم) بعد سكتة لطيفة من ذلك (قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) سرّاً في كل ركعة، لأن التعوذ مطلوب عند إرادة القراءة. (ثم) بعد سكتة لطيفة (اقرأ الفاتحة بتشديداتها) أي الأربع عشرة. فإذا خفت مشدداً فقد أسقطت منها حرفاً. (واجتهد في الفرق بين الضاد والطاء في قراءتك في الصلاة)

وقل: آمين، ولا تصله بقولك: ولا الضالين وصلًا. واجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء أعني في الركعتين الأوليين إلا أن تكون مأمومًا، واجهر بالتأمين. واقرأ في الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال من المفصل، وفي المغرب من قصاره، وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ وما قاربها من السور، وفي الصبح في السفر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولا تصل آخر السورة بتكبير الركوع، ولكن أفضل بينهما بمقدار: سبحان الله. ...



فإنك لو أبدلت حرفًا بحرف آخر كضاد بظاء، وحاء بهاء، لم تصح قراءتك لتلك الكلمة، وكذا لو أبدلت ذال الذين المعجمة بالمهملة، خلأًا للزركشي ومن تبعه. وإن كنت متعمدًا في إتيان ما يغير المعنى كإبدال ضاد الضالين ظاء بطلت صلاتك، وإن كنت ساهيًا في ذلك بطلت قراءتك لا صلاتك إن أعدت القراءة على الصواب، ويسن لك السجود للسهو حينئذ؛ أما لو أتيت بما لم يغير المعنى كإبدال ياء العالمين واوًا بطلت قراءتك لا صلاتك إن أعدت الكلمة على الصواب.

(وقل: آمين) بعد قراءة الفاتحة، لأن نصفها دعاء فاستحب أن يسأل الله إجابته سواء كان في الصلاة أم خارجًا منها، لكنه فيها أشد استحبابًا. (ولا تصله) أي آمين (بقولك: ولا الضالين وصلًا) بل أفضل بينهما بسكتة لطيفة تميز الذكر عن القرآن؛ ويسن في تلك السكتة أن تقول: رب اغفر لي، لوروده في الخبر.

(واجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء، أعني) ندب الجهر (في الركعتين الأوليين إلا أن تكون مأمومًا) فلا تجهر، (واجهر بالتأمين) في الجهرية ولو كنت منفردًا.

(واقراً في الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال) بضم الطاء وكسرهما (من المفصل) وأول المفصل الحجرات، وآخره النبا، وطواله كسورة والمرسلات، (وفي المغرب من قصاره) وهي من: ﴿وَالصُّحْحَى﴾ إلى آخر القرآن، (وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ وما قاربها من السور) وفي صبح الجمعة إذا اتسع الوقت: ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾ في الأولى و﴿هَلْ أَتَى﴾ في الثانية بكمالها، (وفي الصبح في السفر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾) وهما يسميان سورتي الإخلاص: فسورة الكافرون لإخلاص العباداة والدين، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لإخلاص التوحيد. وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية. وقراءة سورة تندب لإمام ومنفرد ومأموم لم يسمع قراءة إمامه.

(ولا تصل آخر السورة بتكبير الركوع، ولكن أفضل بينهما بمقدار) قولك: (سبحان الله) وتسن سكتة لطيفة أيضًا بين آمين والسورة إن قرأها، فإن لم يقرأها فبين آمين والركوع. ويسن للإمام أن يسكت بعد تأمينه في الجهرية بقدر قراءة المأموم الفاتحة إن علم أنه يقرؤها في سكتته، وأن يشتغل فيها سرًا بدعاء أو ذكر أو قراءة وهي أولى.

وكن في جميع قيامك مطرقاً قاصراً نظرك على مصلاك، فذلك أجمع لهمك، وأجدر لحضور قلبك؛ وإياك أن تلتفت يميناً وشمالاً في صلاتك. ثم كبر للركوع، وارفع يديك كما سبق ومد التكبير إلى انتهاء الركوع. ثم ضع راحتك على ركبتيك وأصابعك منشورة، وانصب ركبتيك، ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويًا كالصفيحة الواحدة، وجاف مرفقيك عن جنبيك؛ والمرأة لا تفعل ذلك، بل تضم بعضها إلى بعض. وقل: سبحان ربي العظيم ثلاثاً، وإن كنت منفرداً فالزيادة إلى سبع وعشرين حسن. ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً، وارفع يديك قائلاً: سمع الله لمن حمده. فإذا استويت قائماً فقل: ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد. وإن كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية في اعتدالك من الركوع.....



(وكن في جميع قيامك مطرقاً) أي مرجحاً عينيك (قاصراً نظرك على مصلاك) أي محل

سجودك لو سجدت ولو كنت تصلي في الكعبة أو خلف نبي أو على جنازة، وذلك من ابتداء التحرم إلى آخر الصلاة. (فذلك أجمع لهمك) أي لقلبك، (وأجدر) أي أقرب (لحضور قلبك) نعم، السنة أن يقصر نظره على مسبحة مادامت مرتفعة بعد أن يشير بها عند قوله: إلا الله في التشهد ولو مستورة، ولتكن منحنية متوجهة للقبلة، ويستمر ذلك إلى القيام من التشهد الأول أو السلام في التشهد الأخير. (وإياك أن تلتفت) بوجهك بلا حاجة (يميناً وشمالاً في صلاتك) ولو قصدت اللعب بالفتاتك بطلت صلاتك.

(ثم كبر للركوع، وارفع يديك) مع ابتداء التكبير، ولا تدم الرفع إلى انتهائه (كما سبق) في تكبير التحرم من أنه يسن رفع اليدين فيه. (ومد التكبير إلى انتهاء الركوع) إلى وصول حده، لئلا يخلو جزء من الصلاة عن ذكر. (ثم ضع راحتك على ركبتيك وأصابعك منشورة) أي متفرقة وسطاً موجهة لجهة القبلة على طول الساق، بأن لا تحرف شيئاً منها عن جهتها يمنة ويسرة. (وانصب ركبتيك) مفرقتين بقدر شبر، (ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويًا كالصفيحة) بالفاء ثم الحاء أي اللوح (الواحدة) فلا يكون رأسك أخفض ولا أرفع، (وجاف مرفقيك عن جنبيك) وبطنك عن فخديك. (والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها إلى بعض) فتلصق مرفقيها بجنبيها. (وقل: سبحان ربي العظيم) أي الكامل ذاتاً وصفة (ثلاثاً، وإن كنت منفرداً فالزيادة) من الثلاث (إلى سبع وعشرين حسن) والإتيان بتسبيحة واحدة محصل للسنة، لكنه مكروه.

(ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً، وارفع يديك) مع ابتداء رفع رأسك (قائلاً: سمع الله لمن حمده) اللام زائدة للتأكيد. (فإذا استويت قائماً) فأرسل يديك (فقل: ربنا لك الحمد) حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه (ملء السموات وملء الأرض) وملء ما بينهما (وملء ما شئت من شيء بعد) ولا تطول الاعتدال إلا في صلاة التسبيح.

(وإن كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية في اعتدالك من الركوع) ويحصل

ثم اسجد مكبراً غير رافع اليدين، وضع أولاً على الأرض ركبتيك ثم يديك ثم جبهتك مكشوفة وضع أنفك مع الجبهة وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل بطنك عن فخذيك؛ والمرأة لا تفعل ذلك. وضع يديك على الأرض حذو منكبيك، ولا تفرش ذراعيك على الأرض، وقل: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً، أو سبعمائة أو عشراً إن كنت منفرداً. ثم ارفع رأسك من السجود مكبراً حتى تعتدل جالساً، واجلس على رجلك اليسرى، وانصب قدمك اليمنى، وضع يديك على فخذيك والأصابع منشورة، وقل: رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني.....



الفتوت بكل كلمة تضمنت دعاء وثناء كاللهم اغفر لي يا غفور، لكن الأفضل قنوت النبي ﷺ وهو: اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت. ويستحب أن يقول عقب هذا الدعاء: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم، هكذا في الأذكار.

(ثم اسجد مكبراً غير رافع اليدين) وابتدئ التكبير مع ابتداء الهوي، واختمه مع ختمه. (وضع أولاً على الأرض ركبتيك) مفرقتين بقدر شبر، (ثم يديك) أي كفيك مكشوفتين ناشراً أصابعك مضمومة موجهة للقبلة لأنها أشرف الجهات، (ثم جبهتك مكشوفة وضع أنفك) مكشوفاً (مع الجبهة) وكشف الجبهة الملتصقة بالمصلى واجب، وكشف غيرها مندوب، وكشف الركبتين مكروه، وترك الترتيب في وضع هذه الأعضاء مكروه. (وجاف مرفقيك عن جنبيك، وأقل) أي ارفع (بطنك عن فخذيك) لأن ذلك أبلغ في تمكين الجبهة والأنف من محل سجوده، وأبعد من هيئة الكسالى. (والمرأة لا تفعل ذلك) ومثلها الخنثى، لأنه أستر لها وأحوط، وكذلك الرجل العاري. (وضع يديك على الأرض حذو منكبيك، ولا تفرش) بضم الراء ويجوز كسرهما (ذراعيك على الأرض) كما يفرش الكلب. (وقل: سبحان ربي الأعلى) والأعلى أبلغ من العظيم، فجعل في السجود الذي هو أشرف من الركوع وأبلغ منه في التواضع والخضوع. (ثلاثاً، أو سبعمائة أو عشراً إن كنت منفرداً) وكذا إذا كنت مقتدياً وأطال الإمام السجود، لأن الصلاة لا سكوت فيها، أما لو كنت إماماً فلا تزد على الثلاث.

(ثم ارفع رأسك من السجود) بلا رفع ليديك (مكبراً حتى تعتدل) أي تستوي (جالساً) مطمئناً. (واجلس على) كعب (رجلك اليسرى) بحيث يلي ظهرها الأرض، (وانصب قدمك اليمنى، وضع يديك) أي كفيك ندباً (على فخذيك) قريباً من ركبتيك بحيث تسامتهما رءوس الأصابع (والأصابع منشورة) ولا تتكلف ضمها ولا تفرجها، ولا يضر إدامة وضع الكفين على الأرض إلى السجدة الثانية. (وقل: رب اغفر لي وارحمني وارزقني) أي أعطني من خزائن فضلك ما قسمته لي في الأزل حلالاً (واهدني واجبرني) أي من الذل أو أغني (وعافني) أي ادفع عني كل ما أكره من بلاء الدنيا والآخرة (واعف عني)

ثم اسجد سجدة ثانية كذلك. ثم اعتدل جالساً للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها، ثم تقوم وتضع اليدين على الأرض، ولا تقدم إحدى رجليك في حالة الارتفاع. وابتدئ بتكبير الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة، ومدها إلى انتصاف ارتفاعك إلى قيامك؛ ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة. وصل الركعة الثانية كالأولى، وأعد التعوذ في الابتداء، ثم اجلس في الركعة الثانية للتشهد الأول، وضع اليد اليمنى في جلوس التشهد على الفخذ اليمنى مقبوضة الأصابع



وفي الأذكار: روى البيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من السجدة قال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَجْبُرْنِي وَارْزُقْنِي وَأَهْدِنِي»، وفي رواية أبي داود: «وَعَافِي» انتهى. ولا تطول هذه الجلسة إلا في صلاة التيسيح. (ثم اسجد سجدة ثانية كذلك) أي كالأولى في جميع ما مر.

(ثم اعتدل) أي استو (جالساً) جلسة خفيفة ولو كنت في نفل وإن كنت قوياً (للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها) باعتبار إرادتك، ولا يضر تخلف المأموم لأجل هذا الجلوس لأنه يسير، بل إتيانه به حينئذ سنة. وهذا فاصل ليس من الأولى ولا من الثانية، ولا يسن هذا بعد سجود تلاوة. (ثم تقوم) من السجود وقعود الاستراحة (وتضع اليدين على الأرض) معتمداً على بطن واحتتهما وأصابعهما. (ولا تقدم إحدى رجليك في حالة الارتفاع) أي على الأخرى. (وابتدئ بتكبير الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة، ومدها) أي التكبير (إلى انتصاف ارتفاعك إلى قيامك) بأن تستغرق ما بين وسط ارتفاعك من القعود إلى وسط ارتفاعك إلى القيام، بحيث يكون هاء الله عند استوائك جالساً، وكاف أكبر عند اعتمادك على البدء للقيام، وراء أكبر في وسط ارتفاعك إلى القيام. وتبتدئ التكبير في وسط ارتفاعك إلى القيام حتى تقف التكبير في وسط انتقالك، ولا يخلو عنها إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعظيم، ولا تمدّها مدّاً يزيد على سبع ألفات فإن ذلك مضر، لأن المد لا يزيد على ذلك.

(ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة) أي قليلة (مختطفة) أي سريعة، فلا يجوز تطويلها كالجلوس بين السجدين، كما قاله ابن حجر. ثم قال عمر البصري: وتطويلها يحصل بقدر زمن يسع أقل التشهد فقط إذ لا ذكر هنا حتى يعتبر، أو بزيادة على قدر الجلوس بين السجدين. ولعل الحكمة في عدم مشروعية الذكر فيها كون القصد بها الاستراحة فخفف على المصلي بعدم أمره بتحريك شيء من الأعضاء، أو كون مشروعية مد التكبير مسقطاً للذكر، انتهى. ولا تسن هذه الجلسة لقاعد، كما قاله ابن حجر والرملي.

(وصل الركعة الثانية كالأولى) أي في وضع اليدين تحت الصدر، وفي قراءة الفاتحة والسورة، وفي قصر النظر على موضع السجود. (وأعد التعوذ في الابتداء) أي ابتداء القيام لأنه يسن للقراءة، ولا تعد الاستفتاح. (ثم) بعد تمام السجدة الثانية (اجلس في الركعة الثانية للتشهد الأول، وضع اليد اليمنى في جلوس التشهد) أي مطلقاً (على الفخذ اليمنى مقبوضة الأصابع) بعد وضعها عند الركبة أو أولاً منشورة،

إلا المسبحة والإبهام فترسلهما، وانشر مسبحة يمينك عند قولك: إلا الله، لا عند قولك: لا إله. وضع اليد اليسرى منشورة الأصابع على الفخذ اليسرى، واجلس على رجلك اليسرى في هذا التشهد كما بين السجدين، وفي التشهد الأخير متوركاً، واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبي ﷺ. واجلس فيه على وركك الأيسر، وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك، وانصب القدم اليمنى، ثم قل بعد الفراغ: السلام عليكم ورحمة الله مرتين من الجانبين. والتفت بحيث يرى بياض خديك من جانبيك،

(إلا المسبحة والإبهام فترسلهما) وعبرة الإحياء: ولا بأس بإرسال الإبهام أيضاً. (وانشر مسبحة يمينك) وحدها مع إمالتها قليلاً، لئلا تخرج عن سمت القبلة (عند) همزة (قولك: إلا الله، لا عند) لام (قولك: لا إله) قاصداً من ابتدائك بهمزة إلا الله أن المعبود واحد، فتجمع في توحيدك بين اعتقادك وقولك وفعلك.

(وضع اليد اليسرى منشورة الأصابع) بضمها حتى الإبهام، بأن لا تفرج بينها لتتوجه كلها إلى القبلة. (على الفخذ اليسرى) بحيث تسامت رءوسها أول الركبة. (واجلس على) كعب (رجلك اليسرى) بعد أن تضعها بحيث يلي ظهرها الأرض، وانصب قدمك اليمنى، وضع بطون أطراف أصابعها على الأرض متوجهة للقبلة ولو كنت في الكعبة. (في هذا التشهد كما بين السجدين) وكالجلوس للاستراحة. (وفي التشهد الأخير متوركاً، واستكمل الدعاء المعروف) أي المشهور بين الناس، فقوله: في التشهد الأخير، متعلق بقوله: استكمل. (المأثور) أي المنقول عن رسول الله ﷺ (بعد الصلاة على النبي ﷺ) نحو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال. اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

(واجلس فيه) أي التشهد الأخير (على وركك الأيسر) بأن تلصقه بالأرض، لأنك لست مستوفياً للقيام بل أنت مستقر. (وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك) أي من جهة يمينك، (وانصب القدم اليمنى) وضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليك؛ ومحل ندب التورك في الجلوس الأخير إذا لم يعقبه سجود سهو أريد فعله. (ثم قل بعد الفراغ) من الأدعية التي تطلب في التشهد: (السلام عليكم ورحمة الله) ولا يستحب أن تقول معه: وبركاته، لأنه خلاف المشهور عن رسول الله ﷺ وإن كان قد جاء في رواية لأبي داود، كذا في الأذكار. تقول ذلك (مرتين من الجانبين) وافصل بينهما.

(والتفت) فيهما بوجهك فقط إلى الجانبين (بحيث يرى بياض) أي صورة (خديك من جانبيك) بأن تلتفت في المرة الأولى حتى يرى من ورائك خدك الأيمن، وفي المرة الثانية حتى يرى من خلفك خدك الأيسر. ولو سلمت الأولى شمالاً سلمت الثانية يميناً عند ابن قاسم، وشمالاً أيضاً عند الشبرايملي.

وانو الخروج من الصلاة، وانو السلام على من على جانبك من الملائكة والمسلمين. وهذه هيئة صلاة المنفرد، وعماد الصلاة الخشوع وحضور القلب مع القراءة والذكر بالتفهم. وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع. وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فَلَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا عَقَلَ مِنْهَا».



ويسن ابتداء السلام في كُلِّ مستقبلًا للقبلة وإنهاؤه مع تمام الالتفات. (وانو الخروج من الصلاة) أي لقصد التحلل منها بالتسليمة الأولى. فإن نويت قبلها بطلت الصلاة، ومع الثانية أو أثناء الأولى فاتت السنة. ولو سلم المتطوع الذي نوى عددًا واقتصر على بعضه أثناء صلاته قصدًا، فإن قصد التحلل فقد نوى الاقتصار على بعض ما نوى، وإن سلم عمدًا ولم يقصد التحلل بطلت صلاته، فلا بد من قصد التحلل أو الاقتصار على أقل مما نواه. فلو نوى بالتسليمة الخروج من صلاة الظهر وهو في العصر بطلت الصلاة إن تعمد، كذا أفاده الونائي. (وانو السلام على من على جانبك من الملائكة والمسلمين) من إنس وجن، فتنوي بمرّة اليمين على من على يمينك، وبمرّة اليسار على من على يسارك وعلى من خلفك وأمامك بأيهما شئت، والأولى أولى. ويسن الرد من غير المصلي، ولا يجب الرد لانصراف السلام للتحلل.

(وهذه هيئة صلاة المنفرد) وسيأتي قريبًا صفة صلاة الجماعة زائدة على هذه الصفة. (وعماد الصلاة الخشوع) بسكون الجوارح، فلا يعثب بعضو منها، وبحضور القلب. ومما يحصله استحضاره أنه بين يدي الله تعالى ملك الملوك، وأنه يعلم السر وأخفى، وأنه يناجيه، وأنه ربما تجلى عليه بالقهر لعدم قيامه بحق ربوبيته، فيرد عليه صلاته. (وحضور القلب مع القراءة والذكر بالتفهم) أي التأمل في الجملة لا المبالغة فيه، لأنه يشغله عما هو بسلوكه في طريقه. (وقال الحسن البصري) وهو من أكبر التابعين (رحمه الله تعالى): كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع) وحكي: أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء فقال: إذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع، فإني قريب.

(وقال رسول الله ﷺ): «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فَلَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا عَقَلَ» أي تدبر (منها) وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي هريرة: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى فِي الْعَلَانِيَةِ فَأَحْسَنَ وَصَلَّى فِي السِّرِّ فَأَحْسَنَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا عَبْدِي حَقًّا». والمعنى: أن العبد إذا صلى فرضًا أو نفلًا حيث يراه الناس فأحسن الصلاة بأن أتى بما يطلب فيها ولم يراء بها، وصلى حيث لا يراه أحد فأحسن الصلاة بأن أتى بأركانها وشروطها ومستحباتها من خشوع ونحوه، وكان واقفًا عند حدود الله ممثلًا أوامره مجتنبًا لمناهيه، أثنى الله عليه ونشر ثناءه بين

آداب الإمامة والقُدوة

ينبغي للإمام أن يخفف الصلاة. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما صليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله ﷺ. ولا يكبر ما لم يفرغ المؤذن من الإقامة، وما لم تستو الصفوف. ويرفع الإمام صوته بالتكبيرات، ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه. وينوي الإمام الإقامة لينال الفضل. فإذا لم ينو صحت صلاة القوم إذا نواوا الاقتداء به، ونالوا فضل القُدوة. ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد، ويجهر بالفاتحة.....



الملائكة فيحبونه، ثم تقع محبته في قلوب أهل الأرض، فهذا هو العبد الذي يوصف بأنه قائم على قدم الطاعة، فهو العبد حقاً.

آداب الإمامة والقُدوة

بكسر القاف ويجوز ضمها كذا قاله الرشدي كما في الصحاح، وعكس ذلك في المصباح. ينبغي) أي يطلب (للإمام) آداب ثمانية؛


الأول: (أن يخفف الصلاة) أي في قراءة السورة وإن روي أنه ﷺ قرأ في الظهر بطوال المفصل إلى ثلاثين آية، وفي العصر بنصف ذلك، وفي المغرب بأواخر المفصل. وروي أن آخر صلاة صلاحها رسول الله ﷺ المغرب، قرأ فيها سورة والمرسلات، ما صلى بعدها حتى قبض. وبالجملة فالتخفيف أولى لا سيما إذا كثرت الجمع، قال ﷺ: « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَدَا الْحَاجَةَ، وَإِذَا صَلَّى لِنَفْسِهِ فَلْيَطْوِلْ مَا شَاءَ ». (قال أنس بن مالك رضي الله عنه) وكان يخدم رسول الله ﷺ عشر سنين: (ما صليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله ﷺ).

(و) الثاني: (لا يكبر) أي الإمام (ما لم يفرغ المؤذن من الإقامة، وما لم تستو الصفوف) فيلتفت يمناً وشمالاً، فإن رأى خلاً أمر بالتسوية. والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس للصلاة، لأنه ﷺ نهى عن مدافعة الأخبثين، وأمر بتقديم العشاء طلباً لفراغ القلب.

(و) الثالث: (يرفع الإمام صوته بالتكبيرات، ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع) بضم الياء وكسر الميم أي المأموم (نفسه. وينوي الإمام الإقامة لينال الفضل) أي فضل الجماعة. (فإذا لم ينو) الإمامة (صحت) صلاته منفرداً، وصحت (صلاة القوم) المأمومين (إذا نواوا الاقتداء به) أي بذلك الإمام (ونالوا فضل القُدوة) فإن ترك المأموم هذه النية أو شك فيها وتابعه في فعل أو سلام بعد انتظار كثير للمتابعة بطلت صلاته، لأنه وقفها على صلاة غيره بلا رابطة بينهما.

(و) الرابع: (يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد) أي وكالمأموم أيضاً، (ويجهر بالفاتحة

والسورة في جميع الصبح وأوليي المغرب والعشاء، وكذلك المنفرد. ويجهر بقوله: آمين في الجهرية، وكذلك المأموم. ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقيباً له. ويسكت الإمام سكتة عقب الفاتحة ليثوب إليه نفسه، ويقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام. ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام. ولا يزيد الإمام على ثلاث في تسبيحات الركوع والسجود، ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله: اللهم صل على محمد.

والسورة) بعدها (في جميع) ركعتي (الصبح وأوليي المغرب والعشاء وكذلك المنفرد،  ويجهر بقوله: آمين في) الصلاة (الجهرية) أي ومثله المنفرد (وكذلك المأموم) على الصحيح سواء كان الجمع قليلاً أو كثيراً، وكذلك لقراءة إمامه لا لقراءة نفسه. ولا يسن التأمين للمأموم لقراءة الإمام في السرية وإن جهر الإمام بذلك. (ويقرن) بضم الراء على الأوضح وقد تكسر (المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقيباً له) أي لا بعده ولا قبله، وليس في الصلاة موضع يستحب أن يقرن فيه قول المأموم بقول الإمام إلا في قوله: آمين؛ وأما في باقي الأقوال فليتأخر قول المأموم عن قول الإمام. ويجهر الإمام والمنفرد ببسم الله الرحمن الرحيم.

(و) الخامس: (يسكت الإمام سكتة) لطيفة في السرية (عقب الفاتحة ليثوب) أي يرجع (إليه نفسه) بفتح الفاء بعد ذهابه. وسكتة طويلة في الجهرية بقدر قراءة المأموم الفاتحة باعتبار الوسط المعتدل. (ويقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة) للإمام، وإنما يسكت الإمام بقدر ذلك (ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام) للسورة، فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع، فيكون عليه ما نقص من صلاتهم، ويقرعون الفاتحة معه لأن الحالة حالة عذر، والمقصر هو الإمام. وإن لم يقرعوا الفاتحة في سكوتهم واشتغلوا بغيرها، فذلك عليهم لا عليه. (ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية) فذلك مكروه، (إلا إذا لم يسمع صوت الإمام) لبعده أو صمم أو سماع صوت غير مفهوم أو إسرار إمامه ولو في الجهرية، فيقرأ ندباً سورة فأكثر إلى أن يركع الإمام، لأن الصلاة لا سكوت فيها بغير المشروع.

(و) السادس: (لا يزيد الإمام على ثلاث في تسبيحات الركوع والسجود) نعم، روي أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة، قال: ما صليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب. وكنا نسبح وراءه عشراً عشراً وذلك حسن، ولكن الثلاث إذا كثرت الجمع أحسن، فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر، هذا وجه الجمع بين الروايات، كذا في الإحياء.

(و) السابع: (لا يزيد في التشهد الأول بعد قوله: اللهم صل على محمد) فإن الصلاة على الآل فيه لا تسن على الصحيح، فإنه مبني على التخفيف. أما المأموم فيسن له أن يشتغل بالدعاء إذا فرغ من التشهد والصلاة على النبي ﷺ قبل الإمام.

ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة، ولا يطول على القوم، ولا يزيد دعاؤه في التشهد الأخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله ﷺ، وينوي الإمام عند التسليم السلام على القوم، وينوي القوم بتسليمهم جوابه. ويلبث الإمام ساعة بعد ما يفرغ من السلام، ويقبل على الناس بوجهه، ولا يلتفت إن كان خلفه نساء لينصرفن أولاً. ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الإمام، وينصرف الإمام حيث شاء عن يمينه أو شماله، واليمين أحب إلي. ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح، بل يقول: اللهم اهدنا،



(و) الثامن: (يقتصر) أي الإمام (في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة) ومثله المنفرد، أما المأموم فيسن له أن يقرأ السورة في الثالثة والرابعة إذا فرغ من الفاتحة قبل الإمام، إذ لا معنى لسكوته. (ولا يطول) أي الإمام (على القوم) فسّر ذلك بقوله: (ولا يزيد دعاؤه في التشهد الأخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله ﷺ) بل الأفضل أن يكون الدعاء أقل منهما لأنه تبع لهما، والزيادة على قدرهما تكره على الإمام ولا تضر على غيره.

(وينوي الإمام عند التسليم) مع نية التحلل (السلام) أي ابتداءه (على القوم) ويشترط أن لا يقصد غير السلام فقط. (وينوي القوم بتسليمهم جوابه) أي الإمام أي الرد عليه زيادة على الابتداء، فينوي رد السلام منهم من على يمينه بالتسليمة الثانية، ومن على يساره بالأولى، ومن خلفه بأيهما شاء، وبالأولى أفضل. وينوي أيضاً بعض المأمومين الرد على بعض. وسن للمأموم أن لا يسلم إلا بعد فراغ الإمام من تسليمته، ولو ترك السنة بأن سلم قبل سلام إمامه الثانية سن للإمام الرد عليه.

(ويلبث الإمام) مكانه (ساعة بعد ما يفرغ من السلام) وفي الخبر: « أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقْعُدُ إِلَّا قَدَرَ قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ». (ويقبل على الناس بوجهه) قال شيخ الإسلام: ولو مكث بعد الصلاة لذكر ودعاء، فالأفضل جعل يمينه إليهم ويساره إلى المحراب للاتباع، رواه مسلم. أي في غير مسجده ﷺ، أما فيه فيجعل يمينه إليه تأدباً معه ﷺ. وعند أبي حنيفة: يجعل وجهه لهم كما قاله عطية والبجيرمي. (ولا يلتفت) وفي نسخة: ويلبث، وهذا موافق للإحياء وفتح الوهاب (إن كان خلفه نساء لينصرفن أولاً) وسن لهن الانصراف عقب سلام الإمام، لأن الاختلاط بهن مظنة الفساد.

(ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الإمام) قيام المأموم قبل انتقال الإمام مكروه. (وينصرف الإمام) من مكان السلام إلى مكان آخر ولو في أثناء المسجد أو من المسجد أو إلى الطريق (حيث شاء عن يمينه أو شماله، واليمين أحب إلي) لأن جهة اليمين أفضل.

(ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح) فلا يقول: اللهم اهدني، (بل يقول: اللهم اهدنا)

ويجهر به ، ويؤمن القوم. ولا يرفعون أيديهم إذ لم يثبت ذلك في الأخبار، ويقرأ المأموم بقية القنوت من قوله: إنك تقضي ولا يقضى عليك. ولا يقف المأموم وحده، بل يدخل في الصف أو يجر إلى نفسه غيره.



أي وهكذا للخبر الذي رواه الترمذي: « لَا يُؤْمُّ عَبْدٌ قَوْمًا فَيُحْصُ نَفْسَهُ بِدَعْوَةِ دُونِهِمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ » أي انتقص ثوابهم بتفويتهم ما طلب لهم فكره ذلك. أما ما ورد من النص بإفراد الدعاء فهو في غير القنوت فيفرد. (ويجهر) أي الإمام (به) أي القنوت ولو في السرية على الصحيح. (ويؤمن القوم) بالدعاء جهراً إذا سمعوا قنوت الإمام، وإذا لم يسمعه قنوتوا سراً. (ولا يرفعون أيديهم، إذ لم يثبت ذلك في الأخبار) وهذا ضعيف، بل الصحيح سن رفع اليدين في جميع القنوت والصلاة والسلام بعده، وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت. وفارق الدعوات في آخر التشهد حيث لا يرفع بسببها اليدين، لأن لهما وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة، ولا وظيفة لهما ههنا. فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فإنه لائق بالدعاء، كذا في الإحياء والتحفة. ولا يندب مسح اليدين بعده في الصلاة، ويندب خارجها.

(ويقرأ المأموم بقية القنوت من قوله: إنك تقضي ولا يقضى عليك) سراً، وهو ثناء فلا يليق به التأمين بل يقرأ مع الإمام، فيقول مثل قوله وهو أولى، أو يقول: بل وأنا على ذلك من الشاهدين، أو يقول: أشهد، أو يسكت مستمعاً لإمامه، ويؤمن المأموم بعد الصلاة على النبي على المعتمد لأنها دعاء. (ولا يقف المأموم وحده) أي منفرداً عن صف من جنسه، (بل يدخل في الصف) إن وجد سعة، بأن كان لو دخل فيه وسعه من غير إلحاق مشقة لغيره وإن لم تكن فيه فرجة، (أو يجر إلى نفسه غيره) أي جراً بعد إحرامه لا قبل من الصف ليصطف معه خروجاً من الخلاف في بطلان الصلاة بالانفراد عن الصف، قال به الإمام أحمد وابن المنذر وابن خزيمة والحميدي.

واعلم أن شروط الإمام ستة عشر؛ الأول: التمييز. والثاني: العقل. والثالث: الإسلام. والرابع: الذكورة فيمن أم الرجل أو الخثى. والخامس: أن يكون مكلفاً إذا كان إمام الجمعة وكان من الأربعين. والسادس: عدم لزوم الإعادة في حقه كمتيمم لنحو برد، ومتيمم لعدم الماء في محل يغلب فيه وجود الماء، وفاقد الطهورين. والسابع: أن لا يكون هاجماً بلا اجتهاد إن احتاج إليه في الأواني أو الثياب أو القبلة، فصلاة ذلك باطلة تلزمه الإعادة. والثامن: معرفة كيفية الصلاة. والتاسع: أن لا يكون لاحقاً لاحقاً لغير المعنى في الفاتحة. والعاشر: أن لا يكون أحرص وإن كان المقتدي به أحرص أيضاً. والحادي عشر: أن لا يكون أمياً، وهو من لا يحسن الفاتحة، والمأموم قارئ. والثاني عشر: أن لا يكون تابعاً لغيره. والثالث عشر: أن لا يكون مرتكب بدعة يكفر بها. والرابع عشر: أن يكون ظاهر الأفعال للمأموم ليتمكن من متابعتها. والخامس عشر: اجتماع شروط الصلاة في الإمام يقيناً أو ظناً من طهارة

ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم على الإمام في أفعاله أو يساويه، بل ينبغي أن يتأخر عنه، ولا يهوي للركوع إلا إذا انتهى الإمام إلى حد الركوع، ولا يهوي للسجود ما لم تصل جبهة الإمام إلى الأرض.

آداب الجمعة

اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين، وهو



وستر عورة واجتناب نجاسة غير معفو عنها. والسادس عشر: نية الإمامة فيما تجب فيها نيتها، وهي الجمعة والمعادة والمجموعة بالمطر والمنذورة جماعة كالعيد ونحوه، بأن نذر شخص أن يصلي ذلك جماعة ثم يصلي إمامًا فتجب نية الإمامة.

(ولا ينبغي) أي لا يليق (للمأموم أن يتقدم على الإمام في أفعاله، أو يساويه) أي يقارنه في تلك، (بل ينبغي) أي يطلب (أن يتأخر عنه. ولا يهوي) بكسر الواو أي المأموم (للكوع إلا إذا انتهى) أي وصل (الإمام إلى حد الركوع، ولا يهوي للسجود ما لم تصل جبهة الإمام إلى الأرض).

واعلم أن شروط المأموم تسعة؛ الأول: المتابعة، بأن يتابع إمامه في الأفعال فلا يسبقه بركنين فعليين ولو غير طويلين عامدًا عالمًا بالتحريم، ولا يتخلف عنه بهما بلا عذر. والثاني: أن ينوي الاقتداء بالإمام أو الجماعة أو الائتتام، في غير الجمعة مطلقًا، وفيها(*) مع التحرم، لأن التبعية عمل فافتقرت إلى نية، ومثل الجمعة كل ما وجبت فيه الجماعة. والثالث: موافقة المأموم إمامه في سنن تفحش مخالفتها فيها فعلاً وتركاً كسجدة تلاوة. والرابع: تيقن تقدم إحرام إمامه على جميع تحريمه. والخامس: أن يكون عالمًا بانتقالات الإمام ليتمكن من متابعتها. والسادس: أن لا يكون سابقًا إمامه فيما اعتمد عليه. والسابع: أن لا يعتقد بطلان صلاة إمامه، ولو شك الشافعي في إتيان المخالف كحفي بالواجبات عند المأموم لم يؤثر في صحة الاقتداء به تحسينًا للظن به في توقي الخلاف. ولو علم ترك الإمام البسملة لم تصح قدوة الشافعي به ولو كان الإمام المقتدى به إمامًا أعظم، كما قاله محمد السمانودي. والثامن: اجتماع الإمام والمأموم في الموقف. والتاسع: توافق نظم صلاتي الإمام والمأموم في الأفعال الظاهرة.

آداب الجمعة

بضم الميم وهي لغة الحجاز، وفتحتها وهي لغة تميم، والسكون لغة عقيل، وهذه اللغات إذا كان المراد بالجمعة: اليوم. أما إذا أريد بها الأسبوع فبالسكون لا غير، كما إذا قلت: صمت جمعة أي أسبوعًا. (اعلم أن الجمعة عيد) من أعياد (المؤمنين) وهي أفضل الصلوات، ويومها أفضل أيام الأسبوع، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى. أما يوم عرفة فهو أفضل منها، خلافًا للإمام أحمد. (وهو

(*) وفيها أي وفي الجمعة.

يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الأمة، وفيه ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها حاجة إلا أعطاه إياها. فاستعد لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب وبكثرة التسبيح والاستغفار عشية الخميس، فإنها ساعة توازي في الفضل ساعة يوم الجمعة، وانو صوم يوم الجمعة لكن مع الخميس أو السبت إذ جاء في إفرادها نهي. فإذا طلع عليك الصبح فاغتسل، فإن غسل الجمعة واجب على كل محتلم أي ثابت مؤكد.



يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الأمة) المحمدية، وفي الخبر: « إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ سِتْمِائَةَ أَلْفٍ عَتَبِيٍّ مِنَ النَّارِ »، وقال ﷺ: « مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ كُتِبَ لَهُ أَجْرٌ شَهِيدٍ وَوَقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ ». (وفيه) أي في يوم الجمعة (ساعة مبهمة) أي أخفاها الله تعالى فيه (لا يوافقها) أي لا يصادفها (عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها) أي في تلك الساعة (حاجة) من حوائج الدين والدنيا (إلا أعطاه) الله تعالى (إياها) أي الحاجة حالاً بعين المسئول. قال بعضهم: ساعة الإجابة في آخر النهار، لأن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بعد العصر في يوم الجمعة، ولأن اليمين تغلظ بعد عصر الجمعة. وقال القاضي عياض: ساعة الإجابة مختطفة أي يسيرة منحصرة فيما بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى سلامه من الصلاة أي لا تخرج عن هذا الوقت، وليس المراد أنها مستغرقة لما بين الجلوس وآخر الصلاة لأنها لحظة لطيفة.

ثم ذكر المصنف من آداب الجمعة هنا سبعة؛

الأول مذكور بقوله: (فاستعد لها) أي الجمعة (من يوم الخميس بتنظيف الثياب) واستعداد الطيب إن لم يكن عندك، (وبكثرة التسبيح والاستغفار) أي والدعاء (عشية الخميس) أي بعد العصر في ذلك اليوم، (فإنها ساعة توازي) تقابل (في الفضل ساعة) الإجابة المبهمة في (يوم الجمعة) قال بعض السلف: إن لله تعالى فضلاً سوى أرزاق العباد، لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة. (وانو صوم الجمعة لكن مع الخميس أو السبت، إذ جاء في إفرادها) أي يوم الجمعة بالصوم (نهي) قال ﷺ: « لَا يَصُومُ أَحَدٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ » رواه الشيخان، وقال ﷺ: « لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ ».

والثاني مذكور بقوله: (فإذا طلع عليك الصبح فاغتسل) فإن وقت غسل الجمعة يدخل بذلك، فإن لم تبكر إلى المسجد فتقريبه إلى ذهابك أفضل لتكون أقرب عهداً بالنظافة. (فإن غسل الجمعة واجب على كل محتلم، أي) أمر (ثابت مؤكد) على كل من بلغ مبالغ الرجال. وإنما لم يجب الغسل للخبر الذي رواه أبو داود وغيره: « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهَا وَنَعَمَتْ، وَمَنْ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ ». قوله: فيها أي بالطريقة عمل، ونعمت: الطريقة هو الوضوء.

ثم تزين بالثياب البيض فإنها أحب الثياب إلى الله تعالى، واستعمل من الطيب أطيب ما عندك. وبالغ في تنظيف بدنك بالحلق والقص والتقليم والسواك وسائر أنواع النظافة وتطيب الرائحة. ثم بكر إلى الجامع واسع إليها على الهيئة والسكينة. فقد قال ﷺ: « مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً،



والثالث مذكور بقوله: (ثم تزين بالثياب البيض) وهي أفضل الثياب في كل زمن حيث

لا عذر، كما قال المصنف: (فإنها أحب الثياب إلى الله تعالى) لقوله ﷺ: « أَلْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفَفْنَا فِيهَا مَوْتَاكُمْ » رواه الترمذي. (واستعمل من الطيب أطيب ما عندك) سوى الزباد لأنه طيب النساء مع كون أحمد يقول بنجاسته لتغلب به الروائح الكريهة، ويوصل به الرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره. وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه.

(وبالغ في تنظيف بدنك بالحلق) لنحو إبط وعانة إذا لم ترد التضحية في عشر ذي الحجة. أما حلق الرأس فمباح إلا إن تأذى ببقاء شعره، أو شق عليه تعهده فيندب. (والقص) أي لشاربه حتى تبدو حمرة الشفة، ويكره استئصاله. (والتقليم) أي للأظفار، والأفضل في التقليم لليدين أن يبدأ في اليمنى بالسبابة إلى الخنصر ولاء ويختتم بإبهامها، وفي اليسرى يبدأ بالخنصر ويختتم بالإبهام على التوالي؛ وفي الرجلين أن يبدأ من خنصر اليمنى إلى خنصر اليسرى على الولاة. (والسواك، وسائر أنواع النظافة، وتطيب الرائحة) وهو بالمسك أفضل، إلا إن كنت محرماً فيجب الترك، أو صائماً فيكره لك الطيب. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله أي فهمه.

والرابع مذكور بقوله: (ثم بكر إلى الجامع) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وهو مندوب لغير إمام وخطيب ومعدور كمن به سلس بول، ولو بالقصد من فرسخين وثلاث لمن عادتهم الجلوس في المسجد؛ أما الإمام فيسن له التأخير إلى وقت الخطبة. (وأسع) أي امض واحضر (إليه) أي الجامع، وفي نسخة: إليها أي الجمعة (على الهيئة) بكسر الهاء أي الرفق (والسكينة) أي التأني في المشي والحركات واجتناب العبث وحسن الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات. نعم، إن لم يدرك الجمعة إلا بالسعي وقد أطاقه، وجب وإن لم يلق به.

(فقد قال ﷺ: « مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ أَي وَدَخَلَ فِي الْمَسْجِدِ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ ») أي واحداً من الإبل، (وَمَنْ رَاحَ) أي جاء المسجد (فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً) وهي تقع على الذكر والأنثى، وتأوها للوحدة كالبدينة. (وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا) وهو ذكر النعجة (أَقْرَنَ) أي عظم القرون. (وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ) وفي نسخة: أهدي (دَجَاجَةً)

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمُنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ». ويقال: إن الناس في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة. ثم إذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول. فإذا اجتمع الناس فلا تتخطرقابهم.



بتلث الدال كما قاله البجيرمي، والفتح أفصح من الكسر، ولم يذكر الضم في الصحاح ولا في المصباح. والدجاجة للذكر والأنثى، والتاء للوحدة. (وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ) ونسخة: أهدى (بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ) أي لصعود المنبر من نحو الخلوة (طُوِيَتِ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ) أي فلا تكتب الملائكة أحداً من حاضري الجمعة (وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمُنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ) أي الخطبة، وفي رواية: «فِي الرَّابِعَةِ بَطَّةٌ وَفِي الْخَامِسَةِ دَجَاجَةٌ»، وفي رواية للنسائي: «وَفِي الْخَامِسَةِ كَالَّذِي يَهْدِي عُصْفُورًا وَفِي السَّادِسَةِ بَيْضَةً» قال ابن حجر: والمراد أن ما بين الفجر وخروج الخطيب ينقسم ستة أجزاء متساوية، سواء أطال اليوم أم قصر.

(ويقال: إن الناس) يكونون (في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة) قال ﷺ: «ثَلَاثٌ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِيهِنَّ لَرَكَّضُوا إِلَيْهِ فِي طَلِبِهِنَّ: الْأَذَانُ، وَالصَّفُّ الْأَوَّلُ، وَالْعُدُوُّ إِلَى الْجُمُعَةِ»، وقال أحمد بن حنبل: أفضلهن الغدو إلى الجمعة. وفي الخبر: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَعَدَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ بِأَيْدِيهِمْ صُحُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَأَقْلَامًا مِنْ ذَهَبٍ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلٍ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ».

والخامس مذكور بقوله: (ثم إذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول) فإن فضله كثير، هذا إذا لم يكن يقرب الخطيب منكر ولم يحصل تخطي رقاب الناس. قال سعيد بن عامر: صليت إلى جنب أبي الدرداء، فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف، فلما صليت قلت: أليس يقال خير الصفوف أولها؟ قال: نعم، إلا أن هذه الأمة مرحومة منظورة إليها من بين الأمم، فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس، وإنما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله إليه. فمن تأخر من الصف الأول مثلاً على هذه النية إثارة للغير وإظهاراً لحسن الخلق، فهو أولى، وإنما الأعمال بالنيات.

والسادس مذكور بقوله: (فإذا اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم) والمراد بالتخطي أن يرفع رجله بحيث يحاذي في تخطيه أعلى منكب الجالس، وما يقع من المرور بين الناس ليصل إلى نحو الصف الأول مثلاً ليس من التخطي، بل من حرق الصفوف إن لم يكن ثم فرج في الصفوف يمشي فيها وذلك لا يضر. والتخطي مكروه كراهة شديدة، لأنه ﷺ رأى رجلاً يتخطي رقاب الناس فقال له: «أَجْلِسْ»، فَقَدْ آذَيْتَ وَآتَيْتَ» أي فقد آذيت الناس بتخطيك وأخرت المجيء وأبطأت. ولم يحمل هذا النهي على الحرمة، لأن الإيذاء هنا لغرض، كما أفاده البجيرمي.

ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون، واجلس بقرب حائط أو أسطوانة حتى لا يمروا بين يديك. ولا تقعد حتى تصلي التحية، والأحسن أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة الإخلاص خمسين مرة، ففي الخبر: « أن من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له »، ولا تترك التحية وإن كان الإمام يخطب. ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات سورة الأنعام والكهف وطه ويس. فإن لم تقدر فسورة يس والدخان والم السجدة وسورة الملك. ولا تدع قراءة هذه السور في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير،



والسابع مذكور بقوله: (ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون) قال ﷺ: « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ

بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّيِّ مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » (*). (واجلس

بقرب حائط) أي جدار (أو أسطوانة) بضم الهمزة أي عمود (حتى) للتعليل أي كي (لا يمروا بين يديك) أي إذا صليت، وفي بعض النسخ: وحتى لا يمر بين يديك أحد. فإن لم تجد أسطوانة، فلتنصب بين يديك شيئاً طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحدك.

(ولا تقعد حتى تصلي التحية، والأحسن) وفي نسخة: وحسن أي مندوب كما قاله الفاكهي (أن تصلي أربع ركعات) أي بتسليمة واحدة، لأن التحية لا تكون إلا بتسليمة ولو مائة ركعة كما قاله الفشني. (تقرأ كل ركعة بعد الفاتحة) سورة (الإخلاص خمسين مرة) فجملة سورة الإخلاص في الأربع ركعات مائتا مرة. (ففي الخبر: « أن من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له »). ولا تترك التحية وإن كان الإمام يخطب) لكن عليك حينئذ بالتخفيف أي بترك التطويل عرفاً، وقيل: بالاقتصار على الواجبات، ولا يزد حينئذ على ركعتين، فإن ذلك لا يجوز. كما لا تباح لأحد من الحاضرين صلاة غير تحية بعد جلوس خطيب وإن لم يسمع الخطيب. ولو دخل المسجد في آخر الخطبة، فإن غلب على ظنه أنه إن صلى ركعتين خفيفتين فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام لم تندب له التحية بل يقف حتى تقام الصلاة، ولا يقعد لثلاثا يكون جالساً في المسجد قبل التحية.

(ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات سورة الأنعام والكهف وطه ويس) وفي الإحياء: استحباب هذه الصلاة مع هذه السور في هذا اليوم أو في ليلته. (فإن لم تقدر فسورة يس والدخان والم السجدة وسورة الملك. ولا تدع) أي لا تترك (قراءة هذه السور) أي الأربع كما في الإحياء (في ليلة الجمعة، ففيها فضل كثير) قيل: من تلا سورة الأنعام يكون متوجهاً لحفظ الدين وحسن الرزق، ويزرق الحظ في دنياه وآخرته. وقال ﷺ: « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أُعْطِيَ نُورًا مِنْ حَيْثُ يَقْرُوهَا إِلَى مَكَّةَ، وَعُفِّرَ لَهُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفُضِّلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى

(* وفي الصحيحين: قال أبو النضر: لا أدري أقال أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة؟

ومن لم يحسن ذلك فليكثر من قراءة سورة الإخلاص. وأكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم خاصة. ومهما خرج الإمام فاقطع الصلاة والكلام، واشتغل بجواب المؤذن، ثم باستماع الخطبة والاعتاظ بها. ودع الكلام رأساً في الخطبة، ففي الخبر: « أَنْ مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ: أَنْصِتْ أَوْ صَهْ فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ » أي لأن قوله: أنصت كلام، فينبغي أن ينهي غيره بالإشارة لا باللفظ.



يُصْبِحُ، وَعُوفِي مِنَ الدَّاءِ وَالدُّبَيْلَةِ وَذَاتِ الْجُنْبِ وَالْجُدَامِ وَالْبَرَصِ وَفِتْنَةِ الدَّجَالِ « والديلة: داء في جوف البطن أو داء أشد حرّاً في البطن أو في القلب. وعن الحسن أن النبي ﷺ قال: « لَا يَقْرَأُ أَهْلُ الْحِنَةِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا لَيْسَ وَطَهُ »، وقيل: « مَتَى قَرَأَ سُورَةَ طه يُحِبُّ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَيَفْعَلُ الْخَيْرَ وَيُحِبُّ الْعِشْرَةَ فِي أَهْلِ الدِّينِ، وَمَنْ تَلَا سُورَةَ يس يَكُونُ دِينُهُ قَوِيًّا ». وعن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿ الم تَنْزِيلُ ﴾ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدَرِ »، وقيل: « مَنْ تَلَا سُورَةَ السَّجْدَةِ يَكُونُ قَوِيًّا التَّوْحِيدِ سَلَّمَ الْيَقِينِ »، وقال ﷺ: « مَنْ قَرَأَ حَمَّ الدَّخَانِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ »، وقيل: « مَنْ تَلَا سُورَةَ الْمُلْكِ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَكَثَّرَ أَمْلَاكُهُ وَخَيْرَاتُهُ ».

(ومن لم يحسن ذلك) قرأ ما يحسن، (فليكثر من قراءة سورة الإخلاص، وأكثر من الصلاة على النبي ﷺ في هذا اليوم) أي وليته (خاصة) وأكثر قراءة سورة الكهف. قال الونائي: وأقل إكثار الصلاة على النبي ﷺ ثلاثمائة بالليل وثلاثمائة بالنهار. وأقل إكثار سورة الكهف ثلاث مرات، وقراءتها نهاراً أكد وأولاه بعد الصبح.

(ومهما خرج الإمام) من نحو خلوة لصعود المنبر (فاقطع الصلاة والكلام، واشتغل بجواب المؤذن، ثم باستماع الخطبة والاعتاظ بها) وقال الونائي: ويجب على كل من كان في صلاة تخفيفها عند صعود الخطيب المنبر وجلوسه عليه، فإطالتها كإنشائها. اهـ. لكن إنشاء الصلاة قبل جلوسه وبعد شروعه في الصعود لا يحرم، أما بعد جلوسه فيحرم. ولا تنعقد الصلاة مطلقاً ما عدا ركعتي التحية إجماعاً، كما في حاشية الإقناع.

(ودع الكلام رأساً) أي بالكلية (في) وقت (الخطبة، ففي الخبر: « أَنْ مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ: أَنْصِتْ أَوْ صَهْ فَقَدْ لَغَا) قوله: أو صه شك من الراوي وهو بمعنى اسكت، (وَمَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ » أي لأن قوله: أنصت كلام، فينبغي أن ينهي غيره بالإشارة) أي المفهمة (لا باللفظ) والجديد: لا يحرم الكلام في وقت الخطبة بل يكره، والإنصات لها سنة. والمراد باللغو في الخبر المشهور: مخالفة السنة كما أفاده ابن حجر، وإن المنفي بقوله: فلا جمعة له كمال الجمعة لا صحتها. نعم، لو كان من الحاضرين أربعون تلتزمهم الجمعة فقط حرم على بعضهم كلام فوته سماع ركن لتسببه في إبطال الجمعة.

ثم اقتد بالإمام كما سبق. فإذا فرغت وسلمت فاقرا الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات، والإخلاص سبعا، والمعوذتين سبعا سبعا. فذلك يعصمك من الجمعة إلى الجمعة الأخرى، ويكون حرزاً لك من الشيطان. وقل بعد ذلك: اللهم يا غني يا حميد، يا مبدئ يا معيد، يا رحيم يا ودود، أغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك. ثم صل بعد الجمعة ركعتين أو أربعاً أو ستاً مثني مثني، فكل ذلك مروى عن رسول الله ﷺ في أحوال مختلفة.....



والقديم: يحرم الكلام في ذلك الوقت كالأئمة الثلاثة، ويجب الإنصات. قال البحرمي: ولا يكره الكلام قبل الخطبة وبعدها وبين الخطبتين ولو بغير حاجة. (ثم اقتد بالإمام كما سبق) أي في آداب الجمعة.

فإذا سمعت قراءة الإمام فلا تقرأ غير الفاتحة. (فإذا فرغت) أي من صلاة الجمعة (وسلمت) منها (فاقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات، والإخلاص سبعا، والمعوذتين سبعا سبعا، فذلك) أي المذكور من السور (يعصمك) أي يمنعك من سوء (من الجمعة إلى الجمعة الأخرى، ويكون حرزاً) أي وقاية (لك من الشيطان) كما رواه ابن السني من حديث عائشة عن رسول الله لكن بدون الفاتحة، وروى الحافظ المنذري عن أنس أن النبي ﷺ قال: « مَنْ قَرَأَ إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ أَنْ يَثْنِيَ رَجُلُهُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَالْمُعَوِّذَيْنِ سَبْعًا سَبْعًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ». »

(وقل) أربع مرات كما نقل عن الدميري عن أبي طالب (بعد ذلك) أي بعد سلام الجمعة كما في الإحياء وكما نقله عن أبي طالب المكي: (اللهم) أي يا الله (يا غني) أي من لا يفتقر إلى شيء (يا حميد) أي مستحق الثناء، (يا مبدئ) أي مظهر الشيء من العدم إلى الوجود (يا معيد) أي خالق الشيء بعد عدمه، (يا رحيم) أي مريد الإنعام (يا ودود) أي من يحب الخير لجميع الخلائق، (أغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك) يقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه، ورزقه من حيث لا يحتسب.

(ثم صل بعد الجمعة ركعتين) كما رواه ابن عمر، (أو أربعاً) كما رواه أبو هريرة، (أو ستاً) كما رواه علي وعبد الله بن عباس، (مثني مثني) وهذه الكلمة لم تذكر في الإحياء. (فكل ذلك) أي المذكور من الركعتين والأربع والست (مروى عن رسول الله ﷺ في أحوال مختلفة) كما قال ﷺ: « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُصَلِّيًا بَعْدَ الْجُمُعَةِ، فَلْيُصَلِّ أَرْبَعًا »، وفي رواية رواها مسلم: « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا ». قال البركوي في معنى هذا الحديث: من كان منكم أيها المكلفون بأداء الجمعة مريداً لأن يصلي بعد أداء فريضة الجمعة، فليصل أربع ركعات بتسليمة. ودل هذا الحديث على أن المؤكدة من هذه الستة بعد صلاة الجمعة أربع ركعات كما قال به أبو حنيفة ومحمد وعليه الشافعي في قول،

ثم لازم المسجد إلى المغرب أو إلى العصر، وكن حسن المراقبة للساعة الشريفة، فإنها مبهمة في جميع اليوم، فعساک أن تدركها وأنت خاشع لله تعالى متذلل متضرع. ولا تحضر في الجامع مجالس الحلق ولا مجالس القصاص، بل مجلس العلم النافع، وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالى، وينقص من رغبتك في الدنيا؛ فكل علم لا يدعوك من الدنيا إلى الآخرة فالجهل أعود عليك منه، فاستعد بالله من علم لا ينفع.



وعند أبي يوسف السنة المؤكدة بعد الجمعة ست ركعات: أربع ركعات سنة الجمعة، وثنان سنة الوقت؛ والأفضل أن يصلي أربعاً ثم ركعتين، انتهى. وعلى هذا فالركعتان الزائدتان على الأربعة من النوافل المؤقتة، لا من النوافل المطلقة.

(ثم لازم المسجد إلى المغرب) وهو الأفضل (أو إلى العصر) يقال: من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج، ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة. فإن خاف دخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه، أو خاف الخوض فيما لا يليق، فالأفضل أن يرجع إلى نيته (*) ذاكراً لله، مفكراً في آلائه، شاكراً لله تعالى على توفيقه، خائفاً من تقصيره، مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة. ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا.

(وكن حسن المراقبة) أي المرصاد (للساعة الشريفة، فإنها مبهمة في جميع اليوم) أي يوم الجمعة. (فعساک أن تدركها وأنت خاشع لله تعالى) أي مقبل إليه تعالى بقلبك (متذلل) أي خاضع (متضرع) أي مخلص الدعاء.

(ولا تحضر في الجامع مجالس الحلق) بكسر الحاء المهملة وفتح اللام أو بفتحهما على غير قياس، جمع حلقة بفتح الحاء وسكون اللام. وروى عبد الله ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة، إلا أن يكون فيه عالم بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغة فيجلس إليه ليكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع، واستماع النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل.

(ولا) تحضر في الجامع (مجالس القصاص) فلا خير في كلامهم، (بل) احضر (مجلس العلم النافع) بكرة أو بعد العصر (وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في الدنيا) فقد روى أبو ذر: أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة. (فكل علم لا يدعوك من الدنيا إلى الآخرة فالجهل أعود) أي أنفع (عليك منه) أي من ذلك العلم، (فاستعد بالله من علم لا ينفع) وقل: اللهم إني أعود بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع، ونفس لا تشيع، وعمل لا يرفع، ودعاء لا يسمع.

(*) كذا في النسخ المطبوعة، وفي الإحياء بالباه أي: بيته.

وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس، وعند الزوال، وعند الغروب، وعند الإقامة، وعند صعود الخطيب المنبر، وعند قيام الناس إلى الصلاة، فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الأوقات. واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وإن قل فتجتمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط. واجعل هذا اليوم من الأسبوع خاصة لآخرتك، فعساه أن يكون كفارة لبقية الأسبوع.



(وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس، وعند الزوال، وعند الغروب، وعند الإقامة، وعند صعود الخطيب المنبر، وعند قيام الناس إلى الصلاة) فلا ينبغي أن تخلو في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيك الساعة الشريفة وأنت في خير، ولا بأس أن تدعو بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك فقهاً في الدين، وزيادة في العلم، وكفاية في الرزق، وعافية وصحة في البدن، وتوبة قبل الموت، وراحة عند الموت، ومغفرة بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين ويا خير المستولين. (فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الأوقات) فالعلماء اختلفوا فيها على أقوال، فقيل: أخفاها الله تعالى في اليوم، وقيل: هي أول النهار، وقيل: في آخره وهو قول الأكثرين. قال النووي: والصواب ما ثبت في حديث مسلم أن النبي ﷺ قال: « هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمُنْبَرِ إِلَى أَنْ يُسَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ ». وظاهر هذا الحديث أنه يطلب الدعاء حال التلبس بالخطبة وهو مشكل بالأمر بالإنصات حال الخطبة؟ وأجاب البلقيني عن هذا الإشكال: بأنه ليس من شروط الدعاء التلطف بل استحضر ذلك بقلبه كاف في ذلك. وقال الحليمي: إن الدعاء يكون إذا جلس الإمام قبل أن يفتتح الخطبة، أو بين الخطبتين، أو بين الخطبة الثانية والصلاة، أو في الصلاة بعد التشهد. وما قاله الحليمي أظهر، كذا نقله البجيرمي عن الأجهوري.

(واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وإن قل) فإن الصدقة فيه تتضاعف، (فتجتمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط) أي انتظار الصلاة بعد الصلاة، أي إذا أتيت بجميع المذكور. وقال بعض السلف: من أطمع مسكيناً يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤاخذ أحداً، ثم قال حين يسلم الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا بما بدا له، استجيب له.

(واجعل هذا اليوم من الأسبوع) بضم الهمزة (خاصة لآخرتك) فكف فيه عن جميع أشغال الدنيا، وأكثر فيه الأوراد، (فعساه أن يكون) أي هذا اليوم (كفارة لبقية الأسبوع) وبالجملة ينبغي أن يزيد مرید الوصول إلى الله تعالى في أوراده وأنواع خيراته، فإن الله تعالى إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال، وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسوء الأعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة.

آداب الصيام

لا ينبغي أن تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفرائد، فتتحسر إذا نظرت إلى منازل الصائمين كما تنظر إلى الكواكب الدرية وهم في أعلى عليين. والأيام الفاضلة التي شهدت الأخبار بشرفها وفضلها وبجزالة الثواب في صيامها يوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء، والعشر الأول من ذي الحجة،

آداب الصيام



وهو لجام المتقين ورياض الأبرار والمقربين. (لا ينبغي) أي لا يليق (أن تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفرائد) جمع فردوس وهي أعلى الجنة وأوسطها، وقال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. (فتتحسر) بالحاء المهملة أي فتتلهف. (إذا نظرت إلى منازل الصائمين كما تنظر إلى الكواكب الدرية) بتثنية الدال أي المضيئة، (وهم في أعلى عليين) وفي الخبر: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»، وفيه أيضًا: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الضَّحَى، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ: أَيُّنَ الَّذِينَ كَانُوا يُلِيمُونَ صَلَاةَ الضَّحَى؟ هَذَا بِأَبْكُمْ فَأَدْخُلُوهُ»، وفيه أيضًا: «فِي الْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ: الْفَرْحُ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا مُفْرِحُ الصَّبِيَّانِ».

والحاصل أن كل من أكثر نوعًا من العبادة خص بباب يناسبه، ينادى منه جزاءً وفاقًا. وكل من يجتمع له العمل بجميع أنواع الطاعات يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم، والدخول لا يكون إلا من باب واحد وهو باب العمل الذي يكون غلب عليه.

واعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة. وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، وبعضها يوجد في كل شهر، وبعضها في كل أسبوع.

(و) أما (الأيام الفاضلة التي) توجد في كل سنة التي (شهدت الأخبار بشرفها وفضلها وبجزالة الثواب) أي كثرته (في صيامها) بعد أيام رمضان، فهو: (يوم عرفة) وهو تاسع ذي الحجة، فيسن صومه (لغير الحاج) وأما الحاج فيسن له فطره، وصومه خلاف الأولى إن كان يصل عرفة نهارًا، فإن كان يصلها ليلة التاسع فلا كراهة ولا خلاف الأولى. وهو أفضل الأيام لأن صومه يكفر سنتين من الصغائر. (ويوم عاشوراء) بالمد وقد يقصر وهو عاشر المحرم، فإن صومه يكفر السنة الماضية. (والعشر الأول من ذي الحجة) وفي الخبر: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ فِيهِنَّ أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ

والعشر الأول من المحرم، ورجب وشعبان. وصوم الأشهر الحرم من الفضائل وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، واحد فرد وثلاثة سرد. وهذه في السنة، وأما في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره، والأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وأما في الأسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة.....

ذِي الْحِجَّةِ، إِنَّ صَوْمَ يَوْمٍ مِنْهُ يَعْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ، وَقِيَامَ لَيْلَةٍ مِنْهُ يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ». (والعشر الأول من المحرم) وفي الخبر: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» أي وذلك بالنسبة لغير عرفة وبالنسبة لغير صلاة الرواتب. (ورجب وشعبان) وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان، وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى يظن أنه في رمضان. وفي الخبر: «إِذَا كَانَ النِّصْفَ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا صَوْمَ حَتَّى رَمَضَانَ».

(وصوم الأشهر الحرم من الفضائل) لأنها أوقات فاضلة، (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب؛ واحد فرد) وهو رجب، (وثلاثة سرد) أي متتابعة وهو الباقي. (وهذه الأيام الفاضلة (في السنة) وأفضلها للصوم بعد رمضان المحرم ثم رجب ثم الحجة ثم القعدة ثم شعبان، ونظم الجيرمي ترتيب الأفضلية في الشهور [من بحر الرجز] فقال:

وَأَفْضَلُ الشُّهُورِ بِالإِطْلَاقِ * شَهْرُ الصِّيَامِ فَهُوَ ذُو السَّبَّاقِ
فَشَهْرُ رَبِّنَا هُوَ الْمُحَرَّمُ * فَرَجَبٌ فَالْحِجَّةُ الْمُعَظَّمُ
فَقَعْدَةٌ فَبَعْدَهُ شَعْبَانُ * وَكُلُّ ذَا جَاءَ بِهِ الْبَيَانُ

(وأما) الأيام الفاضلة التي تكرر (في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره) قال ابن حجر: ويسن صوم أيام السود خوفاً من ظلمة الذنوب، وهي السابع أو الثامن وتاليه، فإن بدأ بالثامن ونقص الشهر صام أول تاليه، وحينئذ يقع صومه عن أول الشهر أيضاً، فإنه يسن صوم ثلاثة أول كل شهر. (والأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) وفي ذي الحجة يبدل الثالث عشر بالسادس عشر أو بيوم بعده.

(وأما) الأيام الفاضلة (في الأسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة) فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها، لأن النبي ﷺ كان يتحرى صوم الاثنين والخميس، وقال: «إِنَّهُمَا يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ، فَأَحَبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ». أي تعرض على الله فيهما أعمال الأسبوع إجمالاً، فأحب أن يعرض عملي وأنا قريب من زمن الصوم، لأن العرض بعد الغروب. وفائدة العرض إظهار العدل وإقامة الحجة إذ لا يخفى على الله شيء. وتعرض الأعمال على الأبناء والآباء والأمهات

فتكفر ذنوب الأسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة، وتكفر ذنوب الشهر باليوم الأول من الشهر واليوم الأوسط واليوم الآخر والأيام البيض، وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الأيام والأشهر المذكورة. ولا تظن إذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط، فقد قال ﷺ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»، بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالى.



يوم الجمعة، وعلى النبي ﷺ سائر الأيام، وتعرض على الله أعمال العالم إجمالاً ليلة النصف من شعبان وليلة القدر؛ وأما عرضها تفصيلاً فيرفع الملائكة لها بالليل مرة والنهار مرة.

ويكره إفراد يوم الجمعة بالصوم بلا سبب بأن كان نفلاً مطلقاً، وإنما نهى عن صومه مفرداً لأنه يوم عبادة وتبكير وذكر وغسل واجتماع فيسن فطره معاونة عليها، كما نقله البجيرمي عن النووي، وفي الخبر الذي رواه البيهقي والحاكم: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ عِيدٌ وَذِكْرٌ، فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيَامِكُمْ، وَلَكِنْ اجْعَلُوهُ يَوْمَ فِطْرٍ وَذِكْرٍ، إِلَّا أَنْ تَخْلُطُوهُ بِأَيَّامٍ».

(فتكفر ذنوب الأسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة، وتكفر ذنوب الشهر باليوم الأول من الشهر واليوم الأوسط واليوم الآخر والأيام الثلاثة (البيض)، وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الأيام) أي المذكورة (و) صيام (الأشهر المذكورة) أي التي تتكرر في السنة.

وسكت المصنف عن صوم ستة من شوال، فإنه يطلب صوم ستة أيام من شوال وإن لم يعلم بها أو نفلها، أو صامها عن نذر أو نفل آخر أو قضاء عن رمضان أو غيره. نعم، لو صام شوالاً قضاء عن رمضان وقصد تأخيرها عنه لم تحصل معه، فيصومها من القعدة، وقال ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» أي من صام رمضان في كل سنة وأتبعه ستاً من شوال كذلك كان كصيام الدهر أي السنة فرضاً بلا مضاعفة، وأما من صام شهراً وستة غيرها كل سنة يكون كصيام الدهر نفلاً بلا مضاعفة.

تنبيه: قد يوجد للصوم سببان كوقوع عرفة وعاشوراء يوم اثنين أو خميس، وكوقوعهما في ستة شوال، فيتأكد صوم ما له سببان رعاية لكل منهما، فإن نواهما حصلاً كالصدقة على القريب صدقة وصلة، وكذا لو نوى أحدهما كما أفاد ذلك كله البجيرمي.

(ولا تظن) أيها المكلف (إذا صمت أن الصوم هو) كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وهو (ترك الطعام والشراب والوقاع فقط، فقد قال ﷺ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»)

أي بسبب عدم كف الجوارح عن المكاره، وقال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» أي في صيامه. (بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها) من السمع والبصر واللسان واليد والرجل وغيرهما (عما يكره الله تعالى) من الآثام وذلك صوم الصالحين المسمى صوم الخصوص، فيكون تمام الصيام بخمسة أمور:

بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المكاره، واللسان عن النطق بما لا يعينك، والأذن عن الاستماع إلى ما حرمه الله تعالى، فإن المستمع شريك للقائل وهو أحد المغتائبين؛ وكذلك تكف جميع الجوارح كما تكف البطن والفرج، ففي الخبر: « خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ: الكَذْبُ، وَالْغَيْبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالْيَمِينُ الكَاذِبَةُ، وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ ». وقال ﷺ: « إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ،



الأول مذكور بقوله: (بل ينبغي أن تحفظ العين عن) الاتساع في (النظر إلى المكاره)

وإلى كل ما يشغل القلب عن ذكر الله تعالى. قال ﷺ: « النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَمَنْ تَرَكَهُ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آتَاهُ اللَّهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ ».

والثاني مذكور بقوله: (واللسان عن النطق بما لا يعينك) بفتح الياء وسكون العين أي لا يهملك، والذي يهمل الإنسان ما يتعلق بسلامته في المعاد، وبضرورة حياته في معاشه فيما يشبعه من جوع، ويرويه من عطش، ويستتر عورته، ويعف فرجه، ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ واستمتاع.

والثالث مذكور بقوله: (والأذن عن الاستماع إلى ما حرمه الله تعالى، فإن المستمع شريك للقائل) لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه، ولذلك سوى الله تعالى بين السمع وأكل السحت، فقال تعالى: ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾^(١). (وهو أحد المغتائبين) لأن السكوت على الغيبة حرام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴾^(٢)، وقال ﷺ: « الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمَعُ شَرِيكَانِ فِي الْإِثْمِ ». (وكذلك تكف جميع الجوارح) عن كل ما يذم شرعاً (كما تكف البطن والفرج) عن قضاء شهواتهما.

(ففي الخبر) الذي رواه جابر عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: « خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ: الكَذْبُ، وَالْغَيْبَةُ، بِكسر الغين، (وَالنَّمِيمَةُ) وهي السعي بين الناس بالإفساد، (وَالْيَمِينُ الكَاذِبَةُ) وهو المسمى باليمين الغموس، (وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ) » أي إلى محرم. وقوله: يفطرن بتشديد الطاء أي المذكورات، أي ييطان الصوم حقيقة على ما ذهب إليه السيدة عائشة والإمام أحمد ومذهب الشافعي وأصحابه أن هذه تبطل ثواب الصوم لا نفس الصوم، ومعنى يفطرن الصائم: يذهبن ثواب الصائم كما يذهب الفطر في النهار الصيام. وروى أبو الفتح الأزدي والديلمي عن أنس بإسناد فيه كذاب هذا الخبر: « خَمْسٌ خِصَالٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ وَيَنْقُضْنَ الوُضُوءَ: الكَذْبُ وَالْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ وَالْيَمِينُ الكَاذِبَةُ ». وهذا ورد على طريق الزجر عن فعل المذكورات، وليس المراد الحقيقة، كذا أفاده العزيزي.

(وقال ﷺ: « إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ » بضم الجيم وتشديد النون أي وقاية، قيل: من المعاصي، لكونه

(٢) سورة النساء [٤] الآية: ١٤٠

(١) سورة المائدة [٥] الآية: ٤٢

فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرُفُثُ وَلَا يَفْسُقُ وَلَا يَجْهَلُ؛ فَإِنْ أَمَرُوْهُ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ». ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال، ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة، فلا فرق إذا استوفيت ما تعتاد أن تأكله دفعتين في دفعة واحدة. وإنما المقصود بالصيام كسر شهوتك، وتضعيف قوتك لتقوي بها على التقوى. فإذا أكلت عشيّة ما تداركت به ما فاتك ضحوة فلا فائدة في صومك، وقد ثقلت عليك معدتك،



يكسر الشهوات ويضعفها. وقيل: من النار، لأنه إمساك عن الشهوات. (فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرُفُثُ) بالمثلثة وتثليث الفاء أي لا يفحش الصائم في الكلام. (وَلَا يَفْسُقُ) أي لا يخرج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات. (وَلَا يَجْهَلُ) أي لا يفعل فعل الجهال كالصياح والسخرية أو سفه على أحد. (فَإِنْ أَمَرُوْهُ قَاتَلَهُ) أي أراد مقاتلته (أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ) بقلبه إن كان صيامه نفلًا، وبلسانه وبقلمه إن كان في رمضان، كذا أفاده العزيري. (إِنِّي صَائِمٌ) مرتين أو ثلاثًا ليكف نفسه عن المقاتلة والمشاتمة، كذا أفاده العزيري.

والرابع مذكور بقوله: (ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال) فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال إذا أفطر بالطعام الحرام، فهو مثل من بيني قصرًا ويهدم مصرًا.

والخامس مذكور بقوله: (ولا تستكثر) أي من الطعام الحلال وقت الإفطار (فتزيد) في الأكل لأجل صيامك (على ما تأكله كل ليلة) أي في غير أيام الصيام، (فلا فرق) بين كونك مفطرًا وكونك صائمًا (إذا استوفيت) أي أديت (ما تعتاد أن تأكله دفعتين) بفتح الدال أي مرتين مرة في النهار ومرة في الليل (في دفعة واحدة) وقت الإفطار.

(وإنما المقصود بالصيام كسر شهوتك وتضعيف قوتك) أي عن المعاصي (لتقوى بها) أي بقوتك (على التقوى) لله تعالى. (فإذا أكلت عشيّة) أي بعد الغروب (ما) أي طعامًا (تداركت به ما فاتك ضحوة) بأن جمعت ما كنت تأكل ضحوة إلى ما كنت تأكل ليلاً، (فلا فائدة في صومك) أي فلا تنتفع بصومك في كسر الشهوة، وهذا جواب إذا، أي إن من آداب الصوم أن لا تشبع الشبع الكامل قط، لا سيما في ليالي رمضان، فإن الأولى النقص فيها عن مقدار ما كنت تأكله في غيرها، وذلك لأنه شهر الجوع. ومن شبع في عشائه وسحوره فكأنه لم يصم رمضان، وحكمه حكم المفطر من حيث الأثر المشروع له الصوم وهو إضعاف الشهوة المضيق لمجاري الشيطان في البدن، وهذا الأمر بعيد على من شبع من اللحم والمرق. إلا إذا كان من يصوم شخصًا يتعاطى في النهار الأعمال الشاقة أو امرأة مرضعة، فإن ذلك لا يضره إن شاء الله تعالى. وقد قالوا: من أحكم الجوع في رمضان حُفِظَ من الشيطان إلى رمضان الآتي، لأن الصوم جنة على بدن الصائم ما لم يخرقه شيء، فإذا خرقه دخل الشيطان له من الخرق، كذا نقله البجيرمي عن الشعراني. (وقد ثقلت عليك معدتك) بسبب تداركك عند فطرك ما

وما وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن مليء من حلال، فكيف إذا ملئ من حرام؟ فإذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت، فإنه أساس العبادات ومفتاح القربات. قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرٍ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: إِنَّمَا يَذُرُّ.....»



فاتك من الطعام ضحوة النهار، (وما وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن مليء من حلال) كما في الحديث، لأن امتلاءه من الطعام يفضي إلى فساد الدين والدنيا، فغالب الأمراض تنشأ عن كثرة الأكل وإدخال الطعام في البدن قبل هضم الأول، كذا قال العريزي. (فكيف) أي فما بالك (إذا ملئ) البطن (من حرام؟).

(فإذا عرفت معنى الصوم) من تصفية القلب وقمع الشهوات (فاستكثر منه ما استطعت، فإنه أساس العبادات) أي أصلها (ومفتاح القربات) كما قال ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ بَابٌ، وَبَابُ الْعِبَادَةِ الصَّوْمُ». قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى) في الحديث القدسي: (كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرٍ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ) بكسر الضاد (إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي) بفتح الهمزة وسكون الياء (به) أي الصوم، والمعنى: أن العبادات قد كشف مقادير ثوابها للناس، وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم فإن الله تعالى تفرد بمقدار علم ثوابه وتضعيف حسناته. فقولته: وأنا أجزي به أي أجزي جزاء كثيراً من غير تعيين لمقداره، وقيل: معناه أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي.

(وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) أي روعي بقدرته وتصريفه، كذا أفاده العريزي. وقال البركوي: والذي جار ومجرور متعلق بأقسام المقدر، ونفسي مبتدأ، وبیده ظرف، مستقر خبره، والجملة صلة الموصول، واللام في لخلوف جوايبة، والمعنى: والله الذي روعي في قبضة قدرته. (لَخُلُوفٌ) بضم الخاء المعجمة واللام (فَمِ الصَّائِمِ) أي لرائحة فم الصائم لخلو معدته من الطعام (أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) والمعنى: أن الخلوف أكثر ثواباً من المسك المندوب إليه في الجمع ومجالس الذكر، ورجح هذا المعنى النووي ويحمل معنى الطيب على القبول والرضا. وقال الماوردي: المعنى: أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أي يقرب إليه أكثر من تقرب المسك إليكم. وقال بعضهم: إن للطاعات يوم القيامة ريحاً يفوح، فرائحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك، وهذا كما ورد في الحديث: «الْمُحْرَمُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا» وكما روي: أنه يبعث الزامر وتتعلق زمارته في يده ويلقيها وتعود إليه فلا تفارقه.

(يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ) من زائدة وقائل حال من فاعل عز. (إِنَّمَا يَذُرُّ) أي يترك كما في

شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، فَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، وقال ﷺ: «لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ: الرِّيَّانُ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ». فهذا القدر من شرح الطاعات يكفيك من بداية الهداية. فإذا احتجت إلى الزكاة والحج أو إلى مزيد لشرح الصلاة والصيام فاطلبه مما أوردناه في كتابنا إحياء علوم الدين.



رواية. (شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) قال بعضهم: قوله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى» عجز حديث للإمام أحمد عن مالك، ومبدؤه قوله ﷺ للرجل الذي سأله عن أفضل الأعمال: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى» إلى آخره. (مِنْ أَجْلِي، فَالصَّوْمُ لِي) أي خالص لي فلا يدخله رياء بمجرد فعله لأنه لا يطلع عليه ابن آدم، وإلا فقد يدخله الرياء بأن يخبر بأنه صائم. (وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) ومن المعلوم أن الكريم إذا تولى الإعطاء بنفسه كان ذلك إشارة إلى تعظيم العطاء، ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب. واتفق على أن الصائم هنا من سلم صيامه من المعاصي، كذا نقل عن القسطلاني. (وقال ﷺ: «لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ: الرِّيَّانُ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ») وهو موعود بقاء الله تعالى في جزاء صومه.

(فهذا القدر من شرح الطاعات) أي بيانها (يكفيك من بداية الهداية). فإذا احتجت إلى الزكاة والحج أو إلى مزيد لشرح الصلاة والصيام، فاطلبه أي خذ ما تحتاجه (مما أوردناه) أي ذكرناه (في كتابنا إحياء علوم الدين) وشرح الصلاة والصيام قد وجد في هذا الشرح، بعضه من كتاب الإحياء وبعضه من كتب شتى.

القسم الثاني: القول في اجتناب المعاصي

اعلم أن للدين شطرين؛ أحدهما: ترك المناهي، والآخر: فعل الطاعات. وترك المناهي هو الأشد، فإن الطاعات يقدر عليها كل أحد، وترك الشهوات لا يقدر عليه إلا الصديقون. فلذلك قال رسول الله ﷺ: « الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ ». واعلم أنك إنما تعصي الله بجوارحك، وهي نعمة من الله عليك وأمانة لديك. فاستعانتك بنعمة الله على معصية غاية الكفران، وخيانتك في أمانة استودعكها الله تعالى غاية الطغيان، فأعضاؤك رعاياك،

(القسم الثاني) من قسمي ظاهر علم التقوى هو (القول في اجتناب المعاصي) أي ظاهراً وباطناً



(اعلم أن للدين شطرين) أي جزئين؛ (أحدهما: ترك المناهي، والآخر: فعل الطاعات) وهو ما تقدم ذكره. (وترك المناهي هو الأشد) أي أثقل وأصعب من فعل الطاعات، ولذلك كان أكثر ثواباً منه. (فإن الطاعات) الفاء للتعليل (يقدر عليها) أي على فعلها (كل أحد، وترك الشهوات) القلبية والبدنية والفرجية (لا يقدر عليه) أي ترك الشهوات (إلا الصديقون) وهم الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقبي النظر في الحجج والآيات، وأخرى بمعارض التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليه.

(فلذلك قال رسول الله ﷺ: « الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ » أي تركه) (وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ) أي من زجر نفسه عن اتباع شهواته بالصبر والتوطين على إثارة الخير، وفي رواية الترمذي وابن حبان: « الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ » أي قهر نفسه الأمانة بالسوء على فعل الطاعة وتجنب المعصية، وجهادها أصل كل جهاد، فإنه لو لم يجاهدها لم يمكنه جهاد العدو، كذا أفاده العريزي. وجنود النفس عشرة: الحرص، والشهوة، والشح، والرغبة، والزيغ، والقسوة، وسوء الخلق، والأمل، والطمع، والكسل. وجنود الهوى عشرة أيضاً: الحسد، والتجبر، والعجب، والكبر، والغل، والمكر، والسوسة، والمخالفة في الأمر، وسوء الظن، والجدال، كذا أفاده الهمداني.

(واعلم أنك إنما تعصي الله بجوارحك) أي أعضائك التي تكتسب بها، (وهي) أي الجوارح (نعمة من) نعم (الله) تعالى (عليك، وأمانة) أي وديعة (لديك) لتحفظها عما نهى الله عنه. (فاستعانتك بنعمة الله) أي التي هي الجوارح (على معصية غاية الكفران) أي الجحود بالنعمة، وهو ضد الشكر. (وخيانتك في أمانة) حيث استعملتها في غير مآذون (استودعكها الله تعالى) أي جعلها لله تعالى وديعة عندك (غاية الطغيان) أي غاية مجاوزة في العصيان. (فأعضاؤك رعاياك) أي تحت نظرك، والرعايا جمع

فانظر كيف ترعاها « فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ». واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة، بلسان طلق ذلك، تفضحك به على رعوس الخلائق. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.....



رعية كخطايا جمع خطيئة. (فانظر كيف ترعاها) أي تحفظها بقيام حرقها. (فَكُلُّكُمْ) يا معشر بني آدم (راعٍ) أي حافظ على ما عنده (وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ) يوم القيامة (عَنْ رَعِيَّتِهِ) بتشديد الياء. « وَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » كذا في الزواجر. وما أحسن قول القائل [من بحر الوافر]:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مُتْنَا تُرِكْنَا * لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مُتْنَا بُعِثْنَا * وَنُسْئَلُ بَعْدَ ذَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

(واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة) أي أماكنها (بلسان طلق ذلك) أي فصيح عذب المنطق، (تفضحك) أي تكشف الأعضاء مساويك (به) أي بذلك اللسان (على رعوس الخلائق) أي أعينهم، وفي نسخة: على ملا من الخلق. (قال الله تعالى) في سورة النور: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) أي من قول وفعل وهو يوم القيامة، فإنه تعالى يوفيهم جزاءهم الحق.

(وقال الله تعالى) في سورة يس: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ﴾ أي نسد ﴿عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ أي بما عملوا إقراراً هو أعظم شهادة. ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ أي عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة إقرار ﴿بِمَا كَانُوا﴾ أي في الدنيا بجلاّتهم ﴿يَكْسِبُونَ﴾^(٢) فكل عضو ينطق بما صدر منه. وفي كيفية هذا الختم وجهان، أقواهما: أن الله تعالى يسكت ألسنتهم وينطق جوارحهم فتشهد عليهم، وأن ذلك في قدرة الله تعالى يسير. أما الإسكات فلا خفاء فيه، وأما الإنطاق فإن اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره بمثلها، والله تعالى قادر على كل الممكنات؛ والوجه الآخر: أنهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع أعضائهم وانتهاك أستارهم، فيقفون ناكسي الرعوس لا يجدون أعداراً فيعتذرون، ولا مجال توبة فيستغفرون، وتكلم الأيدي هو ظهور الأمر بحيث لا يسمع منه الإنكار. والصحيح الأول، كذا في السراج المنير.

فاحفظ يا مسكين جميع بدنك من المعاصي، وخصوصاً أعضائك السبعة. فإن جهنم لها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم، ولا يتعين لتلك الأبواب إلا من عصى الله تعالى بهذه الأعضاء السبعة، وهي: العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل. أما العين، فإنما خلقت لك لتتهدي بها في الظلمات، وتستعين بها في الحاجات، وتنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض والسماوات، وتعتبر بما فيها من الآيات؛



(فاحفظ يا مسكين جميع بدنك من المعاصي، وخصوصاً أعضائك السبعة) التي سيأتي بيانها، (فإن جهنم لها سبعة أبواب) بعضها فوق بعض أي سبع طبقات. قال ابن جريح: النار سبع دركات: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وتخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع فرق، وأيضاً أنه على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل، لأنها مصادر السيئات. فكانت موارد الأبواب السبعة؛ ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية، والنية من أعمال القلب، زادت الأعضاء واحداً، فجعلت أبواب الجنان ثمانية. (لكل باب) من السبعة (منهم) أي الغاوين خاصة لا يشاركهم فيه مخلص (جزء) أي نصيب (مقسوم) أي معلوم، فلكل دركة قوم يسكنونها. قال الضحاك: في الدركة الأولى: أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، وفي الثانية: النصارى، وفي الثالثة: اليهود، وفي الرابعة: الصابئون، وفي الخامسة: المجوس، وفي السادسة: أهل الشرك، وفي السابعة: المنافقون. وروي عن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لِحِجَّتِهِمْ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِي » كذا في السراج المنير.

(ولا يتعين لتلك الأبواب) السبعة (إلا من عصى الله تعالى بهذه الأعضاء السبعة، وهي: العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل) وكل واحد من هذه نعمة، يجب على صاحبها أداء شكره باستعماله في طاعة الله تعالى.

(أما العين فإنما خلقت لك لتتهدي بها في الظلمات، وتستعين بها في الحاجات، وتنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض والسماوات، وتعتبر) أي تتعظ وتتذكر (بما فيها) أي عجائب الملكوت (من الآيات) أي الدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) أي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون، لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة.

فاحفظها عن أربع: أن تنظر بها إلى غير محرم، أو إلى صورة مليحة ولا بشهوة نفس، أو تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار، أو تطلع بها على عيب مسلم. وأما الأذن فاحفظها عن أن تصغي بها إلى البدعة أو الغيبة أو الفحش أو الخوض في الباطل أو ذكر مساوي الناس. فإنما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة



(فاحفظها عن أربع: أن تنظر بها إلى غير محرم) من النساء الأجنبية جميع بدنهن حتى العين والشعر والظفر وغير ذلك، كذا الالتذاذ بقدها؛ ولا بأس بالتأمل في جسدها وعليها ثياب ما لم يكن ثوب يبين حجمها، وإلا فلا ينظر إليه، لقوله عليه الصلاة والسلام: « مَنْ تَأَمَّلَ خَلْفَ أَمْرَأَةٍ وَرَأَى تَيَابِهَا حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُ حَجْمُ عِظَامِهَا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ». وإلى العورات ولو من محرم؛ ولا حرج على من سبق نظره إلى رؤيتها من غير قصد في المرة الأولى بخلاف ما لو أعادها، كما قاله الرملي. (أو إلى صورة) أي صورة كانت من (مليحة ولا بشهوة نفس) وروي أن قوماً قدموا على النبي ﷺ وكان فيهم أمرد حسن، فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره، وقال: « إِنَّمَا كَانَتْ فِتْنَةٌ دَاوُدَ مِنْ النَّظْرِ »، وكان يقال: « النَّظْرُ بَرِيدُ الزَّيْنِ ». (أو تنظر بها) أي العين (إلى مسلم بعين الاحتقار، أو تطلع بها على عيب مسلم) قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (١) وقال بعضهم لمن بحر البسيط:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظْرِ * وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغِرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا * فِي أَعْيُنِ الْغَيْدِ مَوْثُوفٌ عَلَى الْخَطْرِ
كَمْ نَظْرَةٌ فَعَلَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا * فِعْلَ السَّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ
يَسْرٌ نَظْرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرُهُ * لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرْرِ

وقال بعضهم رحمه الله تعالى:

الْمَرْءُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعًا * أَشْغَلَهُ عَنِ عُيُوبِهِمْ وَرَعُهُ
كَمَا الْعَلِيلُ السَّقِيمُ أَشْغَلَهُ * عَنِ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهُ

(وأما الأذن فاحفظها عن أن تصغي بها إلى البدعة) كالغناء وآلة اللهو كالطنبور والعود والمزمار وغير ذلك. (أو) إلى (الغيبة أو) إلى (الفحش) كإفشاء سر زوجته وهي سره بأن يذكر كل منهما ما يقع بينهما من تفاصيل الجماع ونحوها مما يخفى. (أو) إلى (الخوض في الباطل) أي إيجاد الكلام في غير موافقه. (أو) إلى (ذكر مساوي الناس. فإنما خلقت) أي الأذن (لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة

رسول الله ﷺ وحكمة أوليائه، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين. فإذا أصغيت بها إلى شيء من المكاره صار ما كان لك عليك، وانقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاكك، وهذا غاية الخسران. ولا تظن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع، ففي الخبر: «إِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ». وأما اللسان فإنما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه، وترشد به خلق الله تعالى إلى طريقه، وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك. فإذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه. وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق،



رسول الله ﷺ وحكمة أوليائه، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار) بكسر الجيم (رب العالمين).

فإذا أصغيت بها إلى شيء من المكاره صار ما كان) نافعا (لك) ضارا (عليك، وانقلب ما كان سبب فوزك) بالثواب (سبب هلاكك) بحصول العقاب إن لم تتب. (وهذا) أي الصيرورة والانتقال (غاية الخسران. ولا تظن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع، ففي الخبر: «إِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ» أي في الإثم (وهو أحد المغتابين) وفي ذلك يقول القائل [من بحر المتقارب]:

وَسَمِعُكَ صُنْ عَن سَمَاعِ الْقَبِيحِ * كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النَّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقَبِيحِ * شَرِيكَ لِقَائِلِهِ فَأَنْتَبِهِ

قال النووي: ولا بد من كراهة نحو الغيبة بقوله إن خاف ضرراً ظاهراً في نهيهِ باليد أو باللسان، ومتى اضطر إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه نحو الغيبة وعجز عن الإنكار، أو أنكرك فلم يقبل منه ولم يمكنه المفارقة بطريق، حرم عليه الاستماع والإصغاء له؛ بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه أو بقلبه، أو يفكر في أمر آخر ليشغل عن استماعها، ولا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة. فإن تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرين في الغيبة ونحوها وجب عليه المفارقة. وروي عن إبراهيم أنه دعي إلى وليمة فحضر، فذكروا رجلاً لم يأتهم فقالوا: إنه ثقيل، فقال إبراهيم: أنا قد فعلت هذا لنفسي حين حضرت موضعاً يغتاب فيه الناس، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام. انتهى.

(وأما اللسان فإنما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه) وفي نسخة: تلاوة القرآن، (وترشد به) أي اللسان (خلق الله تعالى إلى طريقه) أي دينه الحق الذي سلكه رسول الله ﷺ وأصحابه، (وتظهر به ما في ضميرك) أي باطنك (من حاجات دينك ودنياك. فإذا استعملته) أي اللسان (في غير ما خلق) أي اللسان (له فقد كفرت) أي جحدت (نعمة الله تعالى فيه، وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق) قال بعضهم [نظماً من بحر الكامل]:

ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم. فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكبك في قعر جهنم، ففي الخبر: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا أَصْحَابُهُ فَيَهْوِي بِهَا فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا». وروي أنه قتل شهيد في المعركة على عهد رسول الله ﷺ، فقال قائل:



أَحْفَظُ لِسَانَكَ وَأَسْتَعِذُ مِنْ شَرِّهِ * إِنَّ اللِّسَانَ هُوَ العَدُوُّ الذَّابِحُ
وَزِنَ الكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ بِمَجْلِسٍ * وَزْنَا يَلُوحُ بِهِ الصَّوَابُ اللَّائِحُ
فَالصَّمْتُ مِنْ سَعْدِ السُّعُودِ بِمَطْلَعٍ * يَحْمِي الفَتَى والنُّطْقُ سَعْدُ الذَّابِحُ

وكان من دعاء داود عليه السلام: اللهم إني أسألك أربعة، وأعوذ بك من أربعة. فأما اللواتي أسألك فإني أسألك لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وبدناً صابراً، وزوجة تعينني في دنيائي وآخرتي؛ وأما اللواتي أعوذ بك منهن، فإني أعوذ بك من ولد يكون علي سداً، ومن امرأة تشيبيني قبل وقت المشيب، ومن مال يكون عذاباً لي ووبالاً علي، ومن جار إن رأى مني حسنة كتبتها وإن رأى سيئة أفشاها.

(ولا يكب الناس) بضم الكاف وهذا من النوادر، فإن ثلاثيه متعد ورباعيه لازم أي لا يلقي أكثر الناس (في النار) أي نار جهنم (على مناخرهم) جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها: ثقبه الأنف. (إلا حصائد) جمع حصيدة بمعنى محصودة (ألسنتهم) أي ما تكلمت الألسنة به من الإثم كالكذب والقذف والسب والنميمة وغير ذلك. وإضافة حصائد إلى الألسنة من إضافة اسم المفعول إلى فاعله أي محصودات الألسنة، شبه ما تكتسبه الألسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع في أن كلاً كسب وجمع، وشبه اللسان في تكلمه بذلك بحد المنجل الذي يحصد به الناس الزرع. وقال الشافعي رضي الله عنه [من بحر الكامل]:

أَحْفَظُ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ * لَا يَلْدَغَنَّكَ أَنَّهُ تُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ * كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

(فاستظهر) أي اطلب الغلبة واستعن (عليه) أي اللسان (بغاية قوتك حتى لا يكبك في قعر) أي نهاية أسفل (جهنم)، ففي الخبر: «إِنَّ الرَّجُلَ» أي الإنسان ذكراً كان أو أنثى (لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا أَصْحَابُهُ) والمراد ما فيه إيذاء مسلم ونحوه دون مجرد المزاح المباح (فَيَهْوِي بِهَا) أي يسقط بسببها (فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا) أي عامّاً لما فيها من الأوزار التي غفل عنها، أو إذا لم يتب عنها. والمراد أنه يكون دائماً في صعود وهوي، فالسبعين للتكثير لا للتحديد، كذا نقل العزيزي عن المناوي.

(وروي أنه) أي الشأن (قتل شهيد في المعركة) أي محل الحرب (على عهد رسول الله ﷺ) أي يوم أحد فوجد على بطنه صخرة من الجوع، (فقال قائل) أي شخص قائل وهو أم الفضل بعد أن

هنيئاً له بالجنة، فقال النبي ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَبْخُلُ بِمَا لَا يُعْنِيهِ». فاحفظ لسانك من ثمانية: الأول: الكذب. فاحفظ منه لسانك في الجدل والهزل، ولا تعود لسانك الكذب هزلاً فيتداعى إلى الجدل، والكذب من أمهات الكبائر.....



مسحت التراب عن وجهه: (هنيئاً له بالجنة) أي ثبت لهذا المقتول الظفر بالجنة حال كونه هنيئاً أي بلا مشقة في تحصيل الجنة. (فقال النبي ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَي شَيْءٍ يَجْعَلُكَ دَارِيَةً بِمَا لَهُ (لَعَلَّهُ) أَي هَذَا الْمَقْتُولُ (كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ) بفتح الياء وسكون العين وكسر النون، أي بما لا يهمه من أمر دنياه وعقباه (وَيَبْخُلُ بِمَا لَا يُعْنِيهِ)» بضم أوله وسكون المعجمة، أي من أقوال وأفعال وطلب رياسة وحب محمدة وأمثال ذلك مما يجلب له شرّاً ولا يذهب عنه ضرراً. وقوله: ويبخل، لعل الواو بمعنى أو، كذا في شرح الشفاء.

وذكر بعضهم أن الكلام أربعة أقسام: ضرر محض، ونفع محض، وضرر ومنفعة، ولا ضرر ولا منفعة. فالضرر المحض لا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة ولا تفي المنفعة بالضرر، وأما ما لا ضرر فيه ولا منفعة فهو فضول، والاشتغال به تضييع زمن وهو عين الخسران. فلا يبقى إلا القسم الواحد فيسقط ثلاثة أرباع الكلام، وفيه خطر إذا كان يجر ما فيه إثم من الرياء والتصنع ونحوهما. وقال لقمان لابنه: لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب. ومعناه كما قال ابن المبارك: لو كان الكلام في طاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب. وقال إبراهيم العتكي [من بحر البسيط]:

قَالُوا سُكُوتُكَ حَرَمًا فَقُلْتُ لَهُمْ * مَا قَدَّرَ اللَّهُ يَأْتِينِي بِأَلَا نَصَبٍ
وَلَوْ يَكُونُ كَلَامِي حِينَ أَنْشُرُهُ * مِنَ اللَّجِينِ لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ ذَهَبٍ

وقال بعضهم: في الصمت سبعة آلاف خير، وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات، في كل كلمة منها ألف: أولها: إن الصمت عبادة من غير عناء، والثاني: زينة من غير حلي، والثالث: هيبة من غير سلطان، والرابع: حصن من غير حافظ، والخامس: استغناء عن الاعتذار إلى الناس، والسادس: إراحة الكرام الكاتبين، والسابع: ستر لعيوبه، لأن الصمت زين للعالم وستر للجاهل. وقيل: ثلاثة أشياء تقسي القلب: الضحك من غير عجب، والأكل من غير جوع، والكلام من غير حاجة.

(فاحفظ لسانك من ثمانية أشياء؛

(الأول: الكذب) وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب. (فاحفظ منه) أي الكذب (لسانك في الجدل والهزل) أي المزاح، (ولا تعود لسانك الكذب هزلاً) أي لا تصير الكذب بالهزل للسانك عادة (فيتداعى إلى الجدل) وفي نسخة: فيدعوك إلى الكذب في الجدل. (والكذب من أمهات الكبائر) أي أصولها،

ثم إنك إذا عرفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك وتزدريك الأعين وتحتقرك. وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر إلى كذب غيرك وإلى نفرة نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك له. وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك، فإنك لا تدري قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة، فلا ترض لنفسك ذلك.



قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا». (ثم إنك إذا عرفت) بين الناس (بذلك) أي الكذب (سقطت عدالتك) فلا تقبل شهادتك (والثقة بقولك) أي وسقط الائتمان بقولك، (وتزدريك الأعين) أي ما تعدك شيئاً (وتحتقرك) وهذا عطف تفسير.

(وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر إلى كذب غيرك، وإلى نفرة) أي إعراض (نفسك عنه، واستحقارك لصاحبه) أي الكذب، (واستقباحك له) وفي نسخة: لما جاء به أي من الكذب. (وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك، فإنك لا تدري قبح عيوبك من نفسك بل) إنك تدري ذلك (من غيرك، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة) أي لا بد.

واعلم أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة إليه؛ وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يمكن بالصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً، وواجب إن كان المقصود واجباً. فإذا اختلفى مسلم من ظالم وسأل عنه وجب الكذب بإخفائه. وكذا لو كان عنده أو عند غيره ودعة وسأل عنها ظالم يريد أخذها وجب عليه الكذب بإخفائها، حتى لو أجبته بوديعة عنده فأخذها ظالم قهراً وجب ضمانها على المودع المخبر؛ ولو استخلفه عليها لزمه أن يحلف ويوري في يمينه، فإن حلف ولم يور حنث على الأصح ولزمته الكفارة، وقيل: لا يحنث. وكذلك لو كان المقصود تسكين حرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المعجني عليه في العفو عن الجناية ولا يحصل إلا بالكذب، فالكذب ليس بحرام. إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن، لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغني عنه، وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة. فيكون الكذب حراماً في الأصل، إلا لضرورة بأن لم يحصل الغرض إلا بالكذب؛ والاحتياط في هذا كله أن يوري. ومعنى التورية أن يقصد بعبارة مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ. ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الموضع، كذا في الأذكار والإحياء. (فلا ترض لنفسك ذلك) أي ما تقدم ذكره.

الثاني: الخلف في الوعد. فإياك أن تعد بشيء ولا تفي به، بل ينبغي أن يكون إحسانك إلى الناس فعلاً بلا قول. فإن اضطرت إلى الوعد فإياك أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة، فإن ذلك من أمارات النفاق وخبائث الأخلاق. قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ». الثالث: الغيبة، فاحفظ لسانك عنها. والغيبة أشد من ثلاثين زنية في الإسلام، كذلك ورد في الخبر. ومعنى الغيبة: أن تذكر إنساناً بما يكرهه لو سمعه، فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقاً. وإياك وغيبة القراء المرثيين، وهو: أن تفهم المقصود من غير تصريح،



(الثاني: الخلف في الوعد. فإياك أن تعد بشيء ولا تفي به، بل ينبغي أن يكون إحسانك إلى الناس فعلاً بلا قول. فإن اضطرت إلى الوعد فإياك أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة، فإن ذلك) أي الإخلاف من غير ضرورة (من أمارات النفاق وخبائث الأخلاق. قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ أَي اجتمعن (فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ) أَي حاله يشبه حال المنافقين (وَإِنْ صَامَ) أَي رمضان (وَصَلَّى) الصلاة المفروضة، وزاد بعد ذلك في رواية أبي يعلى ورسته بضم الراء: «وَحَجَّ وَأَعْتَمَرَ وَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ». (مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ) أَي في حديثه، (وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ) أَي ما وعد به من غير عذر، (وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ») فيما جعل أميناً عليه. وقال العريزي: والكلام فيمن صارت هذه الصفات ديدنه وشعاره لا ينفك عنها. وروى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ عَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» أي مال في الخصومة عن الحق واقتحم الباطل. والمراد بالنفاق العمل لا الإيمان، أو النفاق العرفي لا الشرعي، لأن الخلوص بهذين المعنيين لا يستلزم الكفر الملقى في الدرك الأسفل من النار، كذا أفاده العريزي.

(الثالث: الغيبة، فاحفظ لسانك عنها) أي وعن السكوت عليها رضا وتقريراً. (والغيبة أشد من ثلاثين زنية) بفتح الزاي وهي المرة من الزنا (في الإسلام، كذلك ورد في الخبر. ومعنى الغيبة: أن تذكر إنساناً بما يكرهه لو سمعه) سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يديك أو رأسك، وضابط الغيبة: كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم في بدنه أو نسبه أو خلقه أو في فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته. (فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقاً) أي في ذكرك ذلك كما قال ﷺ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَيْبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَيَّهْتَهُ».

(وإياك) أي احذر تلاقيك (وغيبة القراء المرثيين) وهو أخبت أنواع الغيبة، رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم. (وهو أن تفهم المقصود) بطريق الصالحين إظهاراً من نفسك للتعفف عن الغيبة (من غير تصريح) بل بتعريض لشخص معين إما حي وإما ميت تعريضاً يفهم به كما يفهم بالتصريح،

فتقول: أصلحه الله، فقد ساءني وغمني ما جرى عليه، فنسأل الله تعالى أن يصلحنا وإياه. فإن هذا جمع بين خبيثين: أحدهما: الغيبة إذا حصل به التفهم، والآخر: تزكية النفس والثناء عليها بالتحرج والصلاح. ولكن إن كان مقصودك من قولك: أصلحه الله تعالى الدعاء فادع له في السر، وإن اغتممت بسببه فعلامته أنك لا تريد فضيحتة وإظهار عيبه، وفي إظهارك الغم بعيبه إظهار تعييبه. ويكفيك زاجراً عن الغيبة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة، فما أجدرك أن تحترز منها. ...

(فتقول) إذا قيل لك مثلاً: كيف حال فلان؟ (أصلحه الله، فقد ساءني) أي أجزني (وغمني ما جرى عليه) أي من الدخول على السلطان مثلاً، أو من التبذل في طلب الحطام، أو من قلة الحياء، (فنسأل الله تعالى أن يصلحنا وإياه. فإن هذا) أي القول (جمع بين خبيثين؛ أحدهما: الغيبة، إذا حصل به) أي بهذا القول (التفهم) أما إذا لم يفهم عين الشخص جاز القول، وكان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقْعُلُونَ كَذَا وَكَذَا »، فكان لا يعين. (والآخر: تزكية النفس) أي مدحها، (والثناء عليها بالتحرج) أي بحكمك على الغير بالإثم^(١) (والصلاح) أي لنفسك. فتذكر نفسك ومقصودك أن تدم غيرك في ضمن ذلك وتمدح نفسك بالصلاح في ذم غيرك، فتجمع بين خبيثين: الغيبة وتزكية النفس، بل أربعة وهي أيضاً الرياء، وظن صلاح نفسك. فأنت ترائي وتظن بجهلك أنك من الصالحين المتعطفين عن الغيبة، ومنشأ ذلك الجهل، فإن من تعبد على جهل لعب به الشيطان. ومن ذلك أنه يذكر عيب إنسان ويذكر الله تعالى ويستعمل اسمه تعالى آلة له في تحقيق خبيثه؛ وأيضاً أنك تكون كاذباً في دعوى الحزن والاهتمام وفي إظهار الدعاء.

(ولكن إن كان مقصودك من قولك: أصلحه الله تعالى الدعاء) لذلك الشخص، (فادع له في السر) عقب صلاتك. (وإن اغتممت بسببه) أي ذلك الشخص (فعلامته) أي الاغتمام (أنك لا تريد فضيحتة) أي كشف مساويه (وإظهار عيبه) وهذا عطف تفسير بل تكره ذلك، (وفي إظهارك الغم بعيبه إظهار تعييبه) أي إظهارك نسبته إلى العيب.

(ويكفيك زاجراً عن الغيبة) زاجراً تمييز. (قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾) قال الشريبي: أي ولا يتعمد أن يذكر بعضكم بعضاً أي في غيبته بما يكره ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٢) أي الأكل أو اللحم أو الميت. (فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة) ففي هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم. (فما أجدرك) أي فأنت حقيق (أن تحترز منها) أي الغيبة.

(١) معنى التحرج: فعل ما به يتجنب الحرج أي الإثم لا ما يقوله الشارح. اهـ مصححه.

(٢) سورة الحجرات [٤٩]: الآية: ١٢

ويمنعك عن غيبة المسلمين أمر لو تفكرت فيه، وهو: أن تنظر في نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن؟ وهل أنت مقارف معصية سراً أو جهراً؟ فإذا عرفت ذلك من نفسك فاعلم أن عجزه عن التنزه عما نسبته إليه كعجزك، وعذره كعذرِكَ. وكما تكره أن تفتضح وتذكر عيوبك فهو أيضاً يكرهه؛ فإن سترته ستر الله عليك عيوبك، وإن فضحته سلط الله عليك السنة حداداً يمزقون عرضك في الدنيا ثم يفضحك الله في الآخرة على رؤوس الخلائق يوم القيامة. وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ولا دنيا، فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقه، ولا عيب أعظم من الحمق، ولو أراد الله بك خيراً لبصرك بعيوب نفسك، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك.



(ويمنعك عن غيبة المسلمين أمر لو تفكرت فيه) لأنصفت، (وهو: أن تنظر في نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن؟ وهل أنت مقارف) أي فاعل (معصية سراً أو جهراً؟ فإذا عرفت ذلك) أي العيب والمعصية (من نفسك فاعلم أن عجزه) أي الشخص الذي اغتبه (عن التنزه) أي التباعد (عما) أي عن شيء (نسبته إليه) أي ذلك الشخص (كعجزك) عن ذلك، (وعذره) أي كثرة عيوبه وذنوبه (كعذرِكَ) أي كثرة عيوبك وذنوبك، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك. وقال أبوهريرة: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يبصر الجذع في عين نفسه. (وكما تكره) أنت (أن تفتضح) أي تكشف مساويك (وتذكر عيوبك) بحضرة غيرك (فهو) أي الشخص المغتاب (أيضاً يكرهه) أي الفضيحة وذكر العيوب. (فإن سترته) أي ذلك الشخص (ستر الله عليك عيوبك، وإن فضحته سلط الله عليك السنة حداداً) بكسر الحاء (يمزقون عرضك) بكسر العين (في الدنيا، ثم يفضحك الله في الآخرة على رؤوس الخلائق يوم القيامة).

(وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ولا دنيا) بضم الدال وكسرها. (فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقه) أي الفساد في العقل، (ولا عيب أعظم من الحمق. ولو أراد الله بك) الباء بمعنى اللام كما في بعض النسخ: لك باللام. (خيراً لبصرك بعيوب نفسك، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك) أي قلة فطنتك (وجهلك) وأكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه.

فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق؛

الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات، ويتبع إشارته في

مجاهدته.

الثاني: أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله، فما

كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه.

ثم إن كنت صادقاً في ظنك فاشكر الله تعالى عليه ، ولا تفسده بثلب الناس والتمضمض بأعراضهم ، فإن ذلك من أعظم العيوب. الرابع: المرء والجدال ومناقشة الناس في الكلام.



الثالث: أن يستفيد معرفة نفسه (*) من أسنة أعدائه، فإن عين السخط تبدي المساوي، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل قوله على الحسد، ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه.

الرابع: أن يخالط الناس، فكل ما رآه مذمومًا فيما بين الخلق فليطالب نفسه به، فإن المؤمن مرآة المؤمن.

(ثم إن كنت صادقاً في ظنك) أنك لم تنقص في دينك وديناك (فاشكر الله تعالى عليه) أي على كمالك في دين ودينا. (ولا تفسده) أي الدين والدنيا (بثلب الناس) أي بلومهم وتعييبهم، وهو بالثناء المثلية فاللام. (والتمضمض) أي التصوت (بأعراضهم) أي بشتم نفوسهم، وهذا عطف مرادف. (فإن ذلك من أعظم العيوب) وقال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء، وإياكم والغيبة وذكر الناس فإنه داء.

واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول، فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوي إنسان يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به، قال الله تعالى: ﴿ أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ (١). وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». والمراد بالظن: جزم القلب بسببه على غيرك بالسوء؛ فأما الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمغفو عنه باتفاق العلماء، لأنه لا اختيار له في وقوعه ولا طريق له إلى الانفكاك عنه، وهو المراد بقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهَا أَنْفُسُهَا، مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ». قال العلماء: والمراد بذلك الخواطر التي لا تستقر، سواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفرًا أو غيره. فمن خطر له الكفر مجرد خطور من غير تعمد لتحصيله ثم صرفه في الحال فليس بكافر ولا شيء عليه، وسبب العفو تعذر اجتنابه. وإنما الممكن اجتناب الاستمرار عليه، فلهذا كان الاستمرار وعقد القلب حرامًا. ومهما عرض لك هذا الخاطر بالغيبة وغيرها من المعاصي وجب عليك دفعه بالإعراض عنه وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره، كذا في أذكار النووي.

(الرابع) من الثمانية: (المرء والجدال) هذا من عطف الأعم على الأخص، لأن المرء هو الطعن في القول والتزييف له والتصغير لقاتله، وليس في ذلك غرض سوى ذلك. ولا يكون المرء إلا اعتراضاً على كلام سبق بخلاف الجدال، فإنه يكون ابتداءً واعتراضاً ويتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها. (ومناقشة الناس في الكلام) أي الاستقصاء في الكلام مع الناس، وهذا هو المسمى بالخصومة، فإنه لجاج في

(١) سورة الحجرات [٤٩] الآية: ١٢

(*) وفي الإحياء: معرفة عيوب نفسه.

فذلك فيه إيذاء للمخاطب وتجهيل له وطعن فيه، وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم. ثم هو مشوش للعيش، فإنك لا تماري سفيهاً إلا ويؤذيك، ولا تماري حليماً إلا ويقلبك ويحقد عليك. فقد قال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ». ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان ويقول لك: أظهر الحق ولا تدهن فيه، فإن الشيطان أبداً يستجر الحمقى إلى الشر في معرض الخير، فلا تكن ضحكة للشيطان فيسخر منك. فإظهار الحق حسن مع من يقبله منك، وذلك بطريق النصيحة في الخفية.....



الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً. (فذلك) أي المذكور (فيه إيذاء) أي إيصال المكروه (للمخاطب وتجهيل له وطعن) أي قدح (فيه) أي المخاطب، وفي الحديث: «لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ طَعَانًا» أي في أعراض الناس. (وفيه) أي المذكور (ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة) بكسر الفاء (والعلم، ثم هو مشوش) أي مكدر (للعيش. فإنك لا تماري سفيهاً) أي غير حليم (إلا ويؤذيك، ولا تماري حليماً) أي متأنياً في الأمر (إلا ويقلبك) أي ييغضك (ويحقد عليك) أي يمسك عداوتك في قلبه ويتربص لفرصتها. ومن بدأ بالخصومة فقد شوش خاطره، حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه.

(فقد قال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ» أي مدع بطلانه^(١) (بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ) أي فيما حولها، والربض هو بفتح الراء والباء الموحدة. (وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ) أي مدع أنه على الحق (بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ) أي لشدة ذلك على النفس، ومحل جواز ترك المراء إذا لم يلزم على ذلك ضياع الحق الواجب وظهور المفسدة. وفي رواية لأبي داود والترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي وَسْطِهَا، وَمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَاهَا».

(ولا ينبغي) أي لا يليق (أن يخدعك الشيطان ويقول لك: أظهر الحق ولا تدهن) أي لا تلن (فيه) أي الحق. (فإن الشيطان) الفاء للتعليل (أبداً يستجر الحمقى إلى الشر في معرض الخير) أي في مسلكه، (فلا تكن ضحكة) بضم ففتح: كثير الضحك^(٢) (للشيطان فيسخر منك) وفي بعض النسخ: بك. (فإظهار الحق حسن مع من يقبله منك، وذلك) أي كون إظهار الحق حسناً (بطريق النصيحة في الخفية

(١) المبطل الذي على الباطل اعتقاداً ويقره قولاً، وكذا يقال فيما يأتي في المحق لا كما يقول الشارح، اه مصححه.

(٢) تقدم ما يعرف به معنى هذه اللفظة، اه مصححه.

لا بطريق الممارسة. وللنصيحة صفة وهيئة، ويحتاج فيها إلى تلطف وإلا صارت فضيحة، وكان فسادها أكثر من صلاحها. ومن خالط متفقيه العصر غلب على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت، إذ ألقى إليه علماء السوء أن ذلك هو الفضل والقدرة على المحاجة والمناقشة هو الذي يمتدح به. ففر منهم فرارك من الأسد، واعلم أن المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق. الخامس: تزكية النفس، فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ وقيل لبعض الحكماء:



لا بطريق الممارسة) قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَالْآنَ الْكَلَامُ»، وقال أيضاً: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ».

(وللنصيحة صفة وهيئة) كتليين الكلام وخفية المكان، (ويحتاج فيها) أي النصيحة (إلى تلطف) أي ترفق في الحال والمقال، (وإلا صارت فضيحة) أي كشف عيب، (وكان فسادها) أي الفضيحة (أكثر من صلاحها). ومن خالط متفقيه العصر) أي من عاشر المتفقيه في هذا الزمان (غلب) أي كثر (على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت، إذ ألقى إليه) أي لأنه علمه (علماء السوء أن ذلك) أي المراء والجدال (هو الفضل) أي الخير، (و) أن (القدرة على المحاجة) أي المغالبة في الحجة (والمناقشة) أي استقصاء الكشف في الشيء، (هو الذي يمتدح به. ففر منهم) أي علماء السوء (فرارك من الأسد، واعلم أن المراء سبب المقت) أي البغض (عند الله وعند الخلق) قال عليه الصلاة والسلام: «ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّهُ لَا تَفْهَمُ حِكْمَتَهُ وَلَا تُؤْمِنُ فِتْنَتَهُ»، وقال أيضاً: «لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِحًّا»، وقال مسلم بن يسار: إياكم والمراء، فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبغى الشيطان زلتة. وقال أبو الدرداء: كفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً. وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث: لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لتراي به، ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل به.

(الخامس: تزكية النفس) أي مدحها بالطهارة عن الدناءة على سبيل الإعجاب؛ أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن، لأن التحدث بها شكرها. وإنما جاز إذا قصد به الشكر وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة، والستر أفضل، كذا أفاده الشرييني. (فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾) بأن يثني الإنسان على نفسه ﴿هُوَ﴾ أي الله تعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ منكم ومن جميع الخلق ﴿بِمَنِ اتَّقَى﴾ (١) أي فإنه يعلم المتقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم عليه السلام.

(وقيل لبعض الحكماء) أي الواضعين الشيء في محله وهم الأولياء الصالحون، وليس المراد

ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه، فإياك أن تتعود ذلك. واعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس، ويوجب مقتك عند الله تعالى. فإذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك، فانظر إلى أقرانك إذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال، كيف يستنكره قلبك عليهم ويستثقله طبعك؟ وكيف تدمهم عليه إذا فارقتهم؟ فاعلم أنهم أيضاً في حال تزكيتك نفسك يذمونك في قلوبهم ناجزاً، وسيظهرونه بألسنتهم إذا فارقتهم. السادس: اللعن. فإياك أن تلعن شيئاً مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو إنسان بعينه.



بالحكماء هنا الأطباء، بل المراد بهم أطباء القلوب. (ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه) وهو من علامات كونه محجوباً عن الله تعالى، كما نقله الشريبي عن القشيري. (فإياك) أي احذر (أن تتعود ذلك) أي أن تصير تزكية النفس عادة لك. (واعلم أن ذلك) أي تزكية النفس (ينقص من قدرك) أي قيمتك (عند الناس، ويوجب مقتك) أي بغضك (عند الله تعالى).

(فإذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك) بل ينقصه عنده، (فانظر إلى أقرانك) جمع قرن وهم أهل زمان واحد (إذا أثنوا على أنفسهم بالفضل) عند غيرهم (والجاه) أي المنزلة والمال، وبالبركة والطهارة عن الدناءة. (كيف يستنكره) أي الثناء (قلبك عليهم ويستثقله طبعك؟ وكيف تدمهم عليه) أي الثناء (إذا فارقتهم) من ذلك المجلس. وإذا كان الأمر كذلك (فاعلم أنهم) أي الأقران (أيضاً في حال تزكيتك نفسك يذمونك في قلوبهم ناجزاً) أي حاضرًا، (وسيظهرونه) أي الذم عليك (بألسنتهم إذا فارقتهم) فإن المؤمن مرآة المؤمنين، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه، لأن الطباع متقاربة في اتباع الهوى. وناهيك بهذا تأديبًا، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب.

قال النووي: اعلم أن ذكر المرء محاسن نفسه ضربان: مذموم ومحبوب. فالمذموم أن يذكره للافتخار وإظهار الارتفاع والتميز على الأقران وشبه ذلك؛ والمحبوب أن يكون فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون أمرًا معروفًا أو ناهيًا عن منكر أو ناصحًا أو مشيرًا بمصلحة أو معلمًا أو مؤدبًا أو واعظًا أو مذكرًا أو مصلحًا بين اثنين أو يدفع عن نفسه شرًا أو نحو ذلك، فيذكر محاسنه ناويًا بذلك أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله واعتماد ما يذكره، أو إن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به، أو نحو ذلك.

(السادس) من الثمانية: (اللعن) وهو الإبعاد عن رحمة الله تعالى. (فإياك) أي احذر (أن تلعن شيئاً مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو إنسان بعينه) ولو كافرًا، كقولك: زيد لعنه الله وهو يهودي مثلاً، فذلك خطر، لأنه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى؛ أما اللعن بالوصف الأعم فيجوز، كقوله: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين، ونحو ذلك.

ولا تقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو نفاق، فإن المطلع على السرائر هو الله تعالى، فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى. واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك: لم تلعن فلائناً، ولم سكت عنه؟ بل لو لم تلعن إبليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره، لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة؛ وإذا لعنت أحداً من خلق الله تعالى طولبت به. ولا تذمن شيئاً مما خلق الله تعالى، فقد كان النبي ﷺ لا يذم الطعام الرديء قط، بل كان إذا اشتهى شيئاً أكله، وإلا تركه. السابع: الدعاء على الخلق. فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى، وإن ظلمك فكل أمره إلى الله تعالى. ففي الحديث:

(ولا تقطع) أي لا تجرم (بشهادتك على أحد من أهل القبلة) أي المسلمين (بشرك أو كفر أو نفاق) فإن ذلك أمر صعب جداً، (فإن المطلع على السرائر هو الله تعالى، فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى) قال ﷺ: « مَا شَهِدَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ بِالْكَفْرِ إِلَّا بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَافِرًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فَقَدْ كَفَرَ بِتَكْفِيرِهِ إِيَّاهُ ».

فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يقال: إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة، لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق. نعم، يجوز أن يقال: قتل ابن ملجم علياً، وقتل أبولؤلؤة عمر، فإن ذلك ثبت متواتراً، كما في الإحياء.

(واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك: لم تلعن فلائناً، ولم سكت عنه؟ بل لو لم تلعن إبليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره) أي إبليس، (لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة) وليس في السكوت خطر. (وإذا لعنت أحداً من خلق الله تعالى طولبت به) أي باللعن، وسئلت عنه. فإذا لعنت ما لا يستحق اللعن فلتبادر بقوله: إلا أن يكون لا يستحق، كذا في أذكار النووي.

(ولا تذمن شيئاً مما خلق الله تعالى، فقد كان النبي ﷺ لا يذم الطعام الرديء) أي الخسيس (قط) بضم الطاء مشددة، (بل كان إذا اشتهى شيئاً) من الطعام (أكله، وإلا تركه) من غير ذم.

ومن الألفاظ المذمومة المستعملة في العادة قوله لمن يخاصمه: يا حمار، يا تيس، يا كلب، فهذا قبيح لوجهين: أحدهما أنه كذب، والآخر أنه إيذاء. وهذا بخلاف قوله: يا ظالم ونحوه، فإن ذلك يتسامح به لضرورة المخاصمة مع أنه يصدق غالباً، فما من إنسان إلا وهو ظالم لنفسه ولغيره، كذا في أذكار النووي.

(السابع: الدعاء على الخلق) بالهلاك. (فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى، وإن ظلمك) أي أحد (فكل) أي فوض (أمره) أي الظالم (إلى الله تعالى) واكف به تعالى. (ففي الحديث:

« إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى ظَالِمِهِ حَتَّى يُكَافِئَهُ ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ فَضْلٌ عِنْدَهُ يَطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وطول بعض الناس لسانه على الحجاج، فقال بعض السلف: إن الله لينتقم للحجاج ممن تعرض له بلسانه، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه. الثامن: المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس. فاحفظ لسانك منه في الجدل والهزل، فإنه يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجر الوحشة ويؤذي القلوب. وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم، ويغرس الحقد في القلوب.....



« إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى ظَالِمِهِ بِالْهَلَاكِ (حَتَّى يُكَافِئَهُ) أَي يُقَابِلُهُ فِي ثِقَلِ الْمَظْلَمَةِ، (ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ فَضْلٌ) أَي زِيَادَةٌ (عِنْدَهُ) أَي الْمَظْلُومُ (يَطَالِبُهُ بِهِ) أَي يَطْلُبُ الظَّالِمَ مِنَ الْمَظْلُومِ ذَلِكَ الْفَضْلَ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ».

(وطول بعض الناس لسانه على الحجاج) بن يوسف الثقفي وهو أمير عالم لكنه ظالم. (فقال بعض السلف) الصالح وهو الإمام محمد بن سيرين إمام المعبرين نهياً عن تطويل الكلام على الحجاج: (إن الله لينتقم) أي ليعاقب (للحجاج) أي لأجله (ممن تعرض له) أي الحجاج (بلسانه) فقوله: ممن معمول لينتقم، والضمير المجرور باللام يعود إليه كالضمير المستتر في ظلم. (كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه) أي لأجل من ظلمه، فإنه قتل وصلب سيدنا عبد الله بن الزبير وهو صحابي. ثم لما قتل سعيد بن جبير أحد أكابر التابعين والعلماء العاملين، لم يزل دمه يغلي حتى ملأ أثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره، ولم يحمد في نفسه ولم ير شيء أكثر دماً من الإنسان، فلم يزل الحجاج بذلك فزعاً حتى منع منه النوم، فيقول: ما لي وما لك يا سعيد بن جبير؟ ستة أشهر، ثم إن بطنه استسقى حتى انشق فمات. فلما دفن لفظته الأرض، وبقي بعد سعيد بن جبير ستة أشهر. ونقل أن المسجونين قد وجدوا بعد موته ثلاثة وثلاثين ألفاً من المظلومين، وقد أحصي من قتله الحجاج صبراً فوجد مائة ألف وعشرين ألفاً، كذا في شرح الشفاء.

(الثامن) وهو يطلب تمام ما حفظ اللسان منه: (المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس) والمراد بالمزاح هنا الهزل المذموم، ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه. وقد يكون ذلك بالمحاكاة بالفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء؛ وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة (*). (فاحفظ لسانك منه) أي المذكور من المزاح وما بعده (في الجدل) بكسر الجيم (والهزل، فإنه) أي المذكور (يريق ماء الوجه ويسقط المهابة) أي الإجلال والمخافة، (ويستجر الوحشة) أي الهم والخوف والخلوة، (ويؤذي القلوب) أي قلوب الأقران. (وهو مبدأ اللجاج) أي الخصومة (والغضب والتصارم) أي التقاطع في الصحبة، (ويغرس) بكسر الراء أي يثبت (الحقد) أي الاحتواء على العداوة (في القلوب).

(*) أي ولكن فيه معنى الغيبة.

فلا تمازح أحدًا، فإن مازحك أحد فلا تجبه، وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره؛ وكن من الذين إذا مروا باللغو مروا كرامًا فهذه مجامع آفات اللسان، ولا يعينك عليه إلا العزلة أو ملازمة الصمت، إلا بقدر الضرورة. فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يضع حجرًا في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة، ويشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. فاحترز منه بجهدك، فإنه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة.....



(فلا تمازح أحدًا) أبدًا، (فإن مازحك أحد فلا تجبه) وفي بعض النسخ: وإن مازحك

فلا تجبههم. (وأعرض) أي تول (عنهم) أي الممازحين (حتى يخوضوا) أي يدخلوا (في حديث) أي خبر (غيره) أي المزاح. (وكن من الذين إذا مروا باللغو) أي الذي ينبغي أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كرامًا) أي أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر إن تعلق بهم أمر أو نهي إشارة وعبرة على حسب ما يروونه نافعًا، فإن لم يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه. ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش، والصفح عن الذنوب، والكف عما يستهجن التصريح به، كذا في السراج المنير. وقال عمر بن عبد العزيز: اتقوا الله، وإياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينة، ويجر إلى القبيح؛ وتحدثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال أي الصالحين.

(فهذه) أي الثمانية المذكورة (مجامع آفات اللسان. ولا يعينك) أي لا يساعدك (عليه) أي اللسان (إلا العزلة) أي عن الناس، (أو ملازمة الصمت، إلا بقدر الضرورة) أي الحاجة. قال ﷺ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيُزِمِ الصَّمْتَ ». وفي الحكمة: لسانك أسدك، إن أطلقته فرسك، وإن أمسكته حرسك.

(فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يضع حجرًا في فيه ليمنعه) أي أبا بكر (ذلك) أي الحجر (من الكلام بغير ضرورة) أي من غير ما ينفع في الدنيا والآخرة. (ويشير إلى لسانه) وفي رواية: يمسك لسانه (ويقول) أي عند الإشارة: (هذا) أي اللسان (الذي أوردني الموارد) أي أحضرنى المحال. فلما مات رضي الله عنه روي في المنام، فقيل له: ما الذي أوردك لسانك؟ قال: قلت به: لا إله إلا الله، فأوردني الجنة.

(فاحترز منه) أي آفات اللسان (بجهدك) بفتح الجيم أي طاقتك، (فإنه) أي اللسان (أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة) وفي الحديث: « طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسَعَهُ يَبْتَهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ ». وروي عن الأوزاعي أنه قال: المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل، والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل. وقد قال أبو بكر بن خلف اللخمي [نظمًا من بحر الطويل]:

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَشْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ * وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَشْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَشْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ * وَعَشْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة، واحرص على طلب الحلال. فإذا وجدته فاحرص على أن تقتصر منه على ما دون الشبع، فإن الشبع يقسي القلب ويفسد الذهن ويبطل الحفظ ...



(وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة) فالحرام المحض ما يكون به علم لك أو غالب ظن بكونه منهياً عنه في الشرع؛ وإذا تساوت الإماراتان الدالتان على الحل والحرمه حتى تبقى شاكاً لا يكون لأحدهما ترجيح عندك، فذلك شبهة، يشبه أنه حلال ويشبه أنه حرام فاشتبه أمره عليك، كذا في منهاج العابدين.

وقال إبراهيم الشبرخيتي: قد اختلفوا في الشبهة على أقوال، فقيل: هو ما اختلف فيه العلماء كالخيل، فإنها محرمة عند مالك ومباحة عند غيره. وقيل: هو المكروه، وبه قال الماوردي، لأنه عقبة بين الحلال والحرام، فالورع تركه. وقيل: هو معاملة الإنسان من في ماله شبهة أو من خالط ماله حرام، وبه قال الخطابي. وقيل: هو ما لم يرد فيه نص من الشارح بتحليل ولا تحريم كنبات غير مألوف لم تعرف العرب هل هو مضر أم لا.

(واحرص) أي اجتهد (على طلب الحلال) فقد قال ﷺ: « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » رواه ابن مسعود. والحلال فسره الإمام مالك والشافعي بما لم يرد بتحريمه دليل، وأبو حنيفة بما دل دليل على حله. وتظهر ثمرة الخلاف في المسكوت عنه الذي جهل أصله، فعند مالك والشافعي هو من الحلال إذ هو الأشبه بيسر الدين، وعند الحنفي هو من الحرام.

(فإذا وجدته) أي الحلال (فاحرص على أن تقتصر منه على ما دون الشبع) ومراتب الأكل سبعة؛ الأول: أن يأكل ما تحصل به الحياة فقط. الثاني: أن يزيد على ذلك مقدار ما يحصل له به قوة على أداء الفرائض الخمس من قيام دون النوافل، وهذان واجبان، ومثلهما أكل ما يقويه على الصيام الواجب. الثالث: أن يأكل ما تحصل له به قوة على صيام النفل وصلاة النافلة من قيام، وهذا مستحب. الرابع: أن يأكل ما يقيم به صلبه للكسب والعمل، وهذا هو الشبع الشرعي. الخامس: أن يملأ ثلث بطنه وهو ستة أشبار، لأن مصران(*) الإنسان طوله ثمانية عشر شبراً، وهذا هو الشبع المعتاد، وهذا لا كراهة فيه إن أكل من طعام نفسه؛ وأما إن أكل على مائدة الغير. فقال القرافي: إن ذلك حرام، فإن الزيادة على الشبع الشرعي لا تجوز إلا أن يعلم رضا الداعي بأكل الزائد، فله أن يأكل ما شاء. السادس: أن يأكل زيادة على قدر ثلث المصران وهو مكروه، وبه يحصل للإنسان الثقل والنوم، وعلى هذا القسم غالب عادة الناس. السابع: أن يأكل زيادة على ذلك إلى أن يتضرر وهو البطننة، وهذا حرام، كذا في شرح المنظومة لابن العماد.

(فإن الشبع) أي المعتاد (يقسي القلب) الفاء للتعليل، (ويفسد الذهن) أي الفطنة، (ويبطل الحفظ)

(*) المصران جمع مصير كرجفان جمع رفيف، والمصير بوزن البصر: الأمعاء.

ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم ويقوي الشهوات وينصر جنود الشيطان. والشيع من الحلال مبدأ كل شر، فكيف من الحرام؟ وطلب الحلال فريضة على كل مسلم، والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين. فإذا قنعت في السنة بقميص خشن، وفي اليوم والليل برغيفين من الخشكار، وتركت التلذذ بأطيب الأدم لم يعوزك من الحلال ما يكفيك. والحلال كثير وليس عليك أن تتيقن بواطن الأمور، بل عليك أن تحترز مما تعلم أنه حرام أو تظن أنه



أي التيقظ، (ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم) أي الاشتغال بهما، (ويقوي الشهوات) وهو اشتياق النفس إلى الشيء، (وينصر جنود الشيطان) وهي عشرة: الظلم، والخيانة، والكفر، وترك حفظ الأمانة، والنميمة، والنفاق، والخديعة، والشك في الواحد الخلاق، والمخالفة لما أمر به ذو الجلال والإكرام، والتغافل عن سنة النبي ﷺ، كذا أفاده الهمداني.

قال لقمان لابنه: يا بني، إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة. قال بعض الحكماء: من أكثر أكله أكثر شربه، ومن أكثر شربه أكثر نومه، ومن أكثر نومه أكثر لحمه، ومن أكثر لحمه قسا قلبه، ومن قسا قلبه غرق في الآثام.

(والشيع من الحلال مبدأ كل شر، فكيف من الحرام؟) قال الشعراني: فإن أكل الحرام أو الشبهة يظلم القلب ويحجبه عن دخول حضرة الله تعالى ويخلق الثياب. (وطلب الحلال فريضة على كل مسلم) وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهماً وأثقلها على الجوارح فعلاً، إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود، وأن سبيل الوصول إليه مسدود. وهيهات هيهات، فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما ثقلت الحالات، كذا في الإحياء. (والعبادة والعلم من أكل الحرام كالبناء على السرجين) بكسر السين أي الزبل. وقال إبراهيم بن أدهم: طيب مطعمك، وما عليك بعد ذلك أن لا تصوم النهار ولا تقوم الليل، يعني نفلًا.

(فإذا قنعت) بكسر النون أي رضيت (في السنة بقميص خشن، وفي اليوم والليل برغيفين من الخشكار) أي الرديء من كل شيء أو من شعير، (وتركت التلذذ بأطيب الأدم) بضم تين جمع إدام ككتب وكتاب، وهو ما يسبغ الطعام إلى الحلق كاللحم مثلاً فإنه إدام للخبز مثلاً (لم يعوزك) أي لم يعجزك (من الحلال ما يكفيك) أي من اللباس والقوت والإدام.

(والحلال كثير) فليس الأمر كما قال الجهال: لم يبق من الطيبات إلا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات، وما عداه فقد أخبثته الأيدي العادية وأفسدته المعاملات الفاسدة. (وليس عليك أن تتيقن) وفي نسخة: أن تتقب أي تفتش (بواطن الأمور، بل عليك) أي الزم (أن تحترز مما تعلم) أي تتيقن (أنه) أي هذا المال (حرام) وهو ما منع منه شرعاً، إما لصفة في ذاته ظاهرة كالسم والخمر، أو خفية كمذكي المجوسي، وإما لخلل في تحصيله كالربا والغصب والسرقة. (أو تظن أنه) أي المال

حرام ظناً حصل من علامة ناجزة مقرونة بالمال؛ أما المعلوم فظاهر، وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله.....



(حرام ظناً) غالباً (حصل من علامة ناجزة) أي ظاهرة (مقرونة بالمال) وفي نسخة: مقدره بالمال. وهذا من الحرام المحض على ما حسنه الغزالي، لأن غلبة الظن منا تجري مجرى العلم في كثير من الأحكام. وقيل: إن هذا من الشبهات، لأنه لم يوجد منه يقين في الحرمة.

(أما) المال (المعلوم) أي المتيقن حرمة أو حله (فظاهر) أي متضح في الحرمة كالمذكور قريباً، ومنكشف في الحل كالمأخوذ من التراضي، إما بعوض كالبيع والصدقات والأجرة، وإما بغير عوض كالهبة والصدقة والوصية والمأخوذ كرهاً. أما لسقوط عصمة المال كالغنائم وسائر أملاك الكفار الذين ليس لهم أمان وعهد وذمة فهذا حلال، إذا أخرجوا منه الخمس، وقسموه بين المستحقين بالعدل، أو لاستحقاق الآخذ كالزكاة من الممتنعين والنفقات الواجبات. هذا كله مأخوذ من المالك، والمأخوذ من غير مالك كالأشياء المباحة التي لم يسبق عليها ملك لأحد كالاصطياد والاحتطاب والاحتشاش والاستقاء من الأنهار وإحياء الموات، وهذا كله مأخوذ بالاختيار؛ والمأخوذ بغير الاختيار كالإرث، فهذا كله حلال إذا روعيت شروط الشرع في تحصيله.

(وأما) المال (المظنون) في حرمة (بعلامة فهو مال السلطان و) مال (عماله) أي السلطان، وهو جمع عامل، وهو من يتولى على البلاد كالباشا، والقائم مقامه لعدم تيقن حرمة.

واختلف العلماء في جوازهم في هذا الزمان، فقيل: يجوز لنا أخذها لعدم تيقن جرمتها. وقيل: لا يحل، لأن الأغلب في هذا الزمان على أموالهم الحرمة. وقيل: إن صلاتهم تحل للغني والفقير إذا لم يتحقق أنها حرام، وإنما التبعة على المعطي. وقيل: لا يحل من أموالهم شيء لغني ولا لفقير إذ هم موسومون بالظلم، والغالب على أموالهم الحرام، والحكم للغالب. وقيل: يحل ذلك للفقير فقط، إلا أن يعلم أنه عين الغضب فليس له أن يأخذ مالاً إلا ليرده على مالكة.

ولا حرج على الفقير أن يأخذ من أموال السلطان لأنها إن كانت ملكه فلا ريب في حل أخذ الفقير، وإن كانت من فيء عشر للفقير فيه حق وكذلك لأهل العلم. قال علي بن أبي طالب: من دخل الإسلام طائعاً وقرأ القرآن ظاهراً فله في بيت مال المسلمين كل سنة مائة درهم، إن لم يأخذها في الدنيا أخذها في الآخرة؛ وإذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذان حقهما.

قال العلماء: إذا كان المال مختلطاً بمال مغضوب لا يمكن تمييزه، أو غضباً لا يمكن رده على صاحبه وذريته، فلا مخلص للسلطان منه إلا بأن يتصدق به، فأذن للفقير أن يأخذ إلا عين الغضب والحرام، فليس له أخذه. وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها إلا ببسط وتحقيق، هذا تلخيص ما في منهاج العابدين.

ومال من لا كسب له إلا من النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المزامير وغير ذلك من آلات اللهو المحرمة. فإن من علمت أن أكثر ماله حرام قطعاً فما تأخذه من يده وإن أمكن أن يكون حلالاً نادراً فهو حرام، لأنه الغالب على الظن. ومن الحرام المحض ما يؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف؛ فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس حرام. ومن ارتكب معصية ترد بها شهادته، فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره فهو حرام. وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام في كتاب مفرد من كتب إحياء علوم الدين، فعليك بطلبه، فإن معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس.



(ومال من لا كسب له إلا من النياحة) بكسر النون أي من أجرة البكاء على الميت

(أو بيع الخمر) ونحوها من المحرمات (أو) من تحصيل (الربا أو) من لهو كـ (المزامير وغير ذلك من آلات اللهو المحرمة، فإن من علمت أن أكثر ماله) أي من لا كسب له إلا بتلك (حرام قطعاً) أي جزماً بلا شك. (فما تأخذه من يده وإن أمكن أن يكون) المأخوذ (حلالاً نادراً) أي في النادر أي القليل، (فهو حرام، لأنه الغالب على الظن) قال الشيرخيتي في الفتوحات الوهية نقلاً عن مختصر إحياء علوم الدين: ومن جملة المتشابه أن يكون الشيء مما قد اشترى في الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام، إلا أن يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكله قبل قضاء الثمن، فهو حلال بالإجماع. ولا ينقلب بأداء المال في مقابلته من الحرام حراماً بل غايته أنه لا تبرأ ذمته، فكأنه لم يقض الثمن، فلا يحرم ما أكله.

(ومن الحرام المحض) أي الخالص الذي لا يخالطه حلال (ما يؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف) لقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ». (فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس) أي من الأموال الموقوفة على من اشتغل بحال درس العلم (حرام) لأنه لم يستحق المأخوذ، لأن الموقوف على مشتغل بالعلم يحمل على المشتغل بالفقه، لأن العلم الشرعي ثلاثة: الفقه والحديث والتفسير.

(ومن ارتكب) أي أتى (معصية ترد بها شهادته) كقتل وزنا وقذف وشهادة زور وكإصرار على صغيرة، (فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره) كصدقة معينة على الصوفية (فهو حرام) لأنه لم يستحق ذلك، لأن الصوفية هم الذين وقفوا مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً.

(وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام) وأصنافها ودرجاتها (في كتاب مفرد) وهو كتاب الحلال والحرام (من كتب إحياء علوم الدين، فعليك بطلبه) أي الكتاب المفرد، لكن تلخيصه مسطور في هذا الشرح، (فإن معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس) لقوله ﷺ: «طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» رواه الديلمي عن أنس، أي طلب معرفة الحلال من الحرام

وأما الفرج فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى، وكن كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ ولا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر، وحفظ القلب عن التفكير، وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع، فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها. وأما اليدان فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلماً، أو تتناول بهما ما لا حراماً، أو تؤذي بهما أحداً من الخلق، أو تخون بهما في أمانة أو ودیعة، أو تكتب بهما ما لا



واجب، أو المعنى: طلب الكسب الحلال واجب، كذا نقل العزيزي عن المناوي. وقوله ﷺ:

« طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » رواه الطبراني عن ابن مسعود، أي الكسب الحلال لمؤنة

النفس والعيال فرض بعد الإيمان والصلاة أو بعد جميع ما فرض الله، فطلب ما يحتاجه لنفسه وعياله واجب دون ما زاد على الكفاية، كما قاله العزيزي. وقوله ﷺ: « طَلَبُ الْحَلَالِ جِهَادٌ » رواه القضاعي عن ابن عباس، أي ثوابه كثواب الجهاد.

(وأما الفرج فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى) كالزنا، واللواط، والمساحقة للمرأة مع مثلها، والمفاخذة للرجل مع مثله، والاستمناء باليد، والوطء في الحيض وفي الطهر قبل الغسل منه، وإتيان البهيمة. (وكن كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ﴾) في الجماع ومقدماته ﴿حَافِظُونَ﴾) أي دائماً لا يتبعونها شهوتها، والفرج اسم لسوءة الرجل والمرأة، وحفظه التعفف عن الحرام. ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ﴾) اللاتي استحقوا مباحضتهن بعقد النكاح ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾) رقابهن من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(١) على ذلك إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأنتى وفي حال الحيض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الأمة قبل الاستبراء فإنه حرام، ومن فعله فإنه ملوم.

(ولا تصل إلى) حقيقة (حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر) فيما لا يجوز شرعاً، (وحفظ القلب عن التفكير) في محاسن ما يشتهى، (وحفظ البطن عن الشبهة) وعن الحرام بطريق الأولى (وعن الشبع) كما مر تفصيله، (فإن هذه) أي الأربعة التي هي النظر والتفكير والشبهة والشبع (محركات للشهوة ومغارسها) أي أصولها.

(وأما اليدان فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلماً) أو ذمياً بغير مسوغ شرعي كالضرب في الوجه أو تقتله بهما بمباشرة أو بسبب كحفر البئر عدواناً. قال ﷺ: « لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ ». (أو تتناول بهما ما لا حراماً) كالحاصل بتطيف الكيل والوزن بالسرقة. (أو تؤذي بهما أحداً من الخلق) كالدعة والدفع. (أو تخون بهما في أمانة أو ودیعة) فالأمانة هي ما يستحفظ عند الأمين، والودیعة ما يكون عندك من مال الغير. (أو تكتب بهما ما لا

يجوز النطق به، فإن القلم أحد اللسانين، فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه. وأما الرجلان فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلى حرام، أو تسعى بهما إلى باب سلطان ظالم، فإن المشي إلى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وإرهاق معصية كبيرة، فإنه تواضع وإكرام لهم على ظلمهم، وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ الآية وهو تكثير لسوادهم. وإن كان ذلك لسبب طلب مالهم فهو سعي إلى حرام، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيِّ صَالِحٍ لَغْنَاهُ ذَهَبٌ ثَلَاثًا دِينَهُ». وهذا في غني صالح، فما ظنك بالغني الظالم؟ وعلى الجملة فحركاتك



يجوز النطق به، فإن القلم أحد اللسانين، فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه) كما قال ذو النون المصري [نظماً من بحر الوافر]:

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَّبَلِي * وَيَبْقَى الدَّهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ * يَسْرُكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

(وأما الرجلان فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلى حرام) كالمشي لأجل غيبة أو لتجسس عورات المسلمين، (أو تسعى) أي تذهب (بهما إلى باب سلطان ظالم) مع الرضا بظلمه، كذا قاله ابن حجر. (فإن المشي إلى السلاطين الظلمة) بفتحات (من غير ضرورة) أي حاجة شرعية (وإرهاق) بالراء أي إتيان (معصية كبيرة) قوله: فإن المشي لتعليل للنهي عن السعي إلى باب السلطان، وفي نسخة: فالمشي، وقوله: كبيرة خبره. (فإنه) أي المشي إليهم (تواضع وإكرام لهم على ظلمهم، وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم) أي الظلمة (في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾) أي لا تميلوا ولا تسكنوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (١) الآية، وهو) أي المشي إليهم (تكثير لسوادهم) أي لجماعتهم وإعانة لهم على ظلمهم، وفي الخبر: «خَيْرُ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْعُلَمَاءَ، وَشَرُّ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْأُمَرَاءَ»، وفي الخبر: «الْعُلَمَاءُ أُمَّنَاءُ الرَّسْلِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرَّسْلَ، فَأَحْذَرُوهُمْ وَأَعْتَزَلُوهُمْ». وقال أبو ذر: من كثّر سواد قوم فهو منهم. ومثل السلاطين عمالهم؛ قال الأوزاعي: ما من شيء أبغض الله من عالم يزور عاملاً.

(وإن كان ذلك) أي المشي إليهم (لسبب طلب مالهم فهو سعي إلى حرام، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيِّ صَالِحٍ لَغْنَاهُ ذَهَبٌ ثَلَاثًا دِينَهُ») قيل: والمراد بالدين هنا الأدب، والمعنى أن الآداب ثلاثة: أدب مع الله، وأدب مع رسول الله ﷺ، وأدب مع عامة الناس. فإذا تواضع لغني ذهب الأدبان، وهما الأدب مع الله والأدب مع رسوله، وبقي أدب واحد. (وهذا) أي حصول ذهاب ثلثي الدين (في غني صالح، فما ظنك بالغني الظالم؟ وعلى الجملة) أي أقول قولاً كائناً على الجملة (فحركاتك

وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك، فلا تحرك شيئاً منها في معصية الله تعالى أصلاً، واستعملها في طاعة الله تعالى. واعلم أنك إن قصرت فعليك وباله، وإن شمرت فأليك تعود ثمرته، والله غني عنك وعن عملك، وإنما كل نفس بما كسبت رهينة. وإياك أن تقول: إن الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاة، فإن هذه كلمة حق أريد بها باطل، وصاحبها ملقب بالحماقة بتلقيب رسول الله ﷺ حيث قال: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ». واعلم أن قولك هذا يضاهاى قول من يريد أن يصير فقيهاً في علوم الدين من غير أن يدرس علماً واشتغل بالبطالة وقال: إن الله كريم رحيم قادر على أن يفيض على قلبي من العلوم ما أفاضه على قلوب



وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك، فلا تحرك شيئاً (أي جزءاً منها) أي الأعضاء (في معصية الله تعالى أصلاً) أي بالكلية، (واستعملها) أي الأعضاء (في طاعة الله تعالى) أي لتؤدي شكرها.

(واعلم أنك إن قصرت) أي توانيت في الطاعة (فعليك وباله) أي شدة تقصيرك، (وإن شمرت) أي اجتهدت وأسرعت فيها (فإليك تعود ثمرته) أي فائدة تشميرك. (والله غني عنك وعن عملك) فلا ينتفع الله بذلك. (وإنما كل نفس بما كسبت) أي تصرفت وتحملت (رهينة) عند الله تعالى؛ وقال علي رضي الله عنه: من ظن أنه بدون الجهد يصل إلى الجنة فهو مُتَمَنَّ، ومن ظن أنه يبذل الجهد يصل فهو مُتَعَنَّ.

(وإياك أن) تترك العمل، فقد قال الحسن البصري: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب. واحذر أن تقول: إن الله كريم) أي متفضل يعطي من غير مسألة ولا وسيلة، (رحيم يغفر الذنوب للعصاة) أي بكرمه ورحمته. (فإن هذه كلمة حق أريد بها باطل، وصاحبها) أي هذه الكلمة (ملقب بالحماقة) أي الفساد في العقل (بتلقيب رسول الله ﷺ حيث قال: «الْكَيْسُ» أي الظريف (مَنْ دَانَ) أي أذل وقهر (نفسه) أي الأمانة أو اللوامة (وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ) من أنواع الطاعات؛ (وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا) أي ميلها (وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ)) أي الأكاذيب. فقولته: نفسه مفعول أول، وهواها مفعول ثان. وفي ذلك قال الحسن البصري: إن أقواماً ألتهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس وليست لهم حسنة، فيقول أحدهم: إنني أحسن الظن بربي، وكذب أنه لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له.

(واعلم أن قولك: هذا يضاهاى) بالهمز وتركه أي يشابه (قول من يريد أن يصير فقيهاً في علوم الدين من غير أن يدرس) بضم الراء أي يقرأ (علماً) من علوم الدين (واشتغل بالبطالة) أي التعتل، (وقال: إن الله كريم رحيم قادر على أن يفيض) أي يظهر (على قلبي من العلوم ما أفاضه) أي أظهره (على قلوب

أنبيائه وأوليائه من غير جهد وتكرار وتعلم؛ وهو كقول من يريد مالاً فيترك الحراثة والتجارة والكسب ويتعطل وقال: إن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض، وهو قادر على أن يطلعني على كنز من الكنوز أستغني به عن الكسب، فقد فعل ذلك لبعض عباده. فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمتقتهما وسخرت منهما وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقاً وحقاً. فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر في الدين إذا طلبت المغفرة



أنبيائه وأوليائه من غير جهد) أي مشقة (تكرار) أي للدرس (وتعلم) وفي بعض النسخ: وتعلق أي استمسك للعلوم. قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التماذي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة يبذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله مع الإفراط. وقد نظم هذا المعنى [من بحر البسيط]:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْكَ مَسَالِكَهَا * إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ


(وهو كقول من يريد مالاً فيترك الحراثة) أي الزراعة (والتجارة) أي التصرف في البيع والشراء (والكسب) أي طلب الرزق بصناعة ونحوها، (ويتعطل) أي يبقى بلا عمل (وقال: إن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض، وهو قادر على أن يطلعني على كنز من الكنوز) التي في الأرض (أستغني به) أي بذلك الكنز (عن الكسب، فقد فعل) أي الله سبحانه وتعالى (ذلك) أي الإطلاع على الكنز (لبعض عباده) ممن يشاء الله تعالى.

(فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين) من يريد علماً ومن يريد مالاً (استحمتقتهما) أي عددتهما (أحمقين، (وسخرت) بكسر الخاء أي هزأت (منهما وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقاً) أي غير كذب (وحقاً) أي صحيحاً ثابتاً في نفس الأمر، وذلك لأن الله تعالى أجرى لكل شيء يحتاج إليه الشخص سبباً وطريقاً يوصل لمراده، ولو لا ذلك لما قال الله تعالى لسيدتنا مريم: ﴿ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ الْجِدْعَ النَّخْلَةَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَلِيئًا ﴾^(١)، فإن الله تعالى قادر أن يسقط رطباً على سيدتنا مريم من غير تحريك الجذع من مريم، إلا أن الله تعالى أجرى كل شيء على طريقة، ولذا قال بعضهم [من بحر الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ * وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ الْجِدْعَ يُسَاقِطُ الرُّطْبَ
وَلَوْ شَاءَ أَجْنَى الْجِدْعَ مِنْ غَيْرِ هَزَّهَا * وَلَكِنَّ هَزَّ الْجِدْعَ كَانَ هُوَ السَّبَبَ

(فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر) أي أصحاب المعارف (في الدين إذا طلبت المغفرة) من

بغير سعي لها. والله تعالى يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، ويقول: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ويقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾. فإذا لم تترك السعي في طلب العلم والمال اعتماداً على كرمه، فكذلك لا تترك التزود للآخرة ولا تفتر، فإن رب الدنيا والآخرة واحد، وهو فيهما كريم رحيم، وليس يزيد له كرم بطاعتك، وإنما كرمه في أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياماً قلائل، وهذا نهاية الكرم. فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين، واقتد بأولي العزم والنهي من الأنبياء والصالحين، ولا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع، وليت من صام وصلّى وجاهد واتقى غفر له...

الله تعالى (بغير سعي) أي كسب (لها) أي المغفرة، وذلك خطأ وضلال. (والله تعالى يقول)  في سورة النجم: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١) أي عمل، (ويقول: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢))، ويقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ أي المؤمنين الصادقين في إيمانهم بأداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي محيط بهم أبد الأبدن ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ أي الذين من شأنهم الخروج عن رضا الله تعالى إلى سخطه ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾^(٣) أي نار محرقة تتوقد غاية التوقد.

(فإذا لم تترك السعي في طلب العلم والمال اعتماداً على كرمه) سبحانه وتعالى، (فكذلك لا تترك التزود للآخرة) من الأعمال الصالحات (ولا تفتر) بضم التاء بعد الفاء أي لا تلن في العمل بعد شدتك، وفي بعض النسخ: ولا تغتر أي لا تغفل عن العمل. (فإن رب الدنيا والآخرة واحد، وهو) أي الرب (فيهما كريم رحيم، وليس يزيد له كرم بطاعتك) وفي نسخة: بتمنيك، (وإنما كرمه) سبحانه وتعالى (في أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياماً قلائل) أي مدة حياتك في الدنيا. (وهذا) أي التيسير (نهاية الكرم. فلا تحدث نفسك) أي قلبك (بتهويسات البطالين) أي باعتمادات من لا عمل لهم، (واقتمد) في إكثار العبادات (بأولي العزم) أي العزيمة في الأمر، (والنهي) أي العقول، وهو بضم النون وفتح الهاء جمع نهية، وسمي العقل بها. (من الأنبياء والصالحين، ولا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع) فإن ذلك أمنية وليس برجاء، قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤)، (وليت من صام وصلّى وجاهد واتقى) الله تعالى بترك المعاصي (غفر له) قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾^(٥) أي فمن كان يخاف المصير إليه تعالى أو من كان يأمل رؤية ربه، فليعمل عملاً يرتضيه الله تعالى ولو قليلاً.

(٤) سورة فصلت [٤١] الآية: ٢٣

(٥) سورة الكهف [١٨] الآية: ١١٠

(١) سورة النجم [٥٣] الآية: ٣٩

(٢) سورة الطور [٥٢] الآية: ١٦

(٣) سورة الانفطار [٨٢] الآية: ١٣ - ١٤

فهذه جمل مما ينبغي أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة، وأعمال هذه الجوارح إنما تترشح من صفات القلب. فإن أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب فهو تقوى الباطن. والقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح بها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد. فاشتغل بإصلاحه لتصلح به جوارحك، وصلاحه يكون بملازمة المراقبة.



(فهذه) أي المذكورات في القسم الثاني (جمل مما ينبغي أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة) أي السبعة المتقدمة وغيرها. (وأعمال هذه الجوارح إنما تترشح) أي تنشأ (من) صفات القلب، فإن أردت حفظ الجوارح) أي الظاهرة (فعليك بتطهير القلب، فهو تقوى الباطن) قال أحمد بن خضرويه: القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح.

(والقلب هو المضغة) أي قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم، لكنها وإن صغرت في الصورة عظمت في الرتبة. (التي إذا صلحت) أي بالإيمان والعلم والعرفان، وهو بفتح اللام وضمها والفتح أفصح وأشهر. (صلح بها) أي بالمضغة (سائر الجسد) بالأعمال والأحوال. (وإذا فسدت) أي بالجحود والكفران، وهو بفتح السين وضمها والفتح أفصح وأشهر. (فسد بها سائر الجسد) بالفجور والعصيان. ومن ثم قيل: إن القلب كالملك، والجسد والأعضاء كالرعية، ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده. وأيضاً هو كالأرض، وحركات الجسد كالنبات، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً. وأيضاً هو كالعين، والجسد كالزرع، إن عذب ماء العين عذب الزرع، وإن ملح ملح. ولما سأل عمر بن عبد العزيز رجلاً من رعيته: كيف حال أميركم؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إذا طابت العين عذبت الأنهار.

وإذا كان الأمر كذلك (فاشتغل بإصلاحه) أي القلب (لتصلح به جوارحك) أي الظاهرة، (وصلاحه يكون بملازمة المراقبة) وهي استحضار القلب مع الله تعالى وانصراف الهمم إليه. وقال بعضهم: صلاح القلب في خمسة أشياء: كثرة الجوع، وقراءة القرآن بتدبر المعنى، والتضرع بالكاء عند السحر، والصلاة في الليل، ومجالسة الصالحين. ونظمها بعضهم [من بحر البسيط] فقال:

دَوَاءُ قَلْبِكَ حَمْسٌ عِنْدَ قَسْوَتِهِ * قَدُمُ عَلَيْهَا تَفُزْ بِالْخَيْرِ وَالظَّفَرِ
خَلَاءَ بَطْنٍ وَقُرْآنٌ تُدَبِّرُهُ * كَذَا تَضَرُّعُ بَاكِ سَاعَةَ السَّحْرِ
كَذَا قِيَامُكَ جُنْحَ اللَّيْلِ أَوْسَطُهُ * وَأَنْ تُجَالِسَ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْخَبْرِ

وزاد بعضهم أشياء آخر ونظمتها [من البسيط] بقولي:

أَكَلُ الْحَلَالِ وَصَمْتُ عَزْلَةٍ وَكَذَا * تَرَكُّ لِحَوْضِ بِمَا لِلنَّاسِ مِنْ سِيرِ

القول في معاصي القلب

اعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة، وطريق تطهير القلب من رذائلها طويلة، وسبيل العلاج فيها غامض. وقد اندرس بالكلية علمه وعمله لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا. وقد استقصينا ذلك كله في كتاب إحياء علوم الدين في ربع المهلكات وربع المنجيات. ولكننا نحذرك الآن ثلاثاً من خباثات القلب، وهي الغالبة على متفقهة العصر لتأخذ منها حذرك فإنها مهلكات في أنفسها وهي

القول في معاصي القلب



الخصال المذكورة تحت هذه الترجمة داخلة تحت القسم الثاني الذي هو اجتناب المعاصي، لأنها ظاهرة وباطنة، فالمذكورة هنا الباطنة. (اعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة) لأن الإنسان اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف، وهي: السبعة والبهيمية والشيطانية والربانية، وكل ذلك مجموع في القلب، فيجتمع في الإنسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم. فالخنزير هو الشهوة، والكلب هو الغضب، والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع، والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان. فطاعة خنزير الشهوة يصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملك والحسد والحقد والشماتة وغيرها. وطاعة كلب الغضب ينتشر منها إلى القلب صفة الظهور والبذاءة والبدخ والصلف والاستشاطاة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها. وطاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب يحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجرأة والتلبس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها. ولو قهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية: العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه.

(وطريق تطهير القلب من رذائلها) أي خسائسها أي الصفات المذمومة (طويلة، وسبيل العلاج) أي المداواة (فيها) أي تلك الصفة (غامض) أي صعب. (وقد اندرس) أي انمحي (بالكلية علمه) أي العلاج (وعمله لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا) أي بزيتها، وهذا من عطف السبب على المسبب. (وقد استقصينا ذلك) أي المذكور (كله) من الصفات المذمومة وطريق تطهير القلب منها أي ذكرنا ذلك حتى بلغ أبعده (في كتاب إحياء علوم الدين في ربع المهلكات وربع المنجيات) فالمهلكات هي في الربع الثالث، والمنجيات هي في الربع الرابع.

(ولكننا نحذرك) أي نخوفك (الآن ثلاثاً من خباثات القلب، وهي الغالبة على متفقهة العصر) أي هذا الزمن (لتأخذ منها حذرك) أي لتبعد عنها بتيقظك، (فإنها) أي الثلاث (مهلكات في أنفسها، وهي)

أمهات لجملة من الخباثت سواها، وهي: الحسد والرياء والعجب. فاجتهد في تطهير قلبك منها. فإن قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر من بقيتها من ربع المهلكات، فإن عجزت عن هذا فأنت عن غيره أعجز؛ ولا تظنن أنك تسلم بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك شيء من الحسد والرياء والعجب، وقد قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ». أما الحسد فهو متشعب من الشح. فإن البخيل هو الذي يبخل بما في يده على غيره، والشحيح



أي الثلاث (أمهات) أي أصول (لجملة من الخباثت سواها، وهي) أي الثلاث: (الحسد، والرياء، والعجب، فاجتهد في تطهير قلبك منها) أي من هذه الثلاث.

(فإن قدرت عليها) أي على تطهيرها (١) (فتعلم كيفية الحذر) أي الاحتراز (من بقيتها) أي الخباثت (من ربع المهلكات) أي الذي هو الربع الثالث. (فإن عجزت عن هذا) أي تطهير القلب من هذه الثلاث (فأنت عن غيره) أي عن غير هذا من تطهير القلب عن جميع الخباثت (أعجز) أي أشد عجزاً.

(ولا تظنن أنك تسلم) أي من الإثم (بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك شيء من الحسد والرياء والعجب، وقد قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ» أي من الخصال منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى. وثلاث (مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ) أي بخل يطيعه الإنسان، فلا يؤدي ما عليه من حق الحق وحق الخلق. (وَهَوَى) بالقصر (مُتَّبَعٌ) أي بأن يتبع ما يأمره به هواه (وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ) أي تحسینه فعل نفسه على غيره وإن كان قبيحاً، وهو فتنة العلماء، فَأَعْظَمُ بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ. وقال أيضاً: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ. فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ؛ وَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ؛ وَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ فَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبْرَاتِ - أي شدة البرد - وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ؛ وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ فإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامًا». وقال أيضاً: «ثَلَاثٌ لَمْ تَسَلَمْ مِنْهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ: الْحَسَدُ، وَالظَّنُّ، وَالطَّيْرَةُ؛ أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِالْمَخْرَجِ مِنْهَا؟» قالوا: أبيننا، قال: «إِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْتَغِ، وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَأَمْضِ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللَّهِ».

(أما الحسد فهو متشعب) أي متفرع (من الشح) والحقق والغضب. (فإن البخيل هو الذي يبخل بما في يده) من مال طلب بالشرع وبالمروءة إنفاقه (على غيره) وكان ذلك الغير محتاجاً. (والشحيح

(١) يريد: إزالتها من قلبك اه مصححه.

هو الذي يبخل بنعمة الله تعالى وهي في خزائن قدرته تعالى لا في خزائنه ، على عباد الله تعالى ، فشحه أعظم . والحسود هو الذي يشق عليه إنعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس أو حظ من الحظوظ، حتى إنه ليحب زوالها عنه وإن لم يحصل له بذلك شيء من تلك النعمة ، فهذا منتهى الخبث . فلذلك قال النبي ﷺ : « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » . والحسود هو المعذب الذي لا يرحم ، ولا يزال في عذاب دائم في الدنيا .



هو الذي يبخل بنعمة الله تعالى وهي في خزائن قدرته تعالى لا في خزائنه، على عباد الله تعالى، فشحه أعظم) أي من البخل، لأن الشح هو أن يمنع أحداً عن إعطاء شخص كما يمنع نفسه عن الإعطاء.

(والحسود هو الذي يشق عليه) أي على نفسه (إنعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس) ككثرة الأتباع (أو حظ من الحظوظ) كحصول المنصب ككونه والياً أو قاضياً أو مفتياً، (حتى إنه) أي الحسود (ليحب زوالها) أي تلك النعمة (عنه) أي ذلك العبد. (وإن لم يحصل له) أي للحسود (بذلك) أي الحب والتمني (شيء من تلك النعمة) أي لم ينتقل إليه شيء من المحبوب زواله والتمني حصوله.

(فهذا) أي حب زوال النعمة عن العبد (منتهى الخبث) أي غاية القبح، وهذا أحد مراتب الحسد. والمرتبة الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة. مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة من الرزق نالها غيره وهو يحب أن تكون له، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها. والمرتبة الثالثة: أن لا يشتهي عين تلك النعمة لنفسه بل يشتهي مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها عن المنعم عليه كي لا يظهر التفاوت بينه وبين غيره. فالشق الأول غير مذموم وهو المسمى غبطة ومنافسة، والشق الثاني مذموم. والمرتبة الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثل تلك النعمة، فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عن المنعم عليه، وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين.

(فلذلك) أي لأجل كون الحسد غاية الخبث (قال النبي ﷺ : « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ») رواه ابن ماجه أي لما فيه من نسبة الرب إلى الجهل والسفه ووضع الشيء في غير محله. (والحسود هو المعذب) أي في قلبه (الذي لا يرحم، ولا يزال) أي الحسود (في عذاب دائم في الدنيا) والحسد يهيج خمسة أشياء؛ أحدها: فساد الطاعات، والثاني: فعل المعاصي والشور، والثالث: التعب والهم من غير فائدة، والرابع: عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكماً من أحكام الله تعالى، والخامس: الحرمان ولا يكاد يظفر بمراده.

فإن الدنيا لا تخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه، فلا يزال في عذاب دائم في الدنيا إلى موته ولعذاب الآخرة أشد وأكبر. بل لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان ما لم يحب لسائر المسلمين ما يحب لنفسه، بل ينبغي أن يساهم المسلمين في السراء والضراء، فالمسلمون كالبنين الواحد يشد بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد. فإن كنت لا تصادف هذا من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادير الفروع وعلم الخصومات. وأما الرياء فهو الشرك الخفي، وهو أحد الشركين. وذلك طلبك المنزلة في قلوب الخلق لتنال بها الجاه والحشمة، وحب الجاه من الهوى المتبع، وفيه هلك أكثر الناس، فما أهلك الناس إلا الناس. ولو أنصف الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلاً عن



(فإن الدنيا) أي دارها (لا تخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه) أي قدر، (فلا يزال) أي الحسود (في عذاب دائم في الدنيا) وهو حصول الهم والهيام في العقل والوزر (إلى موته، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر) من العذاب الحاصل في الدنيا. (بل لا يصل العبد إلى حقيقة) كمال (الإيمان ما لم يحب لسائر المسلمين ما يحب لنفسه) من الطاعات والمباحات الدنيوية، وسواء كان ذلك في الأمور الحسبية كالغنى، أو المعنوية كالعلم. (بل ينبغي أن يساهم) أي يشارك (المسلمين في السراء والضراء) أي في حال الخصب والجذب. (فالمسلمون كالبنين الواحد يشد بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد) كما قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا أَشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهْرِ». قال ابن بطال وغيره: المحبة على ثلاثة أقسام: محبة إجلال وتعظيم كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس.

(فإن كنت لا تصادف) أي لا تجد (هذا) أي الحب (من قلبك، فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم) أي أحق بالاعتناء (من اشتغالك بنوادير الفروع) وهي الزائدة من الفرائض (وعلم الخصومات) أي علم ما يقطعها.

(وأما الرياء فهو الشرك الخفي) قال ﷺ: «اتَّقُوا الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرِّيَاءُ»، (وهو أحد الشركين) أي الخفي والجلي. (وذلك) أي أصل الرياء (طلبك المنزلة في قلوب الخلق) بإيرائهم خصال الخير (لتنال بها) أي المنزلة (الجاه) أي القدر (والحشمة) أي الاستحياء أي لتكون معظماً بينهم. (وحب الجاه من الهوى المتبع، وفيه) أي بسبب حب الرياضة (هلك أكثر الناس، فما أهلك الناس إلا الناس) أي بسبب طلبهم القدر من الناس.

(ولو أنصف) أي عدل (الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلاً عن

أعمال العادات ليس يحملهم عليها إلا مراعاة الناس وهي محبطة للأعمال، كما ورد في الخبر: «أَنَّ الشَّهِيدَ يُؤَمَّرُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، اسْتَشْهَدْتُ فِي سَبِيلِكَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّكَ شَجَاعٌ وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَجْرُكَ». وكذلك يقال للعالم والحاج والقارئ.



أعمال العادات ليس يحملهم) أي يعينهم (عليها) أي العلوم والعبادات وأعمال العادات (إلا مراعاة الناس، وهي) أي المراعاة (محبطة للأعمال) أي لثوابها، كما روي عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُرَائِيَّ يُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ: يَا كَافِرُ، يَا فَاجِرُ، يَا غَادِرُ، يَا خَاسِرُ، ضَلَّ سَعْيُكَ وَبَطَلَ أَجْرُكَ فَلَا خَلَاقَ لَكَ الْيَوْمَ، أَلْتَمِسَ الْأَجْرَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ».

(كما ورد في الخبر: «أَنَّ الشَّهِيدَ يُؤَمَّرُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، اسْتَشْهَدْتُ) بالبناء للمفعول أي قتلت شهيداً (في سبيلك) أي لإعلاء دينك، (فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَبْتَ) كذبت (بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّكَ) وفي بعض النسخ: فلان (شَجَاعٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ) لك (وَذَلِكَ) أي المقول (أَجْرُكَ».

وكذلك يقال للعالم والحاج والقارئ) كما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قَدْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثُرَ الْمَالُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقَارِي: أَلَمْ أَعْلَمَكَ مَا أُنزِلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: مَاذَا عَمَلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قُمْتُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فَلَانَ قَارِي، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُوتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَوْسَعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُكَ تَحْتَاجَ إِلَى أَحَدٍ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: فَمَا عَمَلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّكَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُوتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: مَا فَعَلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فَلَانَ جَرِيءٌ وَشَجَاعٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ».

واعلم أن المرائي به كثير، يجمعه خمسة أقسام؛

الأول: الرياء في الدين بالبدن، كإظهار النحول والصفار وتشعيث الشعر، ليدل بالنحول على قلة الأكل، وبالصفار على سهر الليل وعظيم الحزن على الدين، وبالتشعيث على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر.

والثاني: الرياء بالهيئة والزي، كإطراق الرأس في المشي، والهدوء في الحركة، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب، وترك تنظيف الثوب، وتركه مخرقاً، ولبس المرقعة.

والثالث: الرياء بالقول، كالنطق بالحكمة، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، والأمر

وأما العجب والكبر والفخر فهو الداء العضال، وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام، وإلى غيره بعين الاحتقار والذل. ونتيجته على اللسان أن يقول: أنا وأنا، كما قال إبليس للعين: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. وثمرته في المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فيها، وفي المحاوراة الاستنكاف من أن يرد كلامه عليه.



بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات، وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي، وتضعيف الصوت في الكلام، وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن.

والرابع: الرياء بالعمل، كمراعاة المصلي بطول القيام والسجود والركوع، وترك الالتفات، وإظهار السكون، وتسوية القدمين واليدين، وكذلك في الصوم أو الحج والصدقة وإطعام الطعام. والخامس: المراعاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين، كالذي يتكلف أن يستزير عالماً أو عبداً أو ملكاً أو عاملاً من عمال السلطان ليقال: إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين، وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخاً كثيرة واستفاد منهم، فيتباهى بشيوخه.

(وأما العجب والكبر والفخر) أي التعاضم (فهو الداء العضال) بضم العين أي الشديد الذي أعيأ الأطباء، والعجب هو استعظام العمل الصالح. والكبر ينقسم إلى باطن وظاهر، فالباطن هو خلق في النفس وهو الاسترواح إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح. وإذا ظهر خلق الكبر على الجوارح يقال: تكبر، وإذا لم يظهر يقال: في نفسه كبر. والكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به، وأما العجب فلا يستدعي غير المعجب، بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجباً، ولا يتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون مع غيره.

(وهو) أي الكبر (نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام، وإلى غيره بعين الاحتقار والذل) ولذلك يسمى الكبر أيضاً عزة وتعظماً. أما لو استعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يكون مستكبراً عليه، ولو استحققر غيره ومع ذلك رأى أن نفسه أحقر لم يتكبر، ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر. بل المتكبر أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره.

(ونتيجه) أي الكبر (على اللسان أن يقول: أنا وأنا، كما قال إبليس للعين: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾) أي آدم ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ﴾ أي آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾^(١) ومن قال أنا وقع في العنا. (وثمرته) أي الكبر (في المجالس الترفع والتقدم) على عباد الله تعالى، (وطلب التصدر) أي الارتفاع (فيها) أي المجالس، (وفي المحاوراة) أي المجاوبة (الاستنكاف) أي الامتناع (من أن يرد كلامه عليه).

والمتكبر هو الذي إن وعظ أنف، وإن وعظ عنف. فكل من رأى نفسه خيراً من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر، بل ينبغي لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله في دار الآخرة وذلك غيب، وهو موقوف على الخاتمة. فاعتقادك في نفسك أنك خير من غيرك جهل محض، بل ينبغي أن لا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك، وأن الفضل له على نفسك. فإن رأيت صغيراً قلت: هذا لم يعص الله تعالى وأنا عصيته، فلاشك أنه خير مني؛ وإن رأيت كبيراً قلت: هذا قد عبد الله تعالى قبلي،



(والمتكبر هو الذي إن وعظ) بالبناء للمفعول أمر بالطاعة (أنف) بكسر النون أي استتكف من القبول، (وإن وعظ) بالبناء للفاعل (عنف) بفتح النون أي في النصيح، وإن رد عليه بشيء من قوله غَضِبَ، وإن علم لم يرفق بالتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالاً واستحقاراً. (فكل من رأى) أي ظن (نفسه خيراً من أحد من خلق الله فهو متكبر، بل ينبغي) أي يجب (لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله في دار الآخرة وذلك غيب) عن الخلق، (وهو موقوف على الخاتمة) أي خاتمة الأمر حالة الموت وهو موت السعادة.

(فاعتقادك في نفسك أنك خير من غيرك جهل محض، بل ينبغي) أي يندب (أن لا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك، وأن الفضل له على نفسك) فسييلك في اكتساب التواضع أن تتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليك التواضع في محاسن العادات ليزول به الكبر عنك، فإن خف عليك ذلك فقد حصل لك خلق التواضع؛ وإن كان يثقل عليك ذلك وأنت تفعل ذلك فأنت متكلف لا متواضع، بل الخلق ما يصدر عنك الفعل بسهولة من غير ثقل. واعلم أن الخلق له طرفان وواسطة، فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبراً، وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسؤاً ومذلة، والوسط يسمى تواضعاً. والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسؤ. فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطها؛ فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر، ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه. والعالم إذا دخل عليه سوقي مثلاً فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه فقد تخاسأ أو تذل وهو غير محمود، بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطى كل ذي حق حقه. فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته، فأما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك، وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه أحرف منه على غيره فلا يحتقره.

(فإن رأيت صغيراً قلت) في قلبك: (هذا) أي الصغير (لم يعص الله تعالى وأنا عصيته، فلاشك أنه خير مني. وإن رأيت كبيراً) أي شخصاً أكبر منك في السن وهو متعبد (قلت: هذا قد عبد الله تعالى قبلي،

فلاشك أنه خير مني. وإن كان عالمًا قلت: هذا أعطي ما لم أعط، وبلغ ما لم أبلغ، وعلم ما جهلت فكيف أكون مثله؟ وإن كان جاهلاً قلت: هذا قد عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله علي أكد، وما أدري بم يختم لي وبم يختم له. وإن كان كافرًا قلت: لا أدري عسى أن يسلم ويختم له بخير العمل، وينسل بإسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين؛ وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلني الله تعالى فأكفر فيختم لي بشر العمل، فيكون هو غداً من المقربين وأكون من المبعدين. فلا يخرج الكبر من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى، وذلك موقوف على الخاتمة وهي مشكوك فيها، فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى،



فلا شك أنه خير مني) لأن العبادة المتوالية تتضاعف، فإن الصلاة الأولى مثالها أجر واحد، والثانية لها أجران، والثالثة لها ثلاثة أجور، وهكذا أفاده بعضهم.


(وإن كان) أي الشخص الكبير (عالمًا قلت: هذا أعطي ما لم أعط) من العلم، (وبلغ ما لم أبلغ) من الرتبة العالية، (وعلم ما جهلت) من الأحكام، (فكيف أكون مثله) في الدرجة؟ وأفاد بعضهم أن من انتسب إلى رسول الله ﷺ، وهو من أولاد سيدنا الحسن أو الحسين، وهو غير عالم يفوق على غيره ممن يساويه في الرتبة بستين درجة، وأن العالم الذي لم ينسب إليه ﷺ يفوق على غير العالم ممن انتسب إليه ﷺ بستين درجة.

(وإن كان) أي الشخص الكبير في السن (جاهلاً) وعاصياً (قلت) في قلبك: (هذا قد عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم، فحجة الله علي أكد) أي أشد وأقوى، (وما أدري بم يختم لي وبم يختم له) أي الجاهل من السعادة أو الشقاوة.

(وإن كان) أي الشخص الكبير في السن (كافرًا قلت) في نفسك: (لا أدري) ما يفعل به في المستقبل (عسى أن يسلم) أي الكافر غداً (ويختم له) أي الكافر (بخير العمل، وينسل) أي يخرج (بإسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين؛ وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلني الله تعالى) عن دين الإسلام (فأكفر فيختم لي بشر العمل، فيكون هو) أي الكافر (غداً) أي في الآخرة عند الله خيرًا مني ويكون (من المقربين) قريبًا معنويًا، فيكون في أعلى الدرجات، (وأكون) أنا (من المبعدين) من رحمة الله تعالى، وفي نسخة: من المعذبين.

(فلا يخرج الكبر من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى، وذلك) أي هذا العرفان (موقوف على الخاتمة) الحسنی (وهي مشكوك فيها) عندك. (فيشغلك خوف الخاتمة) السوء (عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى) (والجار والمجرور الأول متعلق بيشغلك، والثاني متعلق بتتكبر، والظرف متعلق بمحذوف حال من خوف الخاتمة أي مصحوبًا بالشك فيها.

فيقينك وإيمانك في الحال لا يناقض تجويزك التغيير في الاستقبال، فإن الله تعالى مقلب القلوب يهدي من يشاء ويضل من يشاء.....

 فيقينك) في نفسك وفي غيرك بالخير أو الشر (وإيمانك في الحال لا يناقض تجويزك التغيير في الاستقبال) أي في آخر العمر، (فإن الله تعالى مقلب القلوب يهدي من يشاء) فيختم له بخاتمة السعادة (ويضل من يشاء) فيختم له بخاتمة الشقاوة. قال بعضهم في شرح وصية الشيخ الكامل إبراهيم المتبولي: وكمال مقام التواضع لا يحصل إلا بشهود العبد في نفسه أنه دون كل أحد من المسلمين، وأنه ليس على وجه الأرض أحدًا أكثر عصيَانًا ولا أقل أدبًا وحياءً منه على سبيل اليقين لا على سبيل الظن. فإن من رأى نفسه فوق أحد من العصاة على غير وجه الشكر لله تعالى فقد شرع في درجات الكبر، وقد أجمع العارفون على أن من عنده شيء من الكبر لا يصح له المداومة على دخول حضرة الله تعالى أبدًا ولو عبد الله تعالى في الظاهر عبادة الثقيلين. انتهى.

واعلم أن الإنسان لا يستعظم نفسه إلا وهو يعتقد أن لها صفة من صفات الكمال دينية أو دنيوية. فأسباب الكبر سبعة؛

الأول: العلم، قال ﷺ: « آفةُ العِلْمِ الخِيَلَاءُ ». والعلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربّه وخطر الخاتمة، وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم.

والثاني: العمل والعبادة، فالعلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات؛

الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلبه يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرًا من نفسه. وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر، ولكنه قطع أغصانها بالكلية.

الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الإنكار على من يقصر في حقه، وأدنى ذلك في العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم، وفي العابد أن يعبس وجهه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم.

الثالثة: أن يظهر الكبر على لسانه حتى يدعو إلى الدعوى والمفاخرة وتزكية النفس، كأن يقول العابد لغيره: من هو، وما عمله، ومن أين زهده؟ ويقول: إني لم أفطر منذ كذا وكذا، ولا أنام الليل؛ وكان يقول العالم: أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق، ورأيت من الشيوخ فلانًا وفلانًا، من أنت، وما فضلك، ومن لقيت، وما الذي سمعت من الحديث؟

والسبب الثالث: النسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً وعلماً.

والرابع: الجمال، وذلك أكثر ما يجري بين النساء، ويدعو ذلك إلى الغيبة وذكر عيوب الناس.

والأخبار في الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة، ويكفيك فيها حديث واحد جامع فقد روى ابن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ: حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. قال: فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال: واشوقاه إلى رسول الله ﷺ وإلى لقائه، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: « يَا مُعَاذُ، إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ، إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَا مُعَاذُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاقَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّبْعِ مَلَكًا بَوَّابًا عَلَيْهَا. فَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ حِينَ يُصْبِحُ إِلَى حِينَ يُمَسِّي، لَهُ نُورٌ.....



والخامس: المال، وذلك يجري بين الملوك في خزائهم، وبين التجار في بضائعهم،

وبين الدهاقين في أراضيهم، وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم.

والسادس: القوة والتكبر بها على أهل الضعف.

والسابع: الأتباع والتلامذة والأقارب، ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود، وبين

العلماء في المكاثرة بالمستفيدين.

فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالاً وإن لم يكن في نفسه كمالاً أمكن أن يتكبر به، حتى

أن الفاسق قد يفتخر بكثرة الفجور بالنسوان، ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئاً فيه.

(والأخبار في الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة، ويكفيك فيها) أي هذه الأربعة (حديث

واحد جامع) لتلك الأربعة. (فقد روى) القاضي المروزي وعبد الله (ابن المبارك) رحمهما الله تعالى

(بإسناده) أي ابن المبارك (عن رجل) وهو خالد بن معدان (أنه قال لمعاذ) ابن جبل رضي الله عنه الذي

قال في حقه رسول الله ﷺ: « أَعْلَمُكُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ »، يا معاذ (حدثني حديثاً سمعته

من رسول الله ﷺ) فحفظته وذكرتَه في كل يوم من شدته ودقته، (قال) أي ذلك الرجل: (فبكى معاذ)

بكاء طويلاً (حتى ظننت أنه لا يسكت، ثم سكت ثم قال) أي معاذ تلهفًا: (واشوقاه إلى رسول الله ﷺ

وإلى لقائه، ثم قال) أي معاذ: (سمعت رسول الله ﷺ) يقول: « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَقْضِي فِي خَلْقِهِ مَا

يَشَاءُ، وَهُوَ رَاكِبٌ، وَقَدْ أَرْدَفَنِي خَلْفَهُ رَافِعًا بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ »، ثم يقول لي: « يَا مُعَاذُ، إِنِّي مُحَدِّثُكَ

بِحَدِيثٍ) أي واحد (إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ عِنْدَ اللَّهِ) أي في الدارين، (وَإِنْ أَنْتَ ضَيَعْتَهُ) أي نسيته (وَلَمْ

تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَا مُعَاذُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاقَ قَبْلَ

أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّبْعِ مَلَكًا بَوَّابًا) خازنًا (عَلَيْهَا)

أي كل سماء، فكان كل ملك على قدر الباب وجلالته.

(وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ) الكائن (مِنْ حِينَ يُصْبِحُ إِلَى حِينَ يُمَسِّي، لَهُ) أي لذلك العمل (نُورٌ

كَنُورِ الشَّمْسِ، حَتَّى إِذَا صَعِدَتْ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا زَكَّتَهُ وَكَثَّرَتْهُ، فَيَقُولُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا لِلْحَفْظَةِ: اضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الْغَيْبَةِ، أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلٌ مِّنْ أَغْتَابِ النَّاسِ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي». قَالَ: «ثُمَّ تَأْتِي الْحَفْظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِّنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ، لَهُ نُورٌ فَتُزَكِّيهِ وَتُكثِّرُهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ. فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا. أَنَا مَلِكُ الْفَخْرِ، أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ». قَالَ: «وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَبْتَهِجُ نُورًا مِّنْ صَدَقَةٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ قَدْ أَعْجَبَ الْحَفْظَةَ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ. أَنَا مَلِكُ الْكِبَرِ، أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ».....



كَنُورِ الشَّمْسِ، حَتَّى إِذَا صَعِدَتْ) أي الحفظة (به) أي بذلك العمل (إلى السماء الدنيا) أي القربى من الأرض وانتهى إلى الباب، وله مصراعان من ذهب ومغاليقها من نور ومفاتيحها اسم الله الأعظم. (زكَّته) أي مدحته (وَكثَّرَتْهُ) أي عدته كثيرا، (فَيَقُولُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا) أي السماء الدنيا (لِلْحَفْظَةِ: اضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ. أَنَا) ملك (صَاحِبُ الْغَيْبَةِ، أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ) أي أترك (عَمَلٌ مِّنْ أَغْتَابِ النَّاسِ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي) « من بواب آخر.

(قال) ﷺ: «ثُمَّ تَأْتِي الْحَفْظَةُ) من الغد (بِعَمَلٍ صَالِحٍ) أي خال من إثم الغيبة (مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ، لَهُ نُورٌ فَتُزَكِّيهِ وَتُكثِّرُهُ حَتَّى) يجاوز السماء الأولى و(تَبْلُغُ بِهِ) أي بذلك العمل (إلى السماء الثانية) واسمها الماعون وهي من حديد أو مرمره بيضاء، (فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا) أي بالسماء الثانية، واسمه روبايل: (قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ) أي صاحب هذا العمل (أَرَادَ بِعَمَلِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا) أي منفعتها. (أَنَا مَلِكُ الْفَخْرِ) أي أنا الملك الموكل باحتراز الفخر، (أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ) أي هذا المفتخر (يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي) من بواب آخر، (إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ) « فتلعنه الملائكة حتى يمسي.

(قال) ﷺ: « وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَبْتَهِجُ) أي يضيء (نُورًا مِّنْ صَدَقَةٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ) وكثير من البر، (قَدْ أَعْجَبَ) أي ذلك العمل (الْحَفْظَةَ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ) أي العمل السماء الأولى والثانية وانتهوا به (إلى السماء الثالثة) وهي من نحاس، وقيل: من حديد، ويقال لها: هاربوت. وتسيح أهلها: سبحان الحي الذي لا يموت، ومن قالها كان له مثل ثوابهم. (فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا) أي بالسماء الثالثة: (قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أَنَا مَلِكُ الْكِبَرِ) أي ملك صاحب الكبر، (أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي) أي من بواب بعدي (إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ)».

قال: « وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَزْهُو كَمَا يَزْهُو الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ وَلَهُ دَوِيٌّ مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ. فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ. أَنَا صَاحِبُ الْعُجْبِ، أَمْرَتِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَدْخَلَ الْعُجْبَ فِيهِ ». قال: « وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ كَأَنَّهُ الْعُرُوسُ الْمَرْقُوفَةُ إِلَى بَعْلِهَا، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَأَحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِ. أَنَا مَلِكُ الْحَسَدِ، إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلًا مِنَ الْعِبَادَةِ كَانَ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ، أَمْرَتِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ». قال: « وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ لَهُ ضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَجِهَادٍ وَصِيَامٍ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى



(قال) ﴿...﴾: «(وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَزْهُو) أَي يَضِيءُ (كَمَا يَزْهُو الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ)»

بضم الدال وكسرها أي المضيء، (ولَهُ دَوِيٌّ) أي حفيف، كحفيف النحل وحفيف جناح الطائر وحفيف الريح (مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ) السماء الثالثة وانتهوا به (إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ) وهي من نحاس، وقيل: من فضة، ويقال لها: الزاهر. وتسبيح أهلها: سبحان الملك القدوس، من قالها كتب له مثل ثوابهم. (فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا) أي بالسماء الرابعة: (قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ. أَنَا) ملك (صَاحِبُ الْعُجْبِ، أَمْرَتِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي) من بواب بعدي (إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَدْخَلَ الْعُجْبَ فِيهِ) أي في ذلك العمل.

(قال) ﴿...﴾: «(وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ) من جهاد وحج وعمرة، له ضوء كضوء الشمس (حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ) من السماء الرابعة (إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ) وهي من فضة، وقيل: من ذهب، ويقال لها:

المسهرة، وذلك العمل يزف (كَأَنَّهُ الْعُرُوسُ الْمَرْقُوفَةُ إِلَى بَعْلِهَا) أي زوجها، (فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا) أي السماء الخامسة: (قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَأَحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِ) وهو محل الرداء، وهو ما بين المنكب والعنق. (أَنَا مَلِكُ الْحَسَدِ، إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ أَي يَفْعَلُ (فَضْلًا مِنَ الْعِبَادَةِ كَانَ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ) أي يغتاب (فِيهِمْ) وفي منهاج العابدين فيقول الملك: أنا ملك صاحب الحسد، إنه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد سخط ما رضي الله. (أَمْرَتِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي) من بعد هذه السماء.

(قال) ﴿...﴾: «(وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ، لَهُ ضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ مِنْ) وضوء تام و (صَلَاةٍ)

كثيرة (وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَجِهَادٍ وَصِيَامٍ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ) أي بذلك العمل من السموات الخمس (إِلَى

السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَانًا قَطُّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ مَرَضٌ، بَلْ كَانَ يَشْمَتُ بِهِ. أَنَا مَلِكُ الرَّحْمَةِ، أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي». قال: «وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَوْمٍ وَصَلَاةٍ وَتَفَقُّةٍ وَجِهَادٍ وَوَرَعٍ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِي النَّحْلِ وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مَلِكٍ فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَأَضْرِبُوا بِهِ جَوَارِحَهُ، وَأَقْفَلُوا بِهِ عَلَى قَلْبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الذِّكْرِ، فَإِنِّي أَحْجُبُ عَنْ رَبِّي كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يَرِدْ بِهِ وَجْهَ رَبِّي، إِنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ رِفْعَةً عِنْدَ الْفُقَهَاءِ وَذِكْرًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَصِيَّتًا فِي الْمَدَائِنِ. أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصًا فَهُوَ رِيَاءٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ الْمُرَائِي».....



السَّمَاءِ السَّادِسَةِ) وهي من ذهب، وقيل: من جوهر، ويقال لها: الخالصة. (فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا) أي بالسماة السادسة، واسمه طوطيل: (قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَانًا قَطُّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ مَرَضٌ، بَلْ كَانَ يَشْمَتُ بِهِ) بفتح الميم أي يفرح بمصيبة نزلت بالإنسان. (أَنَا مَلِكُ الرَّحْمَةِ) أي أنا ملك صاحب الرحمة، (أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي) من خازن بعدي.

(قال) ﷺ: «وَتَصْعَدُ الْحَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَوْمٍ وَصَلَاةٍ وَتَفَقُّةٍ) أي كثيرة في سبيل الله (وَجِهَادٍ) لإعلاء دين الله (وَوَرَعٍ) أي نقاء من الحرام والشبهة، (لَهُ) أي لذلك العمل (دَوِيٌّ) أي صوت خفي (كَدَوِيِّ النَّحْلِ وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ) وفي منهاج العابدين: له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق. (وَمَعَهُ) أي ذلك العمل (ثَلَاثَةُ آلَافٍ مَلِكٍ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ) من السموات الستة (إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ) وهي من ياقوتة حمراء، ويقال لها: اللابية. وتسبيح أهلها: سبحان خالق النور، ومن قالها كان له مثل ثوابهم. (فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا) أي بتلك السماء السابعة: (قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَأَضْرِبُوا بِهِ جَوَارِحَهُ) أي أعضائه التي يكسب بها (وَأَقْفَلُوا) أي اغلقوا واضربوا (بِهِ) أي بذلك العمل (عَلَى قَلْبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الذِّكْرِ) أي السمعة والصيت في الناس، (فَإِنِّي أَحْجُبُ عَنْ رَبِّي كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يَرِدْ) أي لم يقصد (بِهِ وَجْهَ رَبِّي، إِنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ) أي بذلك العمل (رِفْعَةً عِنْدَ الْفُقَهَاءِ) وعند القراء، (وَذِكْرًا) في المجالس (عِنْدَ الْعُلَمَاءِ)، وجاهاً عند الكبراء، (وَصِيَّتًا) بكسر الصاد أي ذكراً جميلاً بين الناس منتشرًا (فِي الْمَدَائِنِ) أي البلدان، (أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي) من الحجب التي بعد هذا الباب. (وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصًا فَهُوَ رِيَاءٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ الْمُرَائِي)».

قال: « وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَخُلِقَ حَسَنٌ وَصَمْتٌ وَذَكَرٌ لِلَّهِ تَعَالَى فَتَشْبِهُهُ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ حَتَّى يَقْطَعُوا بِهِ الْحُجُبَ كُلَّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقْفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتُمْ الْحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهَذَا الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ غَيْرِي، فَعَلِيهِ لَعْنَتِي. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا: عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا، فَتَلْعَنُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ». ثم بكى معاذ وانتحب انتحاباً شديداً. وقال معاذ: قلت: يا رسول الله، أنت رسول الله، وأنا معاذ، فكيف لي بالنجاة والخلاص من ذلك؟ قال: « اِقْتَدِ بِي وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ. يَا مُعَاذُ، حَافِظٌ عَلَى لِسَانِكَ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ خَاصَّةً، وَاحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ، وَلَا تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ،

(قال) ﷺ: « وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَخُلِقَ حَسَنٌ وَصَمْتٌ أَي سَكَوتٌ عَمَّا لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (وَذَكَرٌ لِلَّهِ تَعَالَى) فِي السَّرِّ وَالجَهْرِ، (فَتَشْبِهُهُ) أَي تَتَّبِعُهُ (مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ حَتَّى يَقْطَعُوا) أَي يَجَاوِزُوا (بِهِ) أَي بِذَلِكَ الْعَمَلِ (الْحُجُبَ كُلَّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقْفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ) جَلَّ جَلَالُهُ (وَيَشْهَدُونَ لَهُ) أَي ذَلِكَ الْعَبْدِ (بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ تَعَالَى) أَي بِحَسَبِ عِلْمِهِمْ. (فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى) لَهُمْ: (أَنْتُمْ الْحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا الرَّقِيبُ) أَي الْحَافِظُ (عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهَذَا الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ غَيْرِي) وَمَا أَخْلَصَهُ لِي وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ مِنْ عَمَلِهِ. عَلَيْهِ لَعْنَتِي، غَرَّ الْآدَمِيِّينَ وَغَرَّكُمْ وَلَمْ يَغْرِنِي، وَأَنَا عَلَامُ الْغُيُوبِ، الْمَطَّلَعُ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ، لَا تَخْفَى عَلَيَّ خَافِيَةٌ، وَلَا تَعْزُبُ عَنِّي عَازِبَةٌ، عِلْمِي بِمَا كَانَ كَعِلْمِي بِمَا يَكُونُ، وَعِلْمِي بِمَا مَضَى كَعِلْمِي بِمَا بَقِيَ، وَعِلْمِي بِالْأَوَّلِينَ كَعِلْمِي بِالْآخِرِينَ، أَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفَى، فَكَيْفَ يَغْرِنِي عَبْدِي بِعَمَلِهِ؟ إِنَّمَا يَغْرُ الْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَأَنَا عَلَامُ الْغُيُوبِ. (فَعَلِيهِ لَعْنَتِي. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا) أَي مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ الْمَشِيعُونَ: يَا رَبَّنَا (عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا، فَتَلْعَنُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ) ».

(ثم بكى معاذ) رحمه الله (وانتحب) أي رفع صوته بالبكاء (انتحاباً شديداً، وقال معاذ: قلت: يا رسول الله، أنت رسول الله) أي أنت معصوم من الذنوب، (وأنا معاذ) بن جبل أي لست بمعصوم، (فكيف لي بالنجاة والخلاص من ذلك؟) أي المذكور من الغيبة والفخر والكبر والعجب والحسد والسمة والرياء. (قال) ﷺ: « يَا مُعَاذُ، (اِقْتَدِ بِي) أَي فِي الْيَقِينِ (وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ) أَي قُصُور.

(يَا مُعَاذُ، حَافِظٌ عَلَى لِسَانِكَ مِنَ الْوَقِيعَةِ) أَي الْغَيْبَةِ (فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ خَاصَّةً) أَي وَفِي النَّاسِ عَامَةً، (وَاحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ) وَفِي نَسَخَةٍ: عَلَى عَاتِقِكَ، (وَلَا تَحْمِلْهَا) أَي الذُّنُوبَ (عَلَيْهِمْ) أَي

وَلَا تُرِكَ نَفْسُكَ بِدَمِيهِمْ، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ بِوَضْعِهِمْ، وَلَا تُدْخِلْ عَمَلَ الدُّنْيَا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ، وَلَا تُرَاءِ بِعَمَلِكَ، وَلَا تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ النَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ، وَلَا تُتَاجِرَ رَجُلًا وَعِنْدَكَ آخَرَ، وَلَا تَتَعَطَّمْ عَلَى النَّاسِ فَتَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرَاتُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَا تُمَزِّقَ النَّاسَ بِلِسَانِكَ فَتَمَزِّقَكَ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشِطًا﴾ هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ؟ قلت: ما هي بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «كِلابٌ فِي النَّارِ تَنْشُطُ اللَّحْمَ مِنَ الْعَظْمِ». قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من يطبق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال: «يَا مُعَاذُ، إِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، فَإِذَنْ أَنْتَ يَا مُعَاذُ قَدْ سَلِمْتَ». قال خالد بن معدان: فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا



الإخوان. (وَلَا تُرِكَ نَفْسُكَ) متلبساً (بِدَمِيهِمْ) أي الإخوان، (وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ بِوَضْعِهِمْ) على سبيل التكبر، (وَلَا تُدْخِلْ عَمَلَ الدُّنْيَا) كطلب منفعتها (فِي عَمَلِ الآخِرَةِ) من نحو طلب العلم، (وَلَا تُرَاءِ بِعَمَلِكَ) كي تعرف في الناس بل أراه ليقندي بك، ولا تدخل في الدنيا دخولاً ينسبك أمر الآخرة. (وَلَا تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ النَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ) وفي منهاج العابدين: ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك، ولا تمن على الناس. (وَلَا تُتَاجِرَ رَجُلًا) وفي نسخة: خلأً بكسر الخاء أي صديقاً (وَعِنْدَكَ آخَرَ) أي رجل واحد فقط. (وَلَا تَتَعَطَّمْ عَلَى النَّاسِ فَتَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرَاتُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) من نحو المال والعلم لتجنبهم عنك ولعدم تواضعك. (وَلَا تُمَزِّقَ النَّاسَ بِلِسَانِكَ) أي لا تغتب ولا تشتم، (فَتَمَزِّقَكَ كِلَابُ النَّارِ) أي جهنم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشِطًا﴾ (١) هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ؟ أي الناشطات (يَا مُعَاذُ؟) قلت: ما هي بأبي أنت وأمي؟ أي أنت مفدى بأبي وأمي، فالباء للتعدي. (يا رسول الله؟ قال) ﷺ: «هُنَّ كِلَابٌ فِي النَّارِ تَنْشُطُ اللَّحْمَ (مِنْ) الْعَظْمِ».

قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من يطبق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال ﷺ: «يَا مُعَاذُ، إِنَّهُ) أي الذي وصفت لك (لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ) أي المذكور (أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ) من الأمور الأخرى (مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، فَإِذَنْ أَنْتَ يَا مُعَاذُ قَدْ سَلِمْتَ» (وَنجوت).

(قال خالد بن معدان) رحمه الله: (فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا

الحديث العظيم، فتأمل أيها الراغب في العلم هذه الخصال. واعلم أن أعظم الأسباب في رسوخ هذه الخبائث في القلب طلب العلم لأجل المباهاة والمنافسة. فالعامي بمعزل عن أكثر هذه الخصال، والمتفقه مستهدف لها وهو متعرض للهلاك بسببها، فانظر أي أمورك أهم؟ أتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل بإصلاح قلبك وعمارة آخرتك؟ أم الأهم أن تخوض مع الخائضين، فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين؟ واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلب، ولها مغرس واحد وهو حب الدنيا، ولذلك قال النبي ﷺ: « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ »



الحديث العظيم) نبؤه الكبير، خطره الأليم، أثره الذي تطير له القلوب، وتحير له العقول، وتضيق عن حمله الصدور، وتجزع لهوله النفوس. (فتأمل أيها الراغب في العلم هذه الخصال) واعتصم بمولاك إله العالمين، والزم الباب بالتضرع والابتهاج والبكاء أثناء الليل وأطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين، فإنه لا نجاة من هذا الأمر إلا برحمته، ولا سلامة من هذا البحر إلا بعنايته، فجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة، لعلك لا تهلك مع الهالكين.

(واعلم أن أعظم الأسباب في رسوخ) أي ثبوت (هذه الخبائث) أي التي هي الغيبة والفخر والكبر والعجب والحسد والسمعة والرياء (في القلب، طلب العلم لأجل المباهاة) أي المفاخرة (والمنافسة) بالسين المهملة أي الرغبة في كون العلم لنفسه خاصة دون غيره لأنه نفيس. (فالعامي) أي الذي لم يتفقه (بمعزل) أي تبعد (عن أكثر هذه الخصال، والمتفقه مستهدف) أي منتصب (لها) أي هذه الخصال، (وهو متعرض) أي مقبل (للهلاك بسببها) أي هذه الخصال. (فانظر) أي تفكر (أي أمورك) أهم؟ أتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل بإصلاح قلبك وعمارة آخرتك؟ أم الأهم أن تخوض) أي توجد الكلام الذي هو في غير موقعه (مع الخائضين) أي مع المتكلمين بما لا ينفع (فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين؟).

(واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلب) وعد المصنف الكبير والعجب خصلة واحدة لما بينهما من التلازم والتقارب، ولذلك لم يذكرها في أول الباب. (ولها) أي لهذه الثلاثة (مغرس) أي أصل (واحد وهو حب الدنيا، ولذلك قال النبي ﷺ: « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ») فإنه يوقع في الشبهات ثم في المكروهات ثم في المحرمات، وكما أن حبها رأس كل خطيئة فيغضها رأس كل حسنة. روى هذا الحديث البيهقي عن الحسن البصري مرسلًا، كذا في الجامع الصغير وشرحه. وقال الزرقاني: وهذا من كلام مالك بن دينار كما رواه ابن أبي الدنيا، أو من كلام عيسى عليه السلام كما رواه البيهقي في الزهد، وقال في شعب الإيمان: هذا لا أصل له عن النبي ﷺ، إنه من مراسيل الحسن البصري.

ومع هذا فالدنيا مزرعة للآخرة، فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة ليستعين بها على الآخرة فالدنيا مزرعته، ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته. فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى وهي بداية الهداية. فإن جربت بها نفسك وطاوعتك عليها فعليك بكتاب إحياء علوم الدين، لتعرف كيفية الوصول إلى باطن التقوى.....



(ومع هذا فالدنيا) أي دار الدنيا (مزرعة ل) دار (الآخرة، فمن أخذ من الدنيا) شيئاً (بقدر

الضرورة) أي الحاجة (ليستعين بها) أي بالدنيا، وفي بعض النسخ: به أي بالقدر المأخوذ (على الآخرة فالدنيا مزرعته، ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته) قال بعضهم: طلب الكسب لازم، وهو أربعة أنواع: فرض وهو كسب أقل الكفاية لنفسه وعياله ودينه، ومستحب وهو الزائد على ذلك ليواسي به فقيراً أو يصل به رحماً وهو أفضل من نفل العبادة، ومباح وهو كسب الزائد على ذلك للتنعم والتجمل، وحرام وهو كسب ما أمكن للتكاثر والتفاخر أي ادعاء العظم والشرف.

(فهذه) أي المذكورات من أول الكتاب (نبذة يسيرة) أي شيء قليل (من ظاهر علم التقوى وهي بداية الهداية. فإن جربت) أي اختبرت مرة بعد أخرى (بها) أي بهذه البداية (نفسك) أي الأمانة وغيرها (وطاوعتك) أي انقادت لك (عليها) أي على أداء مقتضاها، (فعليك) أي الزم وتمسك (بكتاب إحياء علوم الدين، لتعرف كيفية الوصول إلى باطن التقوى) وأنقل منه الآن شيئاً مما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة، وهو:

فإذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر. فاعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوئاً بالاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى. وإذا آتيت بالطهارة فلا تغفل عن قلبك، فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرطت.

وأما ستر العورة، فاعلم أن معناه: تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق، فما بالك بعورات باطنك وفضائح سرائرك؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك، وطالب نفسك بسترها، ولا يكفرها إلا الندم والحياء والخوف.

وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات عن جهة بيت الله تعالى، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك. فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلا بالتفرغ عما سواه.

أما الاعتدال قائماً فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل، فليكن رأسك مطرقاً تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التروؤس والتكبر. وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله تعالى في هول القيامة عند العرض للسؤال.



وأما النية فاعزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكف عن مفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله، رجاء لثوابه، وخوفاً من عقابه، وطلباً للقرابة منه.

وأما التكبير، فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك، فإن كان في قلبك شيء أكبر من الله فالله يشهد أنك لكاذب.

وأما دعاء الاستفتاح، فأول كلماته قولك: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض، وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر، فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة، والله يتقدس عن أن تحده الجهات، وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض. فانظر إليه أمتوجه إلى همه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل إلى فاطر السموات؟ وإذا قلت: حنيفاً مسلماً، فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً. وإذا قلت: وما أنا من المشركين، فأخطر ببالك الشرك الخفي، وكن حذراً من هذا الشرك، فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه. وإذا قلت: محياي ومماتي لله، فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيدة.

وإذا قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فاعلم أنه عدوك و مترصد لصرف قلبك عن الله تعالى حسداً لك على مناجاتك مع الله وسجودك له. واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ. فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس، فإن حركة اللسان غير مقصودة، بل المقصود معانيها.

وإذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، فانو بها التبرك لابتداء القراءة بكلام الله، وافهم أن معناها: أن الأمور كلها بالله، وأن المراد بالاسم هنا المسمى. ومعنى الحمد: أن الشكر لله، إذ النعم من الله. وإذا قلت: الرحمن الرحيم، فاحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته، ثم استتر من قلبك التعظيم لله والخوف لهول يوم الحساب بقولك: مالك يوم الدين، ثم جدد الإخلاص بقولك: إياك نعبد، وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك: وإياك نستعين، ثم اطلب أهم حاجتك وقل: اهدنا الصراط المستقيم، ثم التمس الإجابة وقل: آمين.

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ: « قَسَمْتُ الصَّلَاةَ أَيَّ قِرَاءَتِهَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ أَي نَصْفَهَا لِي وَنَصْفَهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتَنِي عَلَيَّ عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

فإذا عمرت بالتقوى باطن قلبك فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك، وتتكشف لك أنوار المعارف، وتنفجر من قلبك ينباع الحكم، وتتنضح لك أسرار الملك والملكوت، ويتيسر لك من العلوم ما تستحقر به هذه العلوم المحدثه التي لم يكن لها ذكر في زمن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين.....



الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قَالَ: هَذَا لِعِبْدِي، وَلِعِبْدِي مَا سَأَلَ».

وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور. وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله تعالى، وترفع يديك مستجيراً بعفو الله تعالى من عقابه. وأما التشهد، فإذا جلست له فاجلس متأدباً، وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم، ثم تأمل أن الله يرد عليك سلاماً وافياً بعدد عباد الصالحين، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة، مجدداً عهد الله تعالى بإعادة كلمتي الشهادة. ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع وصدق الرجاء بالإجابة، وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين. واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به، وأضمر في قلبك شكراً لله تعالى على توفيقه لإتمام هذه الطاعة.

وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه، وأنت ربما لا تعيش لمثلها، وخف أن لا تقبل صلاتك، وأن تكون ممقوتاً بذلك ظاهراً وباطناً، فترد صلاتك في وجهك، وارج مع ذلك أن يقبلها الله تعالى بكرمه وفضله. وكان بعضهم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة، فبالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح، وعلى ما يفوته ينبغي أن يتلهف، وفي مداومة ذلك ينبغي أن يجتهد.

(فإذا عمرت) أي ملأت (بالتقوى باطن قلبك) كما وصف لك (فعند ذلك ترتفع الحجب) أي الموانع للشهود (بينك وبين ربك) تعالى، (وتتكشف لك أنوار المعارف، وتنفجر) أي تنبجس (من قلبك ينباع الحكم) أي عيون العلوم النافعة، (وتتنضح لك أسرار الملك والملكوت) الملك ما تشهده بعين بصرك. والملكوت ما تدركه بعين بصيرتك، (ويتيسر لك من) حصول (العلوم) اللدنية من الأسرار والمكاشفات والمعارف من غير كسب وتعب، والجار والمجرور بيان لما بعده. (ما تستحقر به هذه العلوم المحدثه) أي المؤلفات للعلماء (التي لم يكن لها) أي لهذه المحدثه (ذكر في زمن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين) كالفقه والنحو واللغة وغيرها من المؤلفات.

حكى أن الإمام الغزالي صار إماماً في مسجده وله أخ اسمه أحمد لم يقتد به، فقال الإمام لأمه:

وإن كنت تطلب العلم من القليل والقال والمرء والجدال فما أعظم مصيبتك، وما أطول تعبك، وما أعظم حرمانك وخسرانك، فاعمل ما شئت فإن الدنيا التي تطلبها بالدين لا تسلم لك، والآخرة تسلب منك. فمن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعاً، ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعاً. فهذه جمل الهداية إلى بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالى بأداء.....




يا أمي، مري أخي أحمد بالاعتداء بي في الصلاة لئلا يتهمني الناس على سوء فعلي. فأمرته بذلك فاقتدى به، فرأى أن في بطن الإمام دماً ففارقه. ثم لما فرغ من الصلاة سأله الإمام عن سبب مفارقتك في الصلاة، فقال له أخوه: إني رأيت بطنك مملوءاً بالدم. وقد كان الإمام حالة الصلاة يتذكر مسألة المتحيرة، فقال له الإمام: من أين أخذت العلم؟ فقال: أخذته من الشيخ العتقي، بضم العين وفتح التاء، وهو الذي يخيط النعال القديمة ويصلحها. فذهب الإمام إلى الشيخ الخرازي فقال له: يا سيدي، أريد أن أخذ العلم منك. فقال: لعلك لا يطيق إطاعة أمري، فقال: إن شاء الله تعالى أطيع ذلك، فقال: اكس هذه الأرض. فلما أراد الإمام أن يكنسها بالمكس أمره بكنسها باليد فكنسها بيده ثم رأى عذرة كثيرة جدًّا في الأرض، فقال ذلك الشيخ: اكس هذه العذرة، فلما أراد الإمام أن يفسخ ثيابه قال له الشيخ: اكسها مع ما أنت عليه من اللباس، فلما أراد أن يكنسها برضا قلب نهاء الشيخ عن الكس وأمره بالرجوع إلى بيته. فلما رجع الإمام وتعدى إلى مدرسته وهو محل تعليم العلوم للطلبة فقال للناس في هذا محل: تلاعبنا مع الصبيان، وقد أعطاه الله تعالى العلوم اللدنية، وصار حينئذ يرى أن جميع العلوم التي علمها للناس حقيرة بالنسبة لهذه العلوم التي أفاضها الله تعالى على قلبه من غير كسب وتعب منه رضي الله عنه.

(وإن كنت تطلب العلم من القليل والقال) أي المخاصمة، (والمراء والجدال، فما أعظم مصيبتك) أي شدتك النازلة عليك، (وما أطول تعبك، وما أعظم حرمانك) أي امتناعك من الخير (وخسرانك) فاعمل ما شئت) من المنهيات إن لم تخف الهلاك، (فإن الدنيا) أي متاعها (التي تطلبها بالدين لا تسلم) أي تلك الدنيا (لك، والآخرة تسلب) أي تذهب (منك). فمن طلب الدنيا بالدين خسرهما) بتشديد السين أي أهلكهما^(١) (جميعاً، ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعاً) أي استشف فيهما، فإن الدنيا عدوة لله تعالى وعدوة لأوليائه وعدوة لأعدائه. أما عداوتها لله تعالى فإنها تقطع الطريق عن أوليائه؛ وأما عداوتها لأوليائه تعالى فلأنها تزيت لهم بزيتها وأعمتهم بزهرتها فتجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها؛ وأما عداوتها لأعداء الله تعالى فلاستدراجها لهم بمكرها حتى عولوا عليها.

(فهذه) أي المذكورات كلها (جمل الهداية إلى بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالى بأداء

(١) غير مناسب هذا التفسير، وإنما المناسب جعل الكلام على ظاهره من كسر السين مع التخفيف أي نقصهما أي نقص فائدتهما، كقوله تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١] اهـ مصححه.

أوامره واجتناب نواهيه. وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ نفسك بها في مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم في الدنيا.

 أوامره واجتناب نواهيه) وفي بعض النسخ: مناهيه وهو أولى. (وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ) أي لتحاسب وتداوي (نفسك) القبيحة (بها) أي بتلك الجمل (في مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم في الدنيا) فالأدب هو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً أي بحسن الأحوال والأخلاق واجتماع الخصال المحمودة من بسط الوجه وحسن اللقاء وحسن التناول والأخذ. وقال ابن عطاء الله: الأدب الوقوف مع المستحسنتات. وقيل: الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: هو تعظيم من فوقه والرفق بمن دونه. قال بعض المتقدمين: كما أن قوت الأجساد بالأطعمة المصنوعة كذا قوت العقل بالآداب المسموعة. وقال بعضهم [من بحر المتقارب]:

وَمَا كُلَّ وَقْتٍ تَرَى مُسْعَفًا * فَكُنْ حَافِظًا لِطَرِيقِ الْأَدَبِ
تَرَى أَلَّهُ يَكْشِفُ مَا قَدْ خَفِيَ * فَتَحْظَى بِأَجْرٍ وَنَيْلِ الرَّتَبِ

القسم الثالث: القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق عز وجل ومع الخلق

اعلم أن صاحبك الذي لا يفارقك في حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل في حياتك وموتك هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك، ومهما ذكرته فهو جليسيك، إذ قال الله تعالى: «أَنَا جَلِيسٌ مِّنْ ذَكَرْنِي». ومهما انكسر قلبك حزنًا على تقصيرك في حق دينك فهو صاحبك وملازمك، إذ قال الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي. فَلَوْ عَرَفْتَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَاتَّخَذْتَهُ صَاحِبًا، وَتَرَكْتَ النَّاسَ جَانِبًا».

القسم الثالث: القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق عز وجل ومع الخلق

وهذه الترجمة بيان للقسم الثالث الذي وعد المصنف بذكره في قوله: وألحق قسمًا ثالثًا. (اعلم أن صاحبك الذي لا يفارقك في حضرك) أي بلدك (وسفرك ونومك ويقظتك بل في حياتك وموتك، هو ربك) أي مصلحك (وسيدك) أي مالكتك (ومولاك) أي ناصرك (وخالقك. ومهما) أي في أي وقت (ذكرته) بلسانك أو بقلبك أو بهما (فهو جليسيك) أي مجالسك فلا ينسأك، (إذ قال الله تعالى) في الحديث القدسي: «أَنَا جَلِيسٌ مِّنْ ذَكَرْتَنِي» و«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: عَبْدِي، أَنَا عِنْدَ ظَنِّكَ بِي وَأَنَا مَعَكَ أَيَّ بِالتَّوْفِيقِ أَوْ أَنَا مَعَكَ بَعْلَمِي إِذَا ذَكَرْتَنِي أَيَّ إِذَا دَعَوْتَنِي فَأَسْمَعُ مَا تَقُولُ فَأُجِيبُكَ». هذا وما أشبهه في ذكر عن يقظة لا عن غفلة، و«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَبْنَ آدَمَ، إِذَا ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذَرَأًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ أَتَيْتَنِي تَمْشِي أَتَيْتُ إِلَيْكَ أَهْرُولُ». والمعنى: إن ذكرتنني سرًا إخلاصًا وتجنبًا للرياء أسرع بثوابك على منوال عملك، وإن ذكرتنني في جماعة افتخارًا بي وإجلالًا لي بين خلقي ذكرتك في الملائكة المقربين وأرواح المرسلين مباهاة بك وإعظامًا لقدرك، وإن تقربت مني بالاجتهاد والإخلاص في طاعتي قربتك بالهداية والتوفيق، وإن زدت زدت، كذا أفاده العزيزي.

(ومهما انكسر قلبك) أي ذل (حزنًا على تقصيرك في حق) أي جنب (دينك) (*) فهو صاحبك وملازمك، إذ قال الله تعالى) في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي» أي أنا مع الخاشعين بالتوفيق من أجل التقصير في الطاعة ومن أجل حصول المعصية. (فَلَوْ عَرَفْتَهُ) تعالى أيها العاقل (حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَاتَّخَذْتَهُ صَاحِبًا، وَتَرَكْتَ النَّاسَ جَانِبًا) كما قال الشاعر [من بحر الخفيف]:

(*) وفي نسخة: ربك.

فإن لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك ، فإياك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك ، وتتلذذ معه بمناجاتك له . وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى . وآدابها : إطراق الرأس ، وغض الطرف ، وجمع الهم ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهي ، وقلة الاعتراض على القدر ،



مُذَّعَّرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرَّ غَيْرًا * وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعٌ
مُذَّجَمَّعْتُ مَا خَشِيتُ أَفْتِرَاقًا * وَأَنَا الْيَوْمَ وَأَصِلَ مَجْمُوعٌ

وكما قال الشاعر [من بحر البسيط]:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ * وَلَيْسَ لِلَّهِ إِنْ فَارَقْتَهُ مِنْ عِوَضٍ

(فإن لم تقدر على ذلك) أي اتخاذ الله صاحبًا، وترك الناس جانبًا بملازمة الطاعة وإكثار الذكر، واجتناب المعاصي (في جميع أوقاتك، فإياك) أي احذر (أن تخلي) بتشديد اللام أي ترك (ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه) أي تنفرد في ذلك الوقت (لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك له) بصلاة النفل وغيرها. (وعند ذلك) أي الخلوة (فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى) فإن الله تعالى أمرنا بالآداب.

(وآدابها) أي الصحبة مع الله تعالى أربعة عشر؛ الأول: (إطراق الرأس وغض الطرف) أي خفضه. (و) الثاني: (جمع الهم) أي القصد مع الاعتماد على الله. (و) الثالث: (دوام الصمت) أي عما لا يفيد في الدين، لقوله ﷺ: « عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ، فَإِنَّهُ مُطْرِدَةٌ لِلشَّيْطَانِ ». (و) الرابع: (سكون الجوارح) عن الملاغاة، لأنه يستلزم الخشوع والخضوع وحضور القلب مع الله تعالى. (و) الخامس: (مبادرة) امتثال (الأمر) أي من الواجب والمندوب. (و) السادس: (اجتناب النهي) أي المحرم والمكروه. (و) السابع: (قلة الاعتراض) أي عدم الاعتراض (على القدر) بتحريك الدال أي على تقدير الله الأمر، قال النبي ﷺ: « أَعْبُدِ اللَّهَ بِالرِّضَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِيهِ الصَّبْرَ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ »، وقال أيضًا: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، فَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بِلَائِي وَلَمْ يَشْكُرْ لِنِعْمَائِي وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، فَلْيُطَلَبْ رَبًّا سِوَايَ ». وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى: ليس الرضا أن لا يحس بالبلاء، إنما الرضا أن لا يعترض على الحكم والقضاء. وحكي عن الشيخ عفيف الدين الزاهد أنه كان بمصر، فبلغه ما وقع ببغداد من قتل التتار أهلها فأنكره، وقال: يارب، كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟ فرأى في المنام رجلاً في يده كتاب، فإذا فيه بيتان [من بحر المتقارب] وهما:

دَعِ الْإِعْتِرَاضَ فَمَا الْأَمْرُ لَكَ * وَلَا الْحُكْمُ فِي حَرَكَاتِ الْفَلَكَ
وَلَا تَسْأَلِ اللَّهَ عَنْ فِعْلِهِ * فَمَنْ خَاضَ لُجَّةَ بَحْرِ هَلَاكَ

ودوام الذكر، وملازمة الفكر، وإيثار الحق على الباطل، والإيثار عن الخلق، والخضوع تحت الهيبة، والانكسار تحت الحياء، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان والتوكل على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار. وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليالك ونهارك، فإنها آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك، والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك. وإن كنت عالمًا، فأداب العالم: الاحتمال، ولزوم الحلم في الأمور، والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع إطراق الرأس، وترك التكبر على جميع العباد إلا على الظلمة زجرًا لهم عن الظلم، وإيثار



(و) الثامن: (دوام الذكر) أي باللسان والقلب. (و) التاسع: (ملازمة الفكر) في نعمة الله تعالى وفي جلاله تعالى. (و) العاشر: (إيثار الحق) أي اختياره وتقديمه (على الباطل) وفي بعض النسخ سقوط هذا الجار والمجرور، والمعنى: تقديم الله تعالى في الرجوع إليه على الخلق وعلى كل ما سواه، والمراد بالحق على هذا هو الله تعالى. (و) الحادي عشر: (الإيثار) أي قطع الرجاء (عن الخلق) أي عدم الاعتماد على الخلق في حاجتك في السفر والحضر، لأن الخلق لا تنفع ولا تضر. (و) الثاني عشر: (الخضوع) أي التواضع بالقلب (تحت الهيبة) مع الله تعالى. (و) الثالث عشر: (الانكسار) أي في القلب (تحت الحياء) من الله تعالى لتقصيرك في العبادة. (و) الرابع عشر: (السكون عن حيل الكسب ثقة) أي ائتمانًا (بالضمان) أي بضمان الله تعالى لك في رزقك، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (١). (والتوكل) أي الاعتماد (على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار) أي اختياره تعالى، فإن الله تعالى هو المدبر لعبده.

(وهذا) الأدب (كله ينبغي) أي يطلب (أن يكون) أي يصير هو (شعارك) أي ثيابك (٢)، لأنها الملاصقة ببدنك (في جميع ليالك ونهارك، فإنها) أي هذه الآداب المذكورة (آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك) أي بعلمه وتوفيقه في جميع أوقاتك، (والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك) قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ (٣).

(وإن كنت عالمًا، فأداب العالم) سبعة عشر: الأول: (الاحتمال) أي قبول ما جاء به تلامذته من المسألة وما يتبعه أي الصبر على ذلك. (و) الثاني: (لزوم الحلم) بكسر الحاء أي الأناة (في الأمور. و) الثالث: (الجلوس بالهيبة) أي إجلال جلسائه (على سمت الوقار) أي صفة الضعف (مع إطراق الرأس) أي استرخاء العين. (و) الرابع: (ترك التكبر على جميع العباد إلا على الظلمة) المتجاهرين بظلمهم (زجرًا لهم عن الظلم) فإن التكبر على المتكبرين صدقة كالتواضع مع المتواضعين. (و) الخامس: (إيثار

(١) سورة هود [١١] الآية: ٦

(٢) ينبغي أن يكون المراد خاصتك الملازمة لك كلزوم الشعار، وكلام الشارح غير مناسب اه مصححه.

(٣) سورة الحديد [٥٧] الآية: ٤

التواضع في المحافل والمجالس، وترك الهزل والدعابة، والرفق بالمتعلم والتأني بالمتعجرف، وإصلاح البليد بحسن الإرشاد، وترك الحرد عليه، وترك الأنفة من قول: لا أدري، وصرف الهمة إلى السائل وتفهم سؤاله، وقبول الحجة، والانقياد للحق بالرجوع إليه عند الهفوة، ومنع المتعلم عن كل علم يضره، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى، وصد المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين، وفرض عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى، ومؤاخذه نفسه أولاً بالتقوى ليقنتدي المتعلم أولاً بأعماله ويستفيد ثانياً من أقواله.....



التواضع) أي تقديمه (في المحافل) أي مجامع الناس (والمجالس. و) السادس: (ترك الهزل) أي اللعب (والدعابة) بالدال المهملة ثم الباء الموحدة أي المزاح. (و) السابع: (الرفق بالمتعلم) في تعليمه (والتأني بالمتعجرف) أي الذي لا يحسن السؤال، ويدعي العلم ولا يعلمه بأن تحسن عليه بأحوالك وأقوالك. (و) الثامن: (إصلاح البليد) أي غير الفطن (بحسن الإرشاد) أي التعليم. (و) التاسع: (ترك الحرد) أي الغضب والتعريض (عليه) أي البليد. (و) العاشر: (ترك الأنفة) أي الاستكبار والامتناع والاستحياء (من قول: لا أدري) أو من قول: والله أعلم، إذا لم تظهر لك المسألة أو لم تعلم. لما روي في الحديث أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي البلاد أشرف؟ فقال النبي ﷺ: « لا أدري، حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ »، فسأله فقال: « لا أدري، حَتَّى أَسْأَلَ رَبَّ الْعِزَّةِ ». (و) الحادي عشر: (صرف الهمة) أي القلب (إلى السائل) لأجل إخلاصه (وتفهم سؤاله) لتجيب مسأله. (و) الثاني عشر: (قبول الحجة) أي الدليل المصدق للقائق واستماعها وإن كانت من الخصم، لأن اتباع الحق واجب. (و) الثالث عشر: (الانقياد للحق بالرجوع إليه) أي الحق (عند الهفوة) أي الزلة في القول والاعتقاد وإن صدر ممن هو أسفل منك. (و) الرابع عشر: (منع المتعلم عن كل علم يضره) في الدين كعلم السحر والنجوم والرمل. (و) الخامس عشر: (زجره) أي نهى المتعلم (عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى) وغير الدار الآخرة. (و) السادس عشر: (صد المتعلم) أي منعه وصرفه (عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين، وفرض عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى) أي بأداء عبادة ظاهرة وباطنة، وباجتناب معصية ظاهرة وباطنة، كما هو مذكور في هذا الكتاب، والله الهادي. (و) السابع عشر: (مؤاخذه) أي مداواة (نفسه) أي العالم (أولاً) أي قبل الأمر للناس بفعل الخير، وقبل النهي لهم عن اجتناب الشر (بالتقوى) أي بامتنال أمر الشرع واجتناب نهيه (ليقتدي المتعلم أولاً بأعماله، ويستفيد) أي المتعلم (ثانياً من أقواله) فإن دلالة الأحوال أقوى من دلالة المقال، كما قال أبو الأسود [من بحر الكامل]:

وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى الصَّدِيقِ وَلُئِمَّتَهُ * فِي مِثْلِ مَا تَأْتِي فَأَنْتَ مُلِيمٌ
فَأَبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْتَهَ عَنْ غَيْبِهَا * فَإِذَا أَنْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ * عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وإن كنت متعلماً، فأداب المتعلم مع العالم: أن يبدأه بالتحية والسلام، وأن يقلل بين يديه الكلام، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه، ولا يسأل ما لم يستأذن أولاً، ولا يقول في معارضة قوله: قال فلان بخلاف ما قلت، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه، ولا يسأل جليسه في مجلسه، ولا يلتفت إلى الجوانب بل يجلس مطرفاً عينه ساكناً متأدباً كأنه في الصلاة، ولا يكتر عليه السؤال عند ملله، وإذا قام قام له، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله، ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ منزله، ولا يسيء الظن به في أفعال ظاهرها منكرة عنده فهو أعلم بأسراره، وليذكر عند ذلك قول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿أَخْرَقْتَهَا لِنُغْرَقٍ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾



(وإن كنت متعلماً، فأداب المتعلم مع العالم) ثلاثة عشر؛ الأول: (أن يبدأه بالتحية

والسلام) وطلب الإذن في الدخول. (و) الثاني: (أن يقلل بين يديه) أي في حضرته (الكلام) أي المباح. (و) الثالث: أن (لا يتكلم ما لم يسأله أستاذه. و) الرابع: أن (لا يسأل) شيئاً (ما لم يستأذن أستاذه (أولاً) أي قبل السؤال. (و) الخامس: أن (لا يقول في معارضة قوله) أي لأستاذه: (قال فلان بخلاف ما قلت) وما أشبه ذلك. (و) السادس: أن (لا يشير عليه) أي أستاذه (بخلاف رأيه) أي بمخالفة قول أستاذه، (فيرى) أي يظن المتعلم (أنه أعلم بالصواب) في تلك المسألة (من أستاذه) فذلك يخل بالأدب للأستاذ وينقص البركة. (و) السابع: أن (لا يسأل) وفي بعض النسخ: لا يشاور (جليسه في مجلسه) أي الأستاذ، ولا يتبسم عند مخاطبته. (و) الثامن: أن (لا يلتفت إلى الجوانب) يميناً وشمالاً في حضرته (بل يجلس مطرفاً عينه ساكناً متأدباً) بلا عبث بنحو اليد (كأنه في الصلاة. و) التاسع: أن (لا يكتر عليه) أي الأستاذ (السؤال عند ملله) أي الأستاذ أي عند سأمته وقلقته من الغم ولو بالتوهم القوي. (و) العاشر: (إذا قام) أي الأستاذ، (قام) أي المتعلم (له) أي لأجله تعظيماً له، ولا يأخذ بثوبه إذا قام. (و) الحادي عشر: أن (لا يتبعه) عند القيام من المجلس (بكلامه وسؤاله. و) الثاني عشر: أن (لا يسأله في طريقه) بل ينتظر (إلى أن يبلغ منزله) أو بيته أو محل قعوده. (و) الثالث عشر: أن (لا يسيء الظن به) أي الأستاذ (في أفعال ظاهرها منكرة) أي غير مرضية لله تعالى (عنده) أي المتعلم، (فهو) أي الأستاذ، الفاء للتعليل أي لأنه (أعلم بأسراره) أي الأفعال، (وليذكر عند ذلك) أي عند إرادة إساءة الظن (قول موسى للخضر) واسمه بلياً بن ملكان (عليهما السلام) منكرًا لما في ظاهره الفساد بإتلاف السفينة المؤدي إلى إهلاك النفوس. وسمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء، والفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة. وقيل: سمي خضراً لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله. ﴿أَخْرَقْتَهَا﴾ أي السفينة أي قلعت لوحاً من ألواحها (لِنُغْرَقٍ أَهْلَهَا) فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المؤدي إلى غرق أهلها. (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) ﴿^(١)﴾ أي عظيمًا منكرًا، فإن ذلك منكر في الظاهر ولذلك أنكره

وكونه مخطئاً في إنكاره اعتماداً على الظاهر. وإن كان لك والدان فآداب الولد مع الوالدين: أن يسمع كلامهما، ويقوم لقيامهما، ويمتثل لأمرهما، ولا يمشي أمامهما، ولا يرفع صوته فوق أصواتهما، ويلبي دعوتهما، ويحرص على طلب مرضاتهما، ويخفض لهما جناح الذل، ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لأمرهما، ولا ينظر إليهما شزراً، ولا يقطب وجهه في وجههما، ولا يسافر إلا بإذنهما.



موسى أولاً، ولكنه في الحقيقة موافق لباطن الشريعة، فلذلك صدقه موسى آخرًا. (و) ليذكر (كونه) أي المتعلم (مخطئاً في إنكاره) أي على الأستاذ (اعتماداً على الظاهر) وليذكر كون الأستاذ عالماً بالأسرار. كما روي أن ابن عربي كان يصلي فراه تلامذته يحرك رجله مراراً في الصلاة، وسأله بعدها: لم حركتها؟ فقال: إن الفخر الرازي احتضر فاحتاطت به الشياطين لتسلبه الإيمان، فطردتهم عنه برجلي فمات على الإيمان.

(وإن كان لك والدان، فآداب الولد مع الوالدين) أي المسلمين اثنا عشر؛ الأول: (أن يسمع كلامهما) ولو شتمًا من غير جواب لهما. (و) الثاني: أن (يقوم لقيامهما) توفيراً لهما وحفظاً لحرمتها وإن كانا دونه في المرتبة. (و) الثالث: أن (يمتثل لأمرهما) فيما يأمرانه أو أحدهما ولو فيما يضره إذا لم يكن الأمر في معاصي الله تعالى. (و) الرابع: أن (لا يمشي أمامهما) تعاضماً عليهما بل يمشي بإزائهما أو خلفهما، فإن مشى أمامهما لأمر اقتضاه الحال فلا بأس حينئذ. (و) الخامس: أن (لا يرفع صوته فوق أصواتهما) أو أصوات أحدهما سلوكاً للأدب معهما، وهذا أوكد الآداب، كما قاله الرملي في عمدة الرابع. (و) السادس: أن (يلبي دعوتهما) أي يجيب نداءهما بجواب لين يدل على تعظيمهما، كقولك: لبيك أو نعم أو سيدي أو سيدتي. (و) السابع: أن (يحرص) أي يحافظ (على طلب مرضاتهما) بالأحوال والأقوال. (و) الثامن: أن (يخفض لهما جناح الذل) أي جناحه الدليل، وذلك كناية عن التواضع واللين، كأن يخدمهما بنفسه ويطعمهما بيده لعجزهما، ويؤثرهما على نفسه وأولاده. (و) التاسع: أن (لا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لأمرهما) كأن يقول: أعطيتكما كذا وكذا، وفعلت كذا لكما، فإن المن يكسر القلوب، ومن ذلك قيل: إن المنّ أخو المنّ أي الامتنان بتعدد الصنائع أخو القطع. (و) العاشر: أن (لا ينظر إليهما شزراً) بفتح الشين وسكون الزاي، وهو نظر الغضب بؤخر العين، أو هو النظر عن يمين وشمال، أو هو نظر فيه إعراض كما في القاموس. (و) الحادي عشر: أن (لا يقطب) بكسر الطاء أي يجمع، أو بضم الياء وتشديد الطاء أي يعبس (وجهه في وجههما). (و) الثاني عشر: أن (لا يسافر إلا بإذنهما) سفر الجهاد وحج تطوع وزيارة أنبياء وأولياء، وسفرًا لم تغلب فيه السلامة لتجارة، فإن ذلك يحرم إذا لم يكن بإذن أصل أب وأم وإن عليا وإن أذن من هو أقرب منه، إلا سفرًا لتعلم فرض ولو كفاية كطلب النحو ودرجة الإفتاء، فلا يحرم عليه وإن لم يأذن أصله، كذا في فتح المعين. وأما الوالدان الكافران فآداب الولد معهما مصاحبتهما في الأمور التي لا تتعلق بالدين مادام حيًا، ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الأخلاق والشيم.

واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقتك ثلاثة أصناف: إما أصدقاء، وإما معاريف، وإما مجاهيل. فإن بليت بالعوام المجهولين، فأداب مجالستهم: ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء أفعالهم، والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم، والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم. وأما الإخوان والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان: إحداهما: أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصداقة، فلا تؤاخ إلا من يصلح للأخوة والصداقة. قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل». فإذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم، وصاحبك في أمر دينك ودنياك، فراع فيه خمس خصال:



واعلم أن الناس بعد هؤلاء أي المذكورين من العالم والمتعلم والوالدين (في حقتك ثلاثة أصناف) أي أنواع: (إما أصدقاء، وإما معاريف، وإما مجاهيل).

(فإن بليت) بالبناء للمفعول (بالعوام المجهولين) أي امتحنك الله بصحبة العوام الذين هم ليسوا أصدقاءك ولا معارفك، (فآداب مجالستهم) خمسة؛ الأول: (ترك الخوض) أي الدخول معهم (في حديثهم. و) الثاني: (قلة الإصغاء) أي عدم إمالة السماع (إلى أراجيفهم) أي كثرة أخبارهم السيئة واختلاف أقوالهم الكاذبة. (و) الثالث: (التغافل) أي الترك بالإعراض (عما يجري) أي يسبق (من سوء أفعالهم. و) الرابع: (الاحتراز) أي التجنب (عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم. و) الخامس: (التنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم) فإن قلوب العوام سريعة التقلب، فإن لم ينفع النصح بالإعراض أولى.

(وأما الإخوان والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان)؛

(إحداهما: أن تطلب أولاً) أي قبل المعاشرة مع من تريد معاشرتهم (شروط الصحبة والصداقة) لأنه لا يصلح للصحبة كل إنسان، (فلا تؤاخ إلا من يصلح للأخوة والصداقة) ولا بد أن يتميز بصفات يرغب بسببها في صحبته، وتشترط بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة، إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود، فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط. فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطاً للصحبة للأخرة، فإن الإخوة ثلاثة: أخ لآخرتك، وأخ لدنياك، لتأنس به؛ ولم تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع، فتتفرق الشروط فيهم.

(قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل») وقال أيضاً: «المرء مع من أحب، وكه ما اكتسب» رواه الترمذي عن أنس. وقال سهل بن عبد الله: اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس: الجبارة الغافلين، والقراء المداهنيين، والمتصوفة الجاهلين.

(فإذا طلبت رفيقاً) أي من يرافقك (ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في أمر دينك ودنياك، فراع) أي انظر (فيه) أي الرفيق (خمس خصال)؛

الأولى: العقل. فلا خير في صحبة الأحمق، فالإي الوحشة والقطيعة يرجع آخرها، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفحك، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق، قال علي رضي الله عنه:

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ * وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى * حَلِيمًا حِينَ وَأَخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءَ
كَحَدِّو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ * إِذَا مَا النَّعْلُ حَاذَاهُ
وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ * مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ



(الأولى: العقل) فإنه رأس المال، وهو الأصل. (فلا خير في صحبة الأحمق) أي فاسد العقل، (فالإي الوحشة والقطيعة يرجع آخرها) أي الصحبة وإن طالت، فإنك لست منه على شيء. (وأحسن أحواله) أي الأحمق (أن يضرك وهو يريد أن ينفحك) ويعينك من حيث لا يدري لحماقتة. (والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق) ولذلك قال الشاعر [من بحر الكامل]:

إِنِّي لَأَمَنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ * وَأَخَافُ خَلًّا يَبْغْتَرِيهِ جُنُونُ
فَالْعَقْلُ فِيهِ (*) وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ * أَذْرِي فَأَرْصُدُ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

ولذا قيل: مقاطعة الأحمق قربان إلى الله. والمراد بالعاقل هو الذي يفهم الأمور على ما هي عليه. (قال) أمير المؤمنين (علي) بن أبي طالب (رضي الله عنه) [نظمًا من بحر الوافر المعصوب الأجزاء في ستة أبيات مجزوءة، وبعض أجزائها منقوص]:

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ * وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى * حَلِيمًا حِينَ وَأَخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءَ
كَحَدِّو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ * إِذَا مَا النَّعْلُ حَاذَاهُ
وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ * مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

ومعنى أردى: أهلك، وفي نسخة: إذا ما هو ساواه. وقال بعضهم [من بحر المواليات وأجزاؤه مُسْتَفْعَلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعَلُنْ فَاعِلٌ بسكون آخره]:

(*) كذا في النسخ المطبوعة، وفي الإحياء: فالعقل فَنٌ. فيعرض لـ (متفاعلن) الإضمار، فيصير (مستفعلن).

الثانية: حسن الخلق. فلا تصحب من ساء خلقه، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة. وقد جمعه علقمة العطاردي رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال: يا بني، إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك. اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى منك سيئة سدها. اصحب من إذا قلت: صدق قولك، وإذا حاولت أمراً أمرك، وإن تنازعتما في شيء آثرك. وقال علي رضي الله عنه رجلاً: **إِنَّ أَحَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ * وَمَنْ يُضِرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ**



عَاشِرُ ذَوِي الْفَضْلِ وَأَحْذَرُ عَشْرَةَ السَّقَلِ * وَعَنْ عُيُوبِ صَدِيقِكَ كُفٌّ وَتَغَفُّلٌ
وَصَنْ لِسَانِكَ إِذَا مَا كُنْتَ فِي مَحْفَلٍ * وَلَا تُشَارِكْ وَلَا تُضْمَنْ وَلَا تَكْفَلْ

(الثانية: حسن الخلق) فلا بد منه، إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن، أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده، لعجزه عند قهر صفاته وتقويم أخلاقه، فذلك سيء الخلق. (فلا تصحب من ساء خلقه) فإنه لا خير في صحبته، (وهو الذي لا يملك) أي لا يتمالك (نفسه) أي الأمانة أو اللوامة (عند الغضب والشهوة) والبخل والجبن.

(وقد جمعه) أي حسن الخلق (علقمة العطاردي) نسبة إلى عطاردي، رجل من تميم، رهط أبي رجب عمران بن ملحان. (رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما) أي حين (حضرته الوفاة، فقال: يا بني، إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته) أي بالقول أو بالفعل (صانك) في عرضك ونفسك ومالك، (وإن صحبته زانك) أي بصحبته، (وإن قعدت بك مؤنة) بالقاف ثم العين المهملة أي تأخرت وحبست (مانك) أي احتمل مؤنتك وقام بكفايتك. (اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها) أي إذا أعطيته شيئاً جازاك، أو إذا أتيت خصلة من أنواع الطاعات أعانك، (وإن رأى منك حسنة عدها) وإن قلت، (وإن رأى منك سيئة سدها) وإن كثرت، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك. (اصحب من إذا قلت صدق قولك) أي لا يعترض عليك، (وإذا حاولت) أي عالجت (أمراً أمرك) بتشديد الميم أي جعلك أميراً، وفي نسخة: أعانك ونصرك، (وإن تنازعتما) أي اختلفت أنت وهو (في شيء آثرك) أي قدّمك على نفسه؛ فكان هذا جمع جميع حقوق الصحبة. قال المأمون: فأين هذا؟ فقيل له: أتدري لم أوصاه بذلك؟ قال: لا، قال: لأنه أراد أن لا يصحب أحداً. قال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس إلا من يكتنم سرك، ويستر عيبك، فيكون معك في النوائب، ويؤثرك في الرغائب، وينشر حسناتك، ويطوي سيئاتك؛ فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك.

(وقال) أمير المؤمنين (علي) بن أبي طالب (رضي الله عنه رجلاً) أي نظماً [من بحر الرجز]:

إِنَّ أَحَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ * وَمَنْ يُضِرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكَ * شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

الثالثة: الصلاح. فلا تصحب فاسقاً مصرّاً على معصية كبيرة، لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله، بل يتغير بتغير الأحوال والأعراض. قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَطْعُ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. فاحذر صحبة الفاسق، فإن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية ويهون عليك أمرها، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لإفهام لها؛ ولو رأوا خاتماً من ذهب أو ملبوساً من حرير على فقيه لا شتد إنكارهم عليه، والغيبة أشد من ذلك.....



وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكَ * شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

أي إن أخطأ الصحيح من كان يصاحبك في حالة الرخاء والشدة والصحة والمرض، ومن يتعب نفسه لأجل نفعك، وإذا فرقتك حوادث الدهر وصروفه فرق لأجل ذلك ما اجتمع من أمره لتكون مجتمعاً على حالة حسنة. وفي بعض النسخ: شتت فيك أي من أجلك أو في شأنك.

(الثالثة: الصلاح) أي الخير والصواب في الأحوال. (فلا تصحب فاسقاً مصرّاً على معصية كبيرة) لأنه لا فائدة في صحبته، (لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله) أي شروره لا يوثق بصداقته، (بل يتغير) أي من لا يخاف الله (بتغير الأحوال) من العلانية والخلوة ونحوه (والأعراض) من مرض ونحوه.

(قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَطْعُ﴾) يا أشرف الخلق ﴿﴿مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾﴾) أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا ﴿﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾﴾) أي في طلب الشهوات ﴿﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾﴾) (١) أي إسرافاً وباطلاً. وهذا يدل على أن أشرف أحوال الإنسان أن يكون قلبه خالياً عن ذكر الحق، ويكون مملوئاً من الهوى الداعي إلى الاشتغال بالخلق، لأن ذكر الله تعالى نور وذكر غيره ظلمة، كذا قاله الشرييني. وقال الغزالي: وفي مفهوم ذلك زجر للفاسق.

(فاحذر صحبة الفاسق) فإنه يبيحك بأكلة أو بالطمع فيها ثم لا ينالها. (فإن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية) وقوع (المعصية، ويهون) أي يسهل (عليك أمرها) أي المعصية، وتبطل نفرة القلب عنها. (ولذلك) أي المذكور (هان على القلوب معصية الغيبة لإفهام) أي أنسهم ومحبتهم (لها؛ ولو رأوا خاتماً) بفتح التاء (من ذهب أو ملبوساً من حرير على فقيه لا شتد إنكارهم عليه) أي الفقيه، (والغيبة أشد) أي أعظم ذنباً (من ذلك) أي استعمال الذهب والحرير، كما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبتك من صفية أنها كذا وكذا، أي

الرابعة: أن لا يكون حريصاً على الدنيا، فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل، لأن الطباع مجبولة على التشبه والافتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري. فمجالسة الحريص تزيد في حرصك، ومجالسة الزاهد تزيد في زهدك. الخامسة: الصدق. فلا تصحب كذاباً، فإنك منه على غرور، فإنه مثل السراب يقرب منك البعيد، ويبعد منك القريب. ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد، فعليك بأحد أمرين: إما العزلة والانفراد ففيها سلامتك، وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم، بأن تعلم أن الإخوة ثلاثة: أخ لأخرتك فلا تراع فيه إلا الدين، وأخ



أنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُرِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» رواه الترمذي، ومعنى مزجته: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة تنهها وقبحها. قال العلماء: وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة، كذا في قمع النفوس لأبي بكر بن الحصني.

(الرابعة: أن لا يكون) أي الرفيق (حريصاً) أي أجشع (على الدنيا) وفي بعض النسخ: لا تصحب حريصاً. (فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل، لأن الطباع مجبولة) أي مخلوقة (على التشبه والافتداء) بمن يقارنه، (بل الطبع) السليم (يسرق من الطبع) الفاسد (من حيث لا يدري) الإنسان. وعبارة الإحياء: من حيث لا يدري صاحبه. (فمجالسة الحريص) على الدنيا تحرك الحرص و (تزيد في حرصك، ومجالسة الزاهد) أي المعرض عن الدنيا ترهد في الدنيا و (تزيد في زهدك) أي في إعراضك عن الدنيا وتركك لها وتقليلك منها. فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا، ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة. قال علي رضي الله عنه: أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه. وقال أحمد بن حنبل: ما أوقني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمه. وقال لقمان: يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركتيك، فإن القلوب لتحيا بالحكم كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر.

(الخامسة: الصدق) في المقال والاعتقاد. (فلا تصحب كذاباً) أي كثير الكذب في المقال. (فإنك منه على غرور) أي جهل في الأمور وغفلة عنها. (فإنه مثل السراب) بفتح الميم والثاء، أي لأن الكذاب صفته كصفة السراب الذي تراه نصف النهار كأنه ماء (يقرب) أي الكذاب (منك البعيد، ويبعد منك القريب) ولا تصحب المبتدع، فصحبته خطر لسراية البدعة إليك. ولا تصحب البخيل، فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه. ولا تصحب الجبان، فإنه يسلمك ويفر عند الشدة.

(ولعلك تعدم) بفتح الدال أي تفقد (اجتماع هذه الخصال) المذكورة (في سكان المدارس) وهم العلماء والطلبة (والمساجد) وهم العباد. (فعليك) أي الزم (بأحد أمرين: إما العزلة والانفراد ففيها) أي العزلة (سلامتك) من الإثم، (وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم، بأن تعلم أن الإخوة) أي الأصحاب (ثلاثة) كما نقله الغزالي عن بشر: (أخ لأخرتك فلا تراع) أي لا تلاحظ (فيه إلا الدين، وأخ

لديناك فلا تراخ فيه إلا الخلق الحسن، وأخ لتأنس به فلا تراخ فيه إلا السلامة من شره وفتنته وخبثه. والناس ثلاثة؛ أحدهم: مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر: مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث: مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط. ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع، فتجرب مداراته إلى الخلاص منه. وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها، وهو أن تشاهد من خبايا أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجتنبه، فالسعيد من وعظ بغيره، والمؤمن مرآة المؤمن. وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ فقال: ما أدبني أحد، ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته. ولقد صدق، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لأكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين.



لديناك فلا تراخ فيه إلا الخلق الحسن) والأحوال المؤدية إلى الخيرات، (وأخ لتأنس) بفتح النون أي ليسكن قلبك (به فلا تراخ فيه إلا السلامة من شره) أي ظلمه (وافتنته) أي امتحانه (وخبثه) أي خديعته. قال أبوذر رضي الله عنه: الوحدة خير من المجلس السوء، والمجلس الصالح خير من الوحدة.

(والناس) الذين تتخذهم إخواناً (ثلاثة) كما نقله الغزالي عن المأمون، (أحدهم: مثله مثل الغذاء) بكسر الغين أي صفته وشأنه صفة الطعام والشراب وشأنهما (لا يستغنى عنه) وهم العلماء. (والآخر: مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت. والثالث: مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط. ولكن العبد قد يبتلى به) أي يمتحن بالاجتماع مع من هو كصفة الداء، (وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع) وهو الفاسق والمبتدع والكذاب والجبان، (فتجرب مداراته) أي ملايئته ومحاييلته ومداعبته (إلى الخلاص منه) دفعاً لشره، كما قال رسول الله ﷺ: «مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ» رواه ابن حبان والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبد الله. أي ملاطفة الناس بالقول والفعل يثاب عليها ثواب الصدقة. (وفي مشاهدته) أي الذي هو كصفة الداء (فائدة عظيمة إن وفقت) بالبناء للمجهول أي إن وفقت الله (لها، وهو أن تشاهد من خبايا أحواله وأفعاله ما تستقبحه) وفي نسخة: ما تستخبثه (فتجتنبه. فالسعيد من وعظ) بالبناء للمجهول (بغيره) والشقي من غلب شره على خيره. (والمؤمن مرآة المؤمن) فيقيس نفسه بغيره في الأحوال والمقال مما يعجبه ويكرهه.

(وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟) أي من علمك الأدب، فإنك ولدت من غير أب؟ (فقال: ما أدبني أحد، ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته. ولقد صدق) أي سيدنا عيسى في مقالته (على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فلو) الفاء للتعليل أي لأنه لو (اجتنب الناس ما يكرهونه) من الأقوال والأفعال اللتين صدرتا (من غيرهم لأكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين) فإن العاقل ينظر تقلب الأزمنة ويتأدب بحسبها. ومثل جملة الناس كمثل النبات والأشجار، فمنها ما له ظل وليس له ثمر، وهو الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة، فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال؛ ومنها ما له ثمر وليس له ظل، وهو مثل

الوظيفة الثانية: مراعاة حقوق الصحبة. فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة، فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة، وفي القيام بها آداب. وقد قال ﷺ: «مَثَلُ الْأَخْوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ، تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى». ودخل ﷺ أجمة فاجتني منها سواكين، أحدهما معوج، والآخر مستقيم، وكان معه بعض أصحابه، فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج، فقال: يا رسول الله، أنت أحق مني بالمستقيم. فقال ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا وَيُسْتَلُّ عَنْ صُحْبَتِهِ: هَلْ أَقَامَ فِيهَا حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ؟» وقال ﷺ: «مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ إِلَّا وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ». وآداب الصحبة:



الذي يصلح للآخرة دون الدنيا؛ ومنها ما له ثمر وظل جميعاً؛ ومنها ما ليس له واحد منهما، فالأقسام أربعة.

(الوظيفة الثانية: مراعاة حقوق الصحبة والأخوة. فمهما انعقدت الشركة) أي ارتبطت بين الشخصين كالنكاح بين الزوجين (وانتظمت) أي استقامت (بينك وبين شريكك الصحبة، فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة) كما يوجب النكاح حقوقاً، (وفي القيام بها) أي الحقوق (آداب) كثيرة. (وقد قال) رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْأَخْوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ» بفتح الميم والثاء (تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) وإنما شبههما رسول الله ﷺ باليدين لا باليد والرجل، لأنهما يتعاونان على غرض واحد، فكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد، فهما من وجه كالشخص الواحد. وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء، والمشاركة في المال والحال.

(ودخل) رسول الله ﷺ (أجمة) بفتح الأحراف الثلاثة أي غيضة بفتح الغين وهي مجتمع الشجر (فاجتني) أي أخذ (منها سواكين، أحدهما معوج) بسكون العين وفتح الواو وتشديد الجيم، (والآخر: مستقيم. وكان معه) ﷺ (بعض أصحابه) وهو عبد الرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان على اختلاف الروايات، (فأعطاه) أي بعض أصحابه (المستقيم) منهما (وأمسك لنفسه المعوج، فقال) له ﷺ: (يا رسول الله، أنت) والله (أحق مني بالمستقيم. فقال) رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا وَيُسْتَلُّ عَنْ صُحْبَتِهِ: هَلْ أَقَامَ فِيهَا حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ؟» أي أهلكه، وهذا الحديث يدل على أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة. وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها، فأمسك حذيفة الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل، ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة من الناس، فأبى حذيفة وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل، فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل. (وقال) رسول الله ﷺ: «مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ إِلَّا وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ».

الإيثار بالمال، فإن لم يكن هذا فبذل الفضل من المال عند الحاجة. والإعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحواج إلى التماس. وكتمان السر، وستر العيوب، والسكوت على تبليغ ما يسوؤه من مذمة الناس إياه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث، وترك المماراة فيه. وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه، وأن يثني عليه بما يعرف من ...

الأول: (الإيثار) أي الإكرام (بالمال) على وجه تقديم صاحبه على نفسه، (فإن لم يكن هذا) أي الإيثار (فبذل الفضل) أي إعطاؤه (من المال) ولو قليلاً (عند الحاجة) أي حاجة صاحبه. والحاصل أن المواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب؛ أدناها: أن تنزل صاحبك منزلة عبدك أو خادمك، فتقوم بحاجته من فضلة مالك. فإذا كانت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى ذلك فهو غاية التقصير في حق الأخوة. الثانية: أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك، ونزول منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال. والثالثة وهي العليا: أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك عند تساويهما في الحاجة، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى رتبة المتحابين؛ أما القرب فيكره الإيثار بها.

(و) الثاني: (الإعانة بالنفس في) قضاء (الحاجات) والقيام بها (على سبيل المبادرة من غير إحواج إلى التماس) أي طلب، وتقديمها على الحاجات الخاصة فإن ذلك أبلغ في التواضع. وهذه أيضاً لها درجات كما للمواساة بالمال، فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة، ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة.

(و) الثالث: (كتمان السر) الذي بثه صاحبه إليه ولا يبثه إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشفه ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن. (وستر العيوب) التي علمها في غيبته وحضرته، بل يتجاهل عنه وإن تعلق بها حد لله تعالى طلباً للستر المستحب ولو مع المصارمة. (والسكوت على تبليغ ما يسوؤه) أي يحزنه (من مذمة الناس إياه) فإن الذي سبك من بلغك. وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً، إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت، فإذا ذاك لا يبالي بكراهته، فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق.

(و) الرابع: (إبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه) مع إظهار الفرح، فإن إخفاء ذلك محض الحسد، وقد قال عليه السلام: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ». (وحسن الإصغاء عند الحديث، وترك المماراة فيه) وترك التجسس والسؤال عن أحواله، وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأل، فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه.

(و) الخامس: (أن يدعوه بأحب أسمائه إليه) في غيبته وحضوره، (وأن يثني عليه بما يعرف من

محاسنه ، وأن يشكره على صنيعه في حقه ، وأن يذنب عنه في غيبته إذا تعرض لعرضه كما يذنب عن نفسه ، وأن ينصحه باللطف والتعريض إذا احتاج إليه . وأن يعفو عن زلته وهفوته ولا يعتب عليه . وأن يدعوه في خلوته في حياته وبعد مماته



محاسنه) أي محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وكذلك الثناء على أولاده وأهله حتى على علمه وتصنيفه وجميع ما يفرح، وذلك من غير كذب وإفراط. (وأن يشكره على صنيعه) أي فعله الحسن (في حقه) وهو موافق للإحياء، وفي نسخة: في وجهه، بل يشكره على نيته وإن لم يتم ذلك. قال علي رضي الله عنه: من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة. (وأن يذنب) أي يدفع (عنه في غيبته إذا تعرض) بالبناء للمفعول (لعرضه) بكسر العين أي قصد بسوء بكلام صريح أو تعريض (كما يذنب عن نفسه) وهذا أعظم تأثيراً في جلب المحبة، فإن حق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة، وتبكي المتعنت وتغليظ القول عليه. وإنما شبه رسول الله ﷺ الأخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه. (وأن ينصحه باللطف والتعريض) فيما فيه صلاح شأنه، ويتأكد عليه (إذا احتاج إليه) أي النصيحة، بأن يذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه، وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وينبهه على عيوبه. ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد، فما كان على الملا فهو مقابح وفضيحة، وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة. وقال الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

(و) السادس: (أن يعفو عن زلته وهفوته) في دينه بارتكاب معصية، أو في حقه بتقصيره في الأخوة ولو مع القدرة على الانتقام منه، إذ هو أعظم في الأجر. (ولا يعتب) أي لا يلوم (عليه) بسخط. أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية أو الإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه مما يعيده إلى الصلاح، وأما زلته في حقه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال. فقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً، فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك، فتقول لقلبك: ما أقساك، يعتذر إليك بسبعين عذراً فلا تقبله؟ فأنت المعيب لا أخوك. فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت، ولكن ذلك لا يمكن. وقد قال الشافعي: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان، فلا تكون حماراً ولا شيطاناً، واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك، واحترز أن تكون شيطاناً إن لم تقبل.

(و) السابع: (أن يدعوه في خلوته في حياته وبعد مماته) بكل ما يحبه لنفسه ولأهله، فتدعوه له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه، فإن دعائك له دعاءك لنفسك على التحقيق. فقد قال ﷺ: « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ »، وفي لفظ آخر: « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته. وأن يؤثر التخفيف عنه، فلا يكلف شيئاً من حاجاته فيروح سره من مهماته. وأن يظهر الفرح بجميع ما يرتاح له من مساره، والحزن على ما يناله من مكارهه. وأن يضمّر في قلبه مثل ما يظهر، فيكون صادقاً في وده سرّاً وعلانية. وأن يبدأه بالسلام عند إقباله، وأن يوسع له في المجلس. وأن يخرج له من مكانه، وأن يشيعه عند قيامه.



بِكْ أَيْدِئُ»، وفي الحديث: «يُسْتَجَابُ لِلرَّجُلِ فِي أَخِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لَهُ فِي نَفْسِهِ»، وفي الحديث: «دَعْوَةُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ لَا تُرَدُّ».

(و) الثامن: (أن يحسن الوفاء) وهو الثبات على الحب وإدامته إلى الموت (مع أهله) أي أولاده (وأقاربه) أي أصدقائه (بعد موته) كالذي قبله، فإن الحب إنما يراود للآخرة، فإن انقطع بعد الموت حبط العمل وضاع السعي.

(و) التاسع: (أن يؤثر) أي يختار (التخفيف عنه، فلا يكلفه شيئاً من حاجاته) أي لا يكلف أحياه ما يشق عليه (فيروح سره) أي قلبه كما في نسخة (من مهماته) أي أموره الشديدة، فلا يستمد منه من جاه ومال دفعاً للسامة المقتضية للتنافر، ولا يكلفه التواضع له، بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركاً بدعائه، واستئناساً بلفظه، واستعانة على دينه، وتقرباً إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته. (وأن يظهر الفرح بجميع ما يرتاح) أي ينشط (له من مساره) جمع مسرة بمعنى فرح، (و) يظهر (الحزن) بفتحيتين مصدر قياسي، أو بضم فسكون اسم مصدر. (على ما يناله من مكارهه، وأن يضمّر في قلبه مثل ما يظهر، فيكون صادقاً في وده) بفتح الواو وضمها وكسرهما أي محبته (سرّاً وعلانية) فإن الإخلاص في الإخاء استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوقة، ومن لم يكن مخلصاً في إخائه فهو منافق في الصحبة، ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى من المؤاخاة. قال بعض الحكماء: ظاهر العتاب خير من مكمن الحقد. وإذا أراد شخص أن يعرف محبة صاحبه له فلينظر محبته له، كما قال بعضهم [من الطويل]:

سَلُّوا عَن مَّوَدَّاتِ الرَّجَالِ قُلُوبَكُمْ * فَتِلْكَ شُهُودٌ لِّمَن تَكُنْ تَقْبَلُ الرِّشَا
وَلَا تَسْأَلُوا عَنْهَا الْعُيُونَ لِأَنَّهَا * تُشِيرُ لِشَيْءٍ ضِدِّ مَا أَضْمَرَ الْحَشَا

(و) العاشر: (أن يبدأه بالسلام عند إقباله) وفي نسخة: إذا لقيه، وكذا يفعل لمن لا يعرفه، (وأن يوسع له في المجلس) قال عمر رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

(و) الحادي عشر: (أن يخرج له من مكانه، وأن يشيعه) بتشديد الياء أي يتبعه (عند قيامه) إكراماً له إلا أن يمنعه.

وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه، ويترك المداخلة في كلامه. وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به. فمن لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه فأخوته نفاق، وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة. فهذا أدبك في حق العوام المجهولين، وفي حق الأصدقاء المؤاخين. وأما القسم الثالث: وهم المعارف، فاحذر منهم، فإنك لا ترى الشر إلا ممن تعرفه، أما الصديق فيعينك، وأما المجهول فلا يتعرض لك، وإنما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم، فأقلل من المعارف ما قدرت. فإذا بليت بهم في مدرسة أو مسجد أو جامع أو سوق أو بلد فيجب أن لا تستصغر منهم أحدًا، فإنك لا تدري لعله خير منك.....



(و) الثاني عشر: (أن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه، ويترك المداخلة في

كلامه) وأن يجيبه إذا دعاه ولو إلى كراع، وأن يعوده ولو مرة إذا مرض أو رمد، ويشهد جنازته إذا مات وإن لم يصل عليه حيث صلى عليه غيره، ويبر قسمه إذا أقسم عليه في مباح.

(وعلى الجملة) أي أقول قولاً على الجملة، (فيعامله بما يحب أن يعامل به) من طاعة ومباح وقول وفعل، فإن ذلك من كمال الإيمان. وكان سهل بن عبد الله يقول: من كف أذاه عن الخلق مشى على الماء أي عند إرادة إظهار كرامته للحاجة، إذ قد يجب على الولي إخفاء الكرامة الأولوية إلا لحاجة، كما نقله الرملي عن الشيخ خليل. (فمن لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه فأخوته نفاق، وهي) أي الأخوة (عليه وبال) أي ثقل (في الدنيا والآخرة) وحق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق، ولا شك أن أجره جزيل لا يناله إلا موفق، ولذلك قال عليه السلام: «أَبَاهِرِ*»، أَحْسِنُ مُجَاوِرَةً مَنْ جَاوَزَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَحْسِنُ مُصَاحِبَةً مَنْ صَاحَبَكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا». (فهذا) أي المذكور كله (أدبك في حق العوام المجهولين) أي الذين لا تعرفهم، (وفي حق الأصدقاء المؤاخين) أي العاقدين عقد الأخوة.

(وأما القسم الثالث: وهم المعارف) أي غير الأصدقاء. (فاحذر منهم، فإنك لا ترى) أي لا تجد (الشر إلا ممن تعرفه، أما الصديق) وهو الصادق في المودة (فيعينك) في شأنك (وأما المجهول فلا يتعرض لك) بشيء، (وإنما الشر كله) حاصل (من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم) ويخفون العداوة في بواطنهم، (فأقلل من المعارف ما قدرت. فإذا بليت بهم) أي بالمخالطة معهم (في مدرسة) للعلماء، وهو محل درس العلوم (أو مسجد أو جامع) وهو محل إقامة الجمعة (أو سوق أو بلد، فيجب) عليك (أن لا تستصغر) أي تستحقر (منهم أحدًا) ولو أقل الخلق صورة، (فإنك لا تدري لعله خير منك) عند الله تعالى، وفي الحديث: «بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ».

(* وفي فتح الباري: بتشديد الراء، وهو من رد الاسم المؤنث إلى المذكر والمصغر إلى المكبر؛ وذكر بعضهم أنه يجوز فيه تخفيف الراء مطلقًا، وعلى هذا يسكن.

ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك، لأن الدنيا صغيرة عند الله تعالى صغير ما فيها؛ ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى. وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم، فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ثم حرم ما عندهم. وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة، فإنك لا تطيق الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك في عداوتهم ويطول عناؤك معهم. ولا تسكن إليهم في حال إكرامهم إياك وثنائهم عليك في وجهك وإظهارهم المودة لك، فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحداً. ولا تطمع أن يكونوا لك في السر والعلن واحداً، ولا تتعجب إن ثلبوك في الغيبة ولا تغضب منه، فإنك إن أنصفت وجدت من نفسك مثل ذلك حتى



(ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك) بسبب حبك الدنيا، كما قال ﷺ: « مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيِّ لِنِغَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ ». (لأن الدنيا صغيرة) أي حقيرة (عند الله تعالى، صغير ما فيها) لأن الله تعالى لم ينظر إليها منذ خلقها. (ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى) أي عين المحبة، لأن الدنيا عدوة لله تعالى ولأوليائه، وفي الحديث: « حُبُّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ يُنْبِتَانِ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ ».

(وإياك) أي احذر (أن تبذل لهم) أي تعطيهم (دينك لتنال به) أي يبذل الدين (من دنياهم) فذلك خسران عظيم، (فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم، ثم حرم) أي منع (ما عندهم) من الأموال كما هو المشاهد بين الناس. قوله: فلا يفعل الفاء للتعليل. (وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة، فإنك) الفاء للتعليل أي لأنك (لا تطيق الصبر على مكافأتهم) أي مساواتهم في العداوة (فيذهب دينك في عداوتهم) وفي نسخة: فيهم (ويطول عناؤك) أي تعبك ومشقتك (معهم) بالمقابلة.

(ولا تسكن) أي لا تمل بقلبك (إليهم في حال إكرامهم إياك) بالمال والفعل والقول (وثنائهم عليك في وجهك) وفي غيبتك، (وإظهارهم المودة) أي المحبة (لك) بالقول وإتيان ما تحبه، (فإنك إن طلبت حقيقة ذلك) أي المذكور من الإكرام والثناء والمودة (لم تجد في المائة) من الأشخاص (واحداً). قال بعضهم [من بحر الكامل المجزوء]:

خُذْ مِنْ خَلِيلِكَ مَا صَفَا * وَدَعْ الَّذِي فِيهِ الْكَدْرُ
فَالْعُمْرُ أَقْصَرُ مِنْ مُعَا * تَبَةِ الْخَلِيلِ عَلَى الْغَيْرِ

(ولا تطمع) أي لا تأمل (أن يكونوا لك في السر والعلن واحداً) على حال واحدة من الثناء ونحوه. (ولا تتعجب إن ثلبوك) أي عابوك (في الغيبة) وفي بعض النسخ: في غيبتك (ولا تغضب منه) لأجل ذلك، (فإنك إن أنصفت) أي تأملت بالعدل (وجدت من نفسك مثل ذلك) أي مثل فعل أخيك، (حتى)

في أصدقائك وأقاربك بل في أستاذك ووالديك، فإنك تذكرهم في الغيبة بما لا تشافهم به. واقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم، فإن الطامع في الأكثر خائب في المال، وهو ذليل لا محالة في الحال. وإذا سألت واحداً حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى واشكره، وإن قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عداوة، وكن كالمؤمن يطلب المعاذير، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب، وقل: لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه.....



إنك قد فعلت مثل ذلك (في أصدقائك وأقاربك، بل في أستاذك ووالديك، فإنك تذكرهم في الغيبة) أي في غيبتهم (بما لا تشافهم) أي لا تخاطبهم من فيك إلى فيهم (به).

(واقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم) بأبدانهم، (فإن الطامع في الأكثر) أي الغالب (خائب) أي غير نائل لما يطلبه (في المال) أي عاقبة أمره، (وهو) أي الطامع (ذليل لا محالة) بفتح الميم أي لا يبد (في الحال) أي في ذلك الوقت، كما قال بعضهم [من بحر الكامل المضمّر في الأكثر المجزوعاً]:

الْعَبْدُ حُرٌّ إِنْ قَنِعَ * وَالْحُرُّ عَبْدٌ إِنْ قَنِعَ
فَأَقْنَعُ وَلَا تَطْمَعُ فَمَا * شَيْءٌ يَشِينُ سِوَى الطَّمَعِ

الماضي الأول مكسور عينه والثاني مفتوحه، وفعل الأمر والنهي مفتوحة عين كليهما، لأن قنع يقنع بفتح العين في الماضي والمضارع هو بمعنى سأل وتذلل، ومصدره قنوعاً؛ وأن قنع يقنع بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع هو بمعنى رضي بالقسم، ومصدره قنعاً وقناعة. قال لبيد [من بحر الطويل]:

فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيْبِهِ * وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيْشَةِ قَانِعٌ

(وإذا سألت واحداً) من الناس (حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى) على قضاء حاجتك (واشكره) فإنه لا يكمل الشكر لله تعالى إلا مع الشكر للوسيلة، كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى» أي شكراً كاملاً، وقال أيضاً: «مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى مَكَافَأَتِهِ فَادْعُوا لَهُ»، وقال أيضاً: «مَنْ أَسَدَى إِلَيَّ قَوْمٍ نِعْمَةٌ فَلَمْ يَشْكُرُوها لَهُ فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَسْتَجِيبَ لَهُ».

(وإن قصر) أي للواحد في حقلك (فلا تعاتبه) قال أبو سليمان الداراني لأحمد ابن أبي الحواري: إذا واخيت أحاً في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه، فإنك لا تأمن من أن ترى في جوارحك ما هو شر من الأول. قال أحمد: فجربته فوجدته كذلك. وقال بعضهم: الصبر على مريض الأخ خير من معاتبته، والمعاتبه خير من القطيعة، والقطيعة خير من الوقية. (ولا تشكه) أي تحير الناس بسوء فعله بك (فتصير عداوة) له، (وكن كالمؤمن يطلب المعاذير) جمع معذرة، (ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب، وقل) في نفسك إذا قصر صاحبك: (لعله قصر) في حقي (لعذر له لم أطلع عليه) أي العذر.

ولا تعظن أحداً منهم ما لم تتوسم فيه أولاً مخايل القبول، وإلا لم يستمع منك وصار خصماً عليك، فإذا أخطئوا في مسألة وكانوا يأنفون من التعلم منك فلا تعلمهم، فإنهم يستفيدون منك علماً ويصبحون لك أعداء. إلا إذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم، فاذا ذكر الحق بلطف من غير عنف. وإذا رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذي حبيبك إليهم، وإذا رأيت منهم شراً فكلهم إلى الله تعالى واستعد بالله من شرهم. ولا تعاتبهم، ولا تقل لهم: لم تعرفوا حقي، وأنا فلان ابن فلان، وأنا الفاضل في العلوم؟ فإن ذلك من كلام الحمقى. وأشد الناس حماقة من يزكي نفسه ويثني عليها. واعلم أن الله تعالى لا يسلمهم عليك بذلك إلا لذنوب سبق منك فاستغفر الله من ذنبك. واعلم أن ذلك عقوبة



(ولا تعظن*) (أحداً منهم) أي المعارف (ما لم تتوسم) أي تنظر بقلبك (فيه) أي (الأحد (أولاً) أي قبل الوعظ (مخايل القبول) أي دلائله، (وإلا) يكن الأمر كذلك، بأن تعظه قبل ثبوت دلائل القبول (لم يستمع) أي الأحد (منك) أي سماع قبول (وصار خصماً عليك. فإذا أخطئوا في مسألة وكانوا يأنفون) أي يستنكفون ويمتنعون (من التعلم) أي الاستفادة (منك) وفي نسخة: من كل أحد (فلا تعلمهم، فإنهم يستفيدون منك علماً ويصبحون) أي يصيرون (لك أعداء، إلا إذا تعلق ذلك) أي الخطأ في المسألة (بمعصية يقارفونها) أي المعصية أي يفعلونها وفي نسخة: يأنونها (عن جهل منهم، فاذا ذكر الحق) وجوباً (بلطف من غير عنف).

(وإذا رأيت منهم) أي المعارف (كرامة وخيراً) أي إكراماً وإحساناً بمال وأفعال (فاشكر الله الذي حبيبك إليهم) أي صيرك محبوباً عندهم. (وإذا رأيت منهم شراً) في الأقوال والأفعال (فكلهم) أي فوض وسلم أمورهم (إلى الله تعالى) واكتف به تعالى، (واستعد) أي اعتصم (بالله من شرهم، ولا تعاتبهم) العتاب في السر خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والمكاتبة خير من المشافهة، والاحتمال خير من الكل. (ولا تقل لهم: لم تعرفوا حقي وأنا فلان ابن فلان، وأنا الفاضل في العلوم؟ فإن ذلك) أي القول (من كلام الحمقى) أي الذين قلت عقولهم. (وأشد الناس) أي أعظمهم (حماقة) أي فساداً في العقل (من يزكي نفسه) أي يمدحها في كثرة خيراته (ويثني عليها) بكثرة العلم وبالانتساب إلى الفضلاء والعلماء.

(واعلم أن الله تعالى لا يسلمهم) أي لا يجعلهم قاهرين (عليك بذلك) الشر (إلا لذنوب سبق منك) ولو بعد سنين، (فاستغفر الله من ذنبك) كل وقت. وفي رواية ابن حبان: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد: ربي اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة، وقال الشاذلي رحمه الله تعالى: عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب. (واعلم أن ذلك) أي الشر الذي جاء منهم (عقوبة

من الله تعالى، وكن فيما بينهم سميحاً لحقهم، أصم عن باطلهم، نطوقاً بمحاسنهم، صموتاً عن مساويهم. واحذر مخالطة متفهمة الزمان لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال. واحذر منهم، فإنهم يتربصون بك لحسدكم ريب المنون، ويقطعون عليك بالظنون، ويتغامزون وراءك بالعيون، ويحصون عليك عثراتك في عشرتهم حتى يجبهوك بها في حال غيظهم ومناظرتهم، لا يقبلون لك عثرة، ولا يغفرون لك زلة، ولا يسترون لك عورة، يحاسبونك على النقيير والقطمير، ويحسدونك على القليل والكثير. ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان إن رضوا فظاهروهم الملق، وإن سخطوا فباطنهم الحنق، ظاهروهم ثياب وباطنهم ذئاب.....



من الله تعالى) لك في الدنيا. (وكن فيما بينهم سميحاً لحقهم) أي لكلامهم الحق، (أصم عن باطلهم) بأن لا تذيعه بين الناس، إما أن تنصحهم بطريق اللطف، وإما أن تهمله مرة واحدة، (نطوقاً بمحاسنهم) بأن تشيعها بين الناس مع إظهار الفرح بها، (صموتاً عن مساويهم) أي معايهم ومعاصيهم سترأ لهم، فرحم الله امرأ رأى سيئة لأخيه فسترها.

(واحذر مخالطة متفهمة الزمان لا سيما المشتغلين بالخلاف) أي بعلم الخلاف من بين العلماء (والجدال) أي العلم المؤدي إلى المجادلة. (واحذر منهم، فإنهم يتربصون) أي ينتظرون (بك لحسدكم ريب المنون) أي حوادث الدهر، (ويقطعون عليك) في كل شيء (بالظنون) أي إنهم يعملون ظنونهم السيئة، وإن أكثر الظنون ميون، (ويتغامزون) أي يشيرون (وراءك بالعيون) مستهزئين بك، (ويحصون) بضم الياء والصاد يعدون (عليك عثراتك) أي زلاتك (في عشرتهم) بكسر فسكون أي في وقت مخالطتهم بعضهم مع بعض، (حتى يجبهوك) بتشديد الموحدة بعد الجيم أو بسكون الجيم وفتح الموحدة (بها) حتى يستقبلوك بتلك العثرات كأنهم ضربوك بحجر في جبهتك (في حال) أي في وقت (غيظهم) أي غضبهم المحيط بالكيد عليك (ومناظرتهم) أي مجادلتهم معك. (لا يقبلون) أي لا يرفعون (لك عثرة) أي سقطه، (ولا يغفرون لك زلة) أي خطأ في منطقتك وفعلك، (ولا يسترون لك) وفي نسخة: عليك (عورة) أي عيباً (يحاسبونك على النقيير والقطمير) وهذا كناية عن أدنى الأشياء، فكيف بما فوقه؟ والأشياء التي يضرب بها المثل في القلة أربعة: النقيير وهو النكتة التي في ظهر النواة، والقطمير وهو القشرة الرقيقة التي بين النواة والتمر، والفتيل وهو ما يكون في شق النواة، والرقرقوق وهو ما بين القمع والنواة. (ويحسدونك على القليل والكثير) من النعمة، (ويحرضون) أي يحثون (عليك الإخوان بالنميمة) أي السعي بالحديث لإيقاع فتنة أو وحشة، وفي الحديث: « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ » أي نمام. (والبلاغات) بفتح الباء ثم باللام أي الوشائيات وهو الكلام الكذب، أو السعي بالكلام عند نحو السلطان (والبهتان) أي بالقول عليك لما لم تفعله. (إن رضوا) عنك (فظاهروهم الملق) أي اللطف الشديد، (وإن سخطوا) عليك (فباطنهم الحنق) بالحاء المهملة والنون المفتوحين ثم القاف أي الغيظ. (ظاهروهم ثياب) تنتفع بها، (وباطنهم ذئاب) تهلكك.

هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى ، فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان. هذا حكم من يظهر لك الصداقة ، فكيف من يجاهرك بالعداوة؟ قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى :

فَأَخَذْتُ فَصْدُوكَ مَرَّةً * وَأَخَذْتُ صَدِيدَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيدُ * سِقْفًا فَكَانَ أَمْرُوفَ بِالسَّمْفَرَةِ
وكذلك قال ابن تمام:

صَدُوكَ مِنْ صَدِيدِكَ مُسْتَقَالًا * فَلَا تَسْتَكْثِرُونَ مِنَ الصِّحَابِ
فَإِنَّ السَّمَاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ * يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

(هذا) أي المذكور حكم (ما قطعت) أي جزمت (به المشاهدة) أي المعاينة (على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى) أي وقاه، فلا تتصف بهذه الصفة الرذيلة. (فصحبتهم) أي هؤلاء الموصوفين بما ذكر (خسران) أي هلاك في دينه وديناه، (ومعاشرتهم) أي مخالطتهم (خذلان) أي عدم حصول النصرة. (هذا) أي المذكور (حكم) من يظهر لك الصداقة) بلسانه، (وكيف من يجاهرك بالعداوة؟ قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى) [نظماً من الاكامل المجزوء المرفل في الضرب]:

فَأَخَذْتُ عَصْدُوكَ مَرَّةً * وَأَخَذْتُ صَدِيدَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيدُ * سِقْفًا فَكَانَ أَمْرُوفَ بِالسَّمْفَرَةِ
(وكذلك قال ابن تمام) في معنى ذلك، وفي نسخة: أبو تمام، [نظماً من بحر الرافر]:

صَدُوكَ مِنْ صَدِيدِكَ مُسْتَقَالًا * فَلَا تَسْتَكْثِرُونَ مِنَ الصِّحَابِ
فَإِنَّ السَّمَاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ * يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

وكان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردت أن تتواخي رجلاً فأغضبه، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيراً وكتب سرك فأصحه. وقال ذو النون: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوماً، ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم، وقد قال بعض الحكماء: لا تصحب من يتغير عند أربح: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه، بل ينبغي أن يكون صدق الأثرة ثابتاً على اختلاف الأحوال، كما قال بعضهم [من بحر الاكامل]:

وَتَرَى الْكَرِيمَ إِذَا تَصَمَّرَ وَصَلُّهُ * يُخْفِي الْقَبِيحَ وَيُظْهِرُ الْإِحْسَانَ
وَتَرَى اللَّئِيمَ إِذَا تَقَضَّى وَصَلُّهُ * يُخْفِي الْجَمِيلَ وَيُظْهِرُ الْبُهْتَانَ

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ * أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
 إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ * لِأَدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
 وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ * كَأَنَّهُ قَدْ مَلَ قَلْبِي مَسْرَاتِ
 وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ * فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
 النَّاسُ دَاءٌ دَوَاءُ النَّاسِ تَرَكَهُمْ * وَفِي الْجَفَاءِ لَهُمْ قَطْعُ الْأُخُوَاتِ
 فَسَالِمِ النَّاسِ تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ * وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى كَسْبِ التَّقِيَّاتِ
 وَخَالِقِ النَّاسِ وَأَصْبِرْ مَا بُلِيَتْ بِهِمْ * أَصَمَّ أَبْكُمْ أَعْمَى ذَا تَقِيَّاتِ

(وكن) أي الطالب للخير (كما قال هلال بن العلاء الرقي) [نظمًا من بحر البسيط]



والرقة: اسم موضع:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ * أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
 إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ * لِأَدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

أعني من السلام والبشر والتبسم، والمجروان والظرف متعلقان بأحيي، ويحسن أن يتعلق المجرور الأخير بأدفع، وفي نسخة: حين أنظره، بدل عند رؤيته.

وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ * كَأَنَّهُ قَدْ مَلَ قَلْبِي مَسْرَاتِ
 وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ * فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ

البشر بكسر الباء هو طلاقة الوجه، وفي نسخة: وأحسن البشر.

النَّاسُ دَاءٌ دَوَاءُ النَّاسِ تَرَكَهُمْ * وَفِي الْجَفَاءِ لَهُمْ قَطْعُ الْأُخُوَاتِ
 فَسَالِمِ النَّاسِ تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ * وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى كَسْبِ التَّقِيَّاتِ

وفي نسخة: على كسب المودات، والمراد بقوله: تركهم عدم تغييرهم عن حالهم، وليس المراد به اجتنابهم بدليل قوله: وفي الجفاء إلى آخره، أي وفي الإعراض عنهم بالكلية قطع الأخوات، وقوله: تركهم بضم الميم للوزن، وقوله: من غوائلهم أي من شرورهم.

وَخَالِقِ النَّاسِ وَأَصْبِرْ مَا بُلِيَتْ بِهِمْ * أَصَمَّ أَبْكُمْ أَعْمَى ذَا تَقِيَّاتِ

وقوله: وخالق الناس أي كن معهم موافقًا في أحوالهم، كما قيل: خالطوا الناس بأبدانكم وزايلوهم بقلوبكم، وفي نسخة: فخالط الناس. وفي نسخة: ما بقيت بهم. وقوله: أصم أبكم أعمى ذا تقيات، كل منهما حال من فاعل خالق أو خالط. وأشار هلال بهذه الأبيات السبعة إلى أن شأن الناس صعب جدًّا، كما قال الشافعي [نظمًا من البسيط]:

وكن أيضاً كما قال بعض الحكماء: ألق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة لهما ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كبر، وتواضع من غير مذلة. وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلما طرفي قصد الأمور ذميم. كما قيل:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا * طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ قَوِيمٌ
وَلَا تَكُ فِيهَا مُفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا * فَإِنَّ كِلَا حَالِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ

ولا تنظر في عطفك، ولا تكثر الالتفات إلى ورائك، ولا تقف على الجماعات. وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفظ من تشبيك أصابعك،



النَّاسُ دَاءٌ دَفِينٌ لَا دَوَاءَ لَهُمْ * تَحَيَّرَ الْعَقْلُ مِنْهُمْ فَهُوَ مُنْذَهَلٌ
إِنْ كُنْتَ مُنْبَسِطًا سَمُوكَ مُسْخَرَةً * أَوْ كُنْتَ مُنْقَبِضًا قَالُوا بِهِ ثِقَلٌ
وَأَنْ تُخَالِطَهُمْ قَالُوا بِهِ طَمَعٌ * وَإِنْ تُجَانِبَهُمْ قَالُوا بِهِ مَلَلٌ
وَأَنْ تَعَفَّفْتَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ كَرَمًا * قَالُوا غَنِيٌّ وَإِنْ تَسَأَلْتَهُمْ بَخْلًا
إِنِّي تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِي وَأَمْرِهِمْ * شِبْهَ النَّعَامَةِ لَا طَيْرٌ وَلَا جَمَلٌ

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهِ وَحَسْنُ خَلْقٍ».

(وكن) أيها المرید للخير (أيضاً) ملازمًا لآداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق، وهي (كما قال بعض الحكماء) وهم من عندهم علم وحكمة: (ألق صديقك وعدوك بوجه الرضا) أي بوجه دال على الرضا، وهو طلق الوجه. (من غير مذلة لهما ولا هيبة) أي خوف (منهما، وتوقر) أي كن حليماً عند اللقاء (من غير كبر، وتواضع) عند اللقاء (من غير مذلة. وكن في جميع أمورك في أوسطها، فكلما طرفي قصد الأمور) أي وسطها (ذميم) أي مذموم عند الله وعند الناس. (كما قيل) [من بحر الطويل]:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا * طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ قَوِيمٌ
وَلَا تَكُ فِيهَا مُفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا * فَإِنَّ كِلَا حَالِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ

ومعنى مفرطاً بسكون الفاء أي مسرفاً مجاوزاً الحد، ومفرطاً بتشديد الراء أي مقصراً وناقصاً. وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا».

(ولا تنظر) على سبيل الإعجاب (في عطفك) بكسر العين أي جانبيك يميناً وشمالاً، بأن تنظر شيئاً بلحاظ عينك، (ولا تكثر الالتفات إلى ورائك) وفي نسخة: إذا مشيت، بدل ورائك، (ولا تقف على الجماعات) أي الجالسين إذا مشيت من غير حاجة دينية أو دنيوية.

(وإذا جلست) مع الناس (فلا تستوفز) أي فلا ترفع رجلك غير مطمئن. (وتحفظ من تشبيك أصابعك)

والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال أصابعك في أنفك، وكثرة بصاقتك وتنخملك، وطرذ الذباب عن وجهك، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها. وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك منظوماً مرتباً، واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته. واسكت عن المضاحك والحكايات، ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك. ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات. ولا تشجع أحداً على الظلم، ولا تعلم أحداً من أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار ما لك، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت



أي إدخال بعضها في بعض، فإنه يورث النعاس، وإنه من الشيطان. (و) من (العبث) بفتح العين والباء أي اللعب (بلحيتك وخاتمك) بفتح التاء، (و) من (تخليل أسنانك، وإدخال أصابعك في أنفك، و) من (كثرة بصاقتك) بالصاد وقد يبدل بالزاي. وإذا بصقت فابصق في جهة يسراك. (وتنخملك) أي رمي نخامتك، وهي ما يخرج من الحلق من مخرج الخاء المعجمة، وما يخرج من الخيشوم عند التنحج. (و) من (طرذ الذباب عن وجهك، و) من (كثرة التمطي) أي مد البدن واليدين، (والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها) وإذا ثنأبت فغط فمك بظهر يدك اليسرى دفعاً للشيطان، لأن الثاؤب من الشيطان.

(وليكن مجلسك هادئاً) أي ساكناً من الأصوات، (وحديثك منظوماً) أي مجتمعاً في خصلة واحدة (مرتباً. واصغ) بفتح الغين أي مل (إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط) أي كثير. (ولا تسأله) أي من حدثك (إعادته) أي الحديث إلا إن كان في الإعادة مصلحة. (واسكت عن المضاحك) أي الأمور المضحكة (والحكايات) أي لا تضحك من ذلك، وفي نسخة: ولا تستكثر الحكايات. (ولا تحدث عن إعجابك بولدك) ولا جاريتك (و) لا (شعرك) وهو النظم الموزون وحده ما تركيباً تركيباً متقاصداً، وكان مقفى مقصوداً به ذلك، فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شعراً، ولا يسمى قائله شاعراً. (و) لا (كلامك) و) لا (تصنيفك) في العلوم (وسائر ما يخصك).

(ولا تتصنع) أي لا تتكلف لأجل الناس حسن هيئة أهل الخير (تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل) أي لا تمتهن في الثياب (تبذل العبد، وتوق) أي تجنب (كثرة) استعمال (الكحل) والتكحل مطلوب كل ليلة. (و) توق (الإسراف) أي الزيادة عن التوسط (في الدهن) لجميع البدن، والتدهين للبدن مطلوب وقتاً دون وقت. (ولا تلح) أي لا تواظب مقبلاً (في الحاجات) أي في طلبها من الناس.

(ولا تشجع) أي لا تغر (أحداً على) إتيان (الظلم) لأحد، فمن أعان على معصية كان شريكاً فيها. (ولا تعلم أحداً من أهلك) أي زوجتك (وولدك فضلاً عن غيرهم) أي عدم إعلامك غيرهم أولى بالانتفاء (مقدار ما) ثبت (لك) من المرتبة. (فإنهم إن رأوه) أي المقدار (قليلاً هنت) أي حقرت

عليهم، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ قط رضاهم. واجفهم من غير عنف، ولن لهم من غير ضعف، ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك من قلوبهم. وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلك، وتفكر في حجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك، ولا تجت على ركبتيك، وإذا هدأ غضبك فتكلم. وإذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان. وإياك وصديق العافية، فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك.....



عليهم، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ قط رضاهم) وجعل ما موصولة أو نكرة موصوفة، هو ما عليه شيخنا يوسف السنبلاني. ويصح أن يكون قوله: مالك بكسر اللام، مضاف ومضاف إليه، كما عليه الشيخ عبد الصمد، والضميران اللذان بعده عائدان إليه.

(واجفهم) أي تباعد عنهم إذا أخطئوا، وفي الإحياء: وخوفهم (من غير عنف) وهو ضد الرفق، (ولن) أي تلتف (لهم من غير ضعف، ولا تهازل) أي لا تمازح (أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك) أي تعظيمك (من قلوبهم) وفي نسخة: في قلوبهم، وفي نسخة: فيسقطوك، وكذا بقية الناس، ولذا قيل: لا تظهر بياض أسنانك للإنسان فيظهر لك سواد دبره.

(وإذا خاصمت) مع الناس (فتوقر) أي فكن حليماً، أو بجل نفسك ليكون الناس تابعين لقولك، كذا قال الشيخ عبد الصمد. (وتحفظ) عند المخاصمة (من جهلك) بأن تفعل أو تقول ما يخالف الشرع (وعجلك) أي إسراعك في الجواب وفي الغضب، وفي الإحياء: وتجنب عجلك. (وتفكر في حجتك) أي في جوابك، (ولا تكثر الإشارة بيدك) أي في حال المخاصمة، (ولا تكثر الالتفات إلى من) أي شخص (وراءك، ولا تجت) أي لا تجلس (على ركبتيك) أي حال الخصام. (وإذا هدأ) أي سكن (غضبك فتكلم) بل ينبغي لك أن تسكت حتى تتوضأ.

(وإذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان) أي السيف، فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك. وارفق به رفق الصبي، وكلمه بما يشتهي ما لم يكن معصية. ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقاً عنده، فإن سقطه الداخل بين الملك وبين أهله سقطه لا تعش وزلة لا تقال.

(وإياك وصديق العافية) أي احذر تلايقك، والصاحب الذي يصاحبك في وقت صحتك وغناك، ولا يصاحبك حالة مرضك وفقرك، (فإنه) أي من ذكر (أعدى الأعداء. ولا تجعل مالك أكرم من عرضك) بكسر العين أي نفسك. ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه، قال النبي ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَعَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسٍ ذَلِكَ.»

فهذا القدر يافتى يكفيك من بداية الهداية ، فجرب بها نفسك ، فإنها ثلاثة أقسام : قسم في آداب الطاعات ، وقسم في ترك المعاصي ، وقسم في مخالطة الخلق وهي جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق والخلق . فإن رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت قلبك مائلاً إليها راغباً في العمل بها ، فاعلم أنك عبد نور الله تعالى بالإيمان قلبك ، وشرح به صدرك . وتحقق أن لهذه البداية نهاية ، ووراءها أسراراً وأغواراً وعلومًا ومكاشفات ، وقد أودعناها في كتاب إحياء علوم الدين ، فاشتغل بتحصيله . وإن رأيت نفسك تستثقل العمل بهذه الوظائف ،



(فهذا القدر) أي المذكور في هذا الكتاب (يافتى) أي يامن يتدئ في علم التصوف

(يكفيك من بداية الهداية، فجرب بها) أي بالبداية (نفسك) أي الأمانة واللوامة، (فإنها) أي تلك البداية (ثلاثة أقسام: قسم في آداب الطاعات) أي الظاهرة والباطنة، (وقسم في ترك المعاصي) كذلك، (وقسم في مخالطة الخلق) كما عرفته أولاً. (وهي) أي بداية الهداية (جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق) عز وجل (والخلق) وهذا المجموع يسمى تقوى والدين الكامل، وهو زاد للآخرة.

(فإن رأيتها) أي بداية الهداية أي وجدتها (مناسبة) أي قريبة (لنفسك، ورأيت) أي وجدت (قلبك مائلاً إليها) أي البداية (راغباً) أي مريدًا (في العمل بها) أي بمطلوبها. (فاعلم أنك عبد) من عباد الله تعالى، (نور الله تعالى بالإيمان) الكامل (قلبك) السليم، (وشرح) أي كشف (به) أي بالإيمان (صدرك) فاشكر الله تعالى الذي هدك إلى ذلك، واطلب منه استقامتك. (وتحقق) بصيغة الماضي أي ثبت (أن لهذه البداية نهاية) كما علمت أولاً، (ووراءها) أي النهاية أي بعدها (أسراراً وأغواراً) أي دقائق، وقد ذكرتها أولاً في هذا الشرح (وعلومًا) باطنية كعلم أحوال القلب، أما ما يحمد منها فهو الصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والقناعة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال وحسن الظن والإخلاص ونحو ذلك، وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور وطلب العلوم وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع ونحو ذلك. (ومكاشفات) وهي غاية العلوم، وهي عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله، وبحكمه في حكم خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا. (وقد أودعناها في كتاب إحياء علوم الدين، فاشتغل بتحصيله) أي كتاب الإحياء لتكون من أهل الظاهر والباطن معاً. فقد قيل: علماء الظاهر زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت. وقال السري للجنيد: جعلك الله صاحب حديث صوفيًا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث. وأشار بذلك القول إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه.

(وإن رأيت) أي وجدت (نفسك تستثقل العمل) أي تعتقد ثقل العمل (بهذه الوظائف) أي الأوراد

وتنكر هذا الفن من العلم، وتقول لك نفسك: أنى ينفعك هذا العلم في محافل العلماء؟ ومتى يقدمك هذا على الأقران والنظراء؟ وكيف يرفع منصبك في مجالس الأمراء والوزراء؟ وكيف يوصلك إلى الصلة والأرزاق وولاية الأوقاف والقضاء؟ فاعلم أن الشيطان قد أغواك وأنسك منقلبك ومثواك، فاطلب لك شيطاناً مثلك ليعلمك ما تظن أنه ينفعك، ويوصلك إلى بغيتك. ثم اعلم أنه قط لا يصفو لك الملك في محلته فضلاً عن قريته وبلدته، ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



التي ذكرت في هذا الكتاب، (وتنكر) وفي بعض النسخ: وتترك (هذا الفن) أي النوع الذي في هذا الكتاب (من العلم) أي علم التصوف، (وتقول لك نفسك: أنى) أي كيف (ينفعك هذا العلم في محافل العلماء) أي مجامعها، (ومتى) أي في أي وقت (يقدمك هذا على الأقران) جمع قرين وهو من يعادل في أحوالك (والنظراء) جمع نظير وهو من يساويك في الدرجة، (وكيف يرفع) أي هذا العلم (منصبك) أي علوك (في مجالس الأمراء والوزراء، وكيف يوصلك إلى الصلة) أي العظيمة منهم (والأرزاق) أي المرتبة من عندهم كل شهر أو كل سنة (وولاية الأوقاف والقضاء؟ فاعلم أن الشيطان قد أغواك) أي أضلك (وأنسك منقلبك) بضم الميم وفتح القاف واللام أي مرجعك (ومثواك) أي منزلك وهو الآخرة، (فاطلب لك شيطاناً مثلك ليعلمك ما) علمًا (تظن أنه ينفعك) في الدنيا، (ويوصلك إلى بغيتك) بكسر الباء وضمها أي حاجتك. (ثم اعلم أنه) الشأن (قط لا يصفو لك) أي لا يخلص من الأكدار (الملك) أي العز (في محلته) أي منزلك (فضلاً عن قريته وبلدته، ثم يفوتك الملك المقيم) أي الدائم الذي لا يعزل (والنعيم الدائم) أي المستمر الذي لا ينفد (في جوار) بكسر الجيم (رب العالمين) أي في الجنة مجاورة معنوية. (والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً). قال الشارح: تم تأليفه بحمد الله

وعونه وحسن توفيقه ليلة الأحد ثالث عشر ذي القعدة من سنة ألف

ومائتين وتسعة وثمانين على يد المذنب المقصر

محمد نوي ابن عمر بن عربي بن علي

عفا الله عنهم

آمين.

تم بحمد الله تعالى طبع كتاب مراقي العبودية للشيخ محمد نوي الجاوي شرح على متن بداية الهداية لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي بدار الكتب الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع والحمد لله رب العالمين

فهرست

كتاب مراقبي العبودية شرح متن بداية الهداية

الصفحة	الموضوع
٣	كلمة الناشر
٤	ترجمة حياة المؤلف
٥	خطبة الكتاب
١٧	القسم الأول: في الطاعات
١٩	فصل في آداب الاستيقاظ من النوم وآداب اللبس
٢١	باب آداب دخول الخلاء
٢٧	باب آداب الوضوء
٣٦	آداب الغسل
٣٩	آداب التيمم
٤١	آداب الخروج إلى المسجد
٤٣	آداب دخول المسجد
٥٩	آداب ما بين طلوع الشمس إلى الزوال
٦٨	آداب الاستعداد لسائر الصلوات
٧٧	آداب النوم
٨٣	آداب الصلاة
٩٥	آداب الإمامة والقدوة
٩٩	آداب الجمعة
١٠٨	آداب الصيام
١١٥	القسم الثاني: القول في اجتناب المعاصي
١٤٣	القول في معاصي القلب
١٦٤	القسم الثالث: القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق عز وجل ومع الخلق
١٩٢	فهرست